جامعة العلوم الإســـلامية العالميـــة
كليـــــة الدراســـــات العليـــــا
قـــسم اللغـــة العربيـــة وآدابهـــا

أسلوب الاستهزاء في القرآن الكريم
دراسة تحليلية بيانية

إعداد
بشار محمد جبر أبو نصير المـــصاروة

المشرف
الاستاذ الدكتور عفيف عبـــد الـــرحمن

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في
اللغة العربية – تخصص الدراسات الأدبية والنقدية

٢٠١٠ / ٢٠١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نموذج تفويض

أفوض أنا بشار محمد جبر أبو نصير المصاروة جامعة العلوم الإسلامية العالمية بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:

التاريخ:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الأطروحة "**أسلوب الاستهزاء في القــرآن الكــريم - دراســة تحليليــة بيانيــة**" وأجيزت بتاريخ: ١٢ / ٠٥ / ٢٠١١ م.

أعضاء لجنة المناقشة		**التوقيع**
الدكتور – عفيف محمد عبد الرحمن أستاذ الأدب القديم	مشرفاً	.....
الدكتور – عودة خليل أبو عودة أستاذ مشارك في النحو واللغة	عضواً	.....
الدكتور – محمد أحمد عبد العزيز القضاة أستاذ مشارك في الأدب والنقد الحديث	عضواً الجامعة الأردنية	.....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهـــــداء

إلى الذي غاب طويلا عن مدى عيني، لكنّ ذكراه وطيب محياه، ما يزالان فـــي روحي، أتنسم فيه أمل اللقاء، وأعاود بث العزيمة في نفسي نحو مستقبل أجمل، إلـــى أخي الغائب الحاضر الدكتور أمجد محمد أبو نصير المصاروة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه العربي الأمين، وبعد، فإنني أسأل الله عز وجل أن يتقبل مني هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وخدمة لديننا الحنيف وللغتنا العربية العظيمة، وأن يجزي عني خير الجزاء أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور عفيف عبد الرحمن حفظه الله ورعاه، داعيا الباري سبحانه وتعالى، أن يمتعه بالصحة وطول العمر، وأن يعينه على أن يبقى مشعلا يستضيء به طلبة العلم فجزاه الله عني خير الجزاء، وقد كان المعين لي، والمحرك لهمتي باستمرار، حتى وصلت إلى هذه الرسالة بحمد الله ومنّه وفضله.

كما أقدم خالص الشكر والتقدير، لأساتذتي الكرام، وأخص بالذكر الدكتور عودة خليل أبو عودة و الدكتور محمد أحمد عبد العزيز القضاة.

ولوالدتي رجوة عبد ولأخي زياد وزوجتي منتهى وأولادي، وأصدقائي جميعا أشكرهم على تشجيعهم، وصبرهم معي، وشكر خالص لكل من ساعدني في إنجاز هذه الرسالة، من أهلي وأصدقائي في مأدبا، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

بشار محمد جبر أبو نصير المصاروة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المحتويات

نموذج تفويض ..... ب
قرار لجنة المناقشة..... ج
الإهـــــداء ..... د
الشكر والتقدير..... ه
فهرس المحتويات..... و
الملخص ..... ح

المقــدمــة ١
الفصل الأول..... ٣
المبحث الأول: مفهوم الاستهزاء..... ٤
المطلب الأول: الاستهزاء في اللغة ٤
المطلب الثاني: الاستهزاء اصطلاحاً ٧
المطلب الثالث: العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للاستهزاء..... ٨
المبحث الثَّاني: الاستهزاء عند الأدباء والنقاد العرب..... ٩
المطلب الأول: الاستهزاء في تاريخ الأدب العربي..... ٩
المطلب الثاني: أنواع الاستهزاء..... ١٤
المطلب الثالث: أسباب الاستهزاء ١٥
المطلب الرابع: شخصية المستهزئ الساخر ١٧
المطلب الخامس: أغراض الاستهزاء ١٨
المطلب السادس: القيمة الفنية والأدبية لأسلوب الاستهزاء..... ١٨
المطلب السابع: أبرز مجالات الاستهزاء عند الأدباء ١٩

الفصل الثاني ٢٢
المبحث الأول: الاستهزاء في الدراسات البلاغية وعند المفسرين..... ٢٣
المطلب الأول: الاستهزاء في الدراسات البلاغية قديماً وحديثاً:..... ٢٣
المطلب الثاني: مفهوم الاستهزاء عند المفسرين:..... ٢٨
المبحث الثاني: المصطلحات والألفاظ المتعلقة بالاستهزاء ٣٣

الفصل الثالث ٥٥
التمهيد ٥٦
المبحث الأول: أطراف الاستهزاء في القرآن الكريم ٥٩
المطلب الأول: الاستهزاء والكفار..... ٦٠
المطلب الثاني: الاستهزاء والمنافقون ٦٩
المطلب الثالث: الاستهزاء واليهود والنّصارى..... ٧٧
المطلب الرَّابع: الاستهزاء الربَّاني ٨٣
المبحث الثَّاني: خصائص الاستهزاء القرآني وأغراضُهُ..... ٩٦
المطلب الأول: خصائص الاستهزاء القرآني ٩٦
المطلب الثاني: أغْراض الاستهزاء القرآني..... ٩٩

الفصل الرابع: الدراسة الفنية ١٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيد ١٠٤
المبحث الأول: الألفاظ والأسلوب..... ١٠٥
المطلب الأول: الألفاظ ١٠٥
المطلب الثاني: الأسلوب..... ١٠٩
المبحث الثاني: الأمثال ١٤٠
المبحث الثالث: الصُّورة الهازئة في القرآن الكريم..... ١٤٣
المطلب الأول: التصوير الهازئ وآثاره النفسية ١٤٣
المطلب الثاني: الحوار ١٤٩

الخـــاتمـــة ١٥٣

قائمة المصادر والمراجع ١٥٥

Abstract..... ١٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسلوب الاستهزاء في القرآن الكريم

إعـــداد

بشار محمد جبر أبو نصير المصاروة

المشرف

الأستاذ الدكتور عفيف عبد الرحمن

الملخص

تناولت هذه الدراسة أسلوبا من أساليب الخطاب في القرآن الكريم، وهو أسلوب الاستهزاء، وذلك من خلال استقراء الكثير من الآيات القرآنية، ومن ثم تحليلها، حيث يصبح الاستهزاء فنا قائما بذاته، وأسلوبا من أساليب الخطاب القرآني.

تناولت هذه الدراسة دلالة الاستهزاء اللغوية، والاصطلاحية، والعلاقة بينهما، ومن ثم وجود هذا الأسلوب عند الأدباء والنقاد العرب، وأنواع الاستهزاء وأسبابه، وأغراضه، وقيمته الفنية والأدبية، وأبرز مجالاته عند الأدباء.

وتناولت الدراسة الاستهزاء عند علماء البلاغة والنقد قديما وحديثا، وعند المفسرين، وعرض المصطلحات والألفاظ المتعلقة بهذا الأسلوب.

وفيها أيضا عرض لأبرز أطراف الاستهزاء في القرآن الكريم؛ الطرف المعادي للإسلام، والطرف الآخر هو الاستهزاء الرباني، ومن ثم دراسة أسباب الاستهزاء القرآني، وأغراضه وخصائصه وصولاً إلى الدراسة الفنية لأسلوب الاستهزاء، متتبعا ما جاء منه على فنون علوم البلاغة الثلاثة؛ المعاني، والبيان، والبديع، ومن ثم دور الأمثال القرآنية في هذا الأسلوب، وصولا إلى الصورة الهازئة بما تحمل من تصوير ساخر، وحوار هادف يظهر شخصية المستهزئ وأهدافه من هذا الأسلوب.

وتقدم الخاتمة مجموعة من النتائج التي توصلت إليها، والتوصيات التي يمكن البناء عليها مستقبلا بإذن الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقـــدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين، إلى يوم الدين، وبعد.

فإن الله كرم العرب، ورفع من شأنهم، بأن بعث فيهم نبيا من أنفسهم، وجعل معجزته من نفس كلامهم، فكان القرآن الكريم كتابا سماويا غاية في البلاغة والفصاحة، متنوعا في الأســاليب متعــددا في القضايا التي تهم بني البشر.

وكان أسلوب الاستهزاء من أهم أساليب الخطاب القرآني وأخطرها، حيث تناول قضايا عديــدة منها السخريةُ والتكذيبُ، وأسباب ذلك الاستهزاء ومظاهره بطرق بلاغية رفيعة المــستوى، ليكــون سلاحا قويا للرد على كل من تسول له نفسه الاستخفافَ والاستهانة بالرسل وأتباعهم.

إن المتدبر والمتمعن في آيات القرآن الكريم يقف مشدوها من هذا الأسلوب الذي يحفــل بــه القرآن في سور كثيرة، فهو موضوع رئيس في الرد على أعداء الدعوة إلى الله عــز وجــل، وهــو يحمل جوانب عظيمة من التهذيب والإصلاح، كما أنه وسيلة من وسائل المقاومة والمحافظــة علــى وحدة المجتمع الإسلامي وكرامته، وهو من الوسائل المؤثرة في النفس وفي المجتمع.

وهناك مجموعة من الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع بطريقة مباشــرة، أو غيــر مباشرة، منها كتاب "أسلوب السخرية في القرآن الكريم" لعبد الحليم حفني، الذي درس فيه الــسخرية القرآنية، وجعلها الموضوع الرئيس في الرد على الكفار والمنافقين، وربط كل الآيات التــي تحمــل مفهوم الاستهزاء بشكل مباشر بها، وكان الأجدى أن يكون الاستهزاء هو الموضوع الرئيس، حيــث ذكره القرآن الكريم بشكل مباشر وواضح، وكذلك فعل المفسرون في تفسير الآيات الواردة في هــذا الأسلوب، بحيث إن السخرية معنى من معاني الاستهزاء، كما سيرد في الفصل الأول.

كما أن هناك دراسة أخرى تناولت موضوع "التهكم في القرآن الكريم" لأحمد العنانزة، وهــي رسالة ماجستير في الشريعة الإسلامية، جعل منها الباحث عنوانــا رئيــسا ربــط بــه الاســتهزاء والسخرية، وجعل ألفاظا ومصطلحات تدور في فلكها، وهذا أمر يدعونا إلى أن نؤكد أن لفظة التهكم لم ترد بتاتا في القرآن الكريم، ولكنها وردت عند المفسرين أثناء حديثهم عن بعض الآيات الهازئــة، وكذلك عند بعض البلاغيين الذين تحدثوا عن الاستعارة، ومنها الاستعارة التهكمية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذن فالتهكم مصطلح، أو لفظ من الألفاظ التي ترتبط بالاستهزاء وهو فرع عنه، على عكس ما اعتقد أحمد العنانزة حيث جعل من الاستهزاء والسخرية معاني للتهكم.

ومن الدراسات التي تناولت هذا الموضوع دراسة في الشريعة الإسلامية تحت عنوان "الآيات الواردة في المستهزئين في القرآن الكريم" لسامي وديع شحادة، حيث استعرض الباحث الآيات التي تحدثت عن المستهزئين، دون التركيز على القضايا البلاغية والأساليب الفنية بشكل مباشر.

وقد جاءت الدراسة في أربعة فصول وخاتمة بالاعتماد على المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث إن الفصل الأول هو تمهيد نظري حول الاستهزاء في اللغة والاصطلاح، والعلاقة بين المعنيين، كما تناول هذا الفصل مجموعة من العناوين منها: الاستهزاء عند الأدباء والنقاد العرب، ثم الاستهزاء، وأسبابه وسمات المستهزئ، وأغراض الاستهزاء، والقيمة الفنية والأدبية، يليها مجالات الاستهزاء عند الأدباء.

ويدرس الفصل الثاني الاستهزاء في الدراسات البلاغية قديما وحديثا وعند المفسرين، ثم يتناول المصطلحات والألفاظ المتعلقة بالاستهزاء.

ويمهد للفصل الثالث بالحديث عن الاستهزاء وعلاقته بالقرآن الكريم، ثم دراسة أطراف الاستهزاء "أعداء الإسلام، والاستهزاء الرباني"، مبينا أهم مظاهره وأسبابه، وبعدها تأتي دراسة في خصائص الاستهزاء القرآني وأهم أغراضه.

ويقوم الفصل الرابع بدراسة فنية لأسلوب الاستهزاء، مستعرضا من خلاله الألفاظ ووحيها وأثرها، والأسلوب وأشكاله التي تراوحت بين علوم البلاغة المختلفة، ثم دور الأمثال القرآنية في إبراز هذا الأسلوب، وصولا إلى الصورة الهازئة وما تحمل من تصوير هازئ وآثار نفسية على المتلقي ودور الحوار في إبراز الجانب القصصي في هذا الأسلوب.

وقدمت الخاتمة النتائج والتوصيات، راجيا من الله - عز وجل – التوفيق والسداد لخدمة لغة القرآن الكريم، ولله الحمد على نعمه وفضله، والشكر الجزيل للأستاذ الدكتور عفيف عبد الرحمن مشرف هذه الرسالة، الذي بذل الجهد في توجيهي وإرشادي، ولا أنسى أن أشكر الأساتذة الكرام الذين تفضلوا بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة، وتقديم النصائح، لإخراج هذه الرسالة بصورة أفضل، حيث الكمال لله، فإن أخطأت فمن نفسي، وإن أصبت فمن الله، والله ولي التوفيق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

- **المبحث الأول: مفهوم الاستهزاء**
  - المطلب الأول: الاستهزاء في اللغة.
  - المطلب الثاني: الاستهزاء اصطلاحاً.
  - المطلب الثالث: العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للاستهزاء.

- **المبحث الثاني: الاستهزاء عند الأدباء والنقاد العرب.**
  - المطلب الأول: الاستهزاء في تاريخ الأدب العربي.
  - المطلب الثاني: أنواع الاستهزاء.
  - المطلب الثالث: أسباب الاستهزاء.
  - المطلب الرابع: شخصية المستهزئ.
  - المطلب الخامس: أغراض الاستهزاء.
  - المطلب السادس: القيمة الفنية والأدبية لأسلوب الاستهزاء.
  - المطلب السابع: أبرز مجالات الاستهزاء عند الأدباء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول

(مفهوم الاستهزاء)

المطلب الأول: الاستهزاء في اللغة

عند النظر في القرآن الكريم نجد أن مادة (هَزَأ)، وردت على وزن استفعل ثلاثاً وعشرين مرَّة؛ واحدة بصيغة الأمر، واثنتين بصيغة اسم الفاعل، وثلاث مرَّات بصيغة الماضي المبني للمجهول، والباقي بصيغة المضارع، أسند في معظمها إلى واو الجماعة، كما أنها جاءت على وزن فُعْل (المصدر) إحدى عشرة مرَّة[١].

قال تعالى: M L K L M N O P Q L [التوبة: ٦٤]. وقال تعالى: M + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 L [الأنعام: ١٠].

وقوله تعالى: M ! " # $ % & ' L [المائدة: ٥٨]. وعند الرجوع إلى المعاجم اللغوية نقف على عدة معانٍ لمادةِ (هَزَأ)، ومِنْ هذه المعاني:

أولاً: السُّخرية:

(هَزَأ) الهُزْءُ والهُزؤُ: السُّخريةُ.

وهَزَأ يَهْزَأُ مِنهما هُزْءًا، وَهُزُؤاً، ومَهْزَأةً، وتَهزَّأ، واسْتَهْزأ به: سَخِر[٢]. ورَجُلٌ هُزَأة بالتحريك، يهزأ بالنَّاس، وهُزْأةٌ، بالتسكين: يُهْزَأ بهِ، وقيلَ يُهْزَأ منه. قال يونس: إذا قال الرَّجُلُ

---

(١) محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، د.ط، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، د.ت، ص٧٣٦.

(٢) إسماعيل بن عباد الصاحب (ت ٣٨٥هـ)، المحيط في اللغة، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط١، عالم الكتب، بيروت ج٤، ١٩٩٤، ص٣٧، وانظر أحمد بن فارس (ـ ٣٩٥هـ)، مجمل اللغة، تحقيق زهير عبدالمحسن، (مادة: هَزَأ) ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤، (مادة: هَزَأ)، وانظر محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، د.ط، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م (مادة: هَزَأ)، وانظر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، ط١، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٩٩٧، (مادة: هَزَأ).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هَزئتُ مِنْكَ فقد أخطأ، إنما هو هَزِئتُ بكَ، وقال أبو عمرو: يُقالُ: سخرتُ منكَ، ولا يُقالُ سَخِرْتُ بكَ[١].

ثانياً: الكَسْرُ:

(هَزَأ): الهَزْءُ: الكَسْرُ، هَزَأ الشيءَ يَهْزَؤُهُ: كَسَرهُ[٢].

قال أحدهم يصف دِرْعاً:

لها عُكُنٌ تَرُدُّ النَّبْلَ خُنْساً وتهْزأُ بالمعابلِ والقِطاعِ[٣]

وعُكُنُ الدِّرع ما تثنَّى منها، والباءُ في قوله بالمعابل زائدةٌ، هذا قول أهل اللغة[٤]. قال ابن سيدة: "وهو عندي خطأ: إنَّما تَهَزَّأ ها هنا مِنَ الهُزْءِ الذي هو السُّخْرِيُّ، كأنَّ هذه الدرع لمّا ردّت النَّبلَ خُنْساً جُعِلتْ هازئةً بها[٥].

ثالثاً: الموتُ.

وهَزَأ الرَّجلُ: ماتَ. عن ابن الأعرابي. وَهَزأ الرَّجلُ إِيلَهُ هَزْءاً قتلها بالبَرْد. والمعروف هَرَأها، والظَّاهر أنَّ الزَّاي تصحيف ابن الأعرابي: أهْزأهُ البَرْدُ وأهْرَأهُ إذا قتَلَهُ.

ومثله: أرْعَلَتْ وأرْغَلَتْ فيما يتعاقب فيه الرَّاءُ والزَّاي[٦].

رابعاً: التَّحريك:

قال الأصمعيُّ وغيره: نَزَأتُ الرَّاحلة وهَزَأتُها: إذا حرَّكْتُها[٧].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق (مادة: هَزَأ).

(٢) المصدر السابق، (مادة: هَزَأ).

(٣) النبل: السهام، أنظر الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، (مادة: نَبَلَ). خَنَسَ: تأخر ورجع، المصدر السابق، (مادة: خَنَس)، معابل: جمع مَعْبَلة، وهي: نصلٌ طويلٌ عريض، انظر المصدر السابق، (مادة: عَبَلَ). القطاع: جمع قطع، وهو نصل صغير عريض، انظر المصدر السابق، (مادة: قَطَعَ).

(٤) على بن إسماعيل بن سيدة (ت٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، ج٤، ط١، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٩٦، (مادة: هَزَأ).

(٥) المصدر السابق، (هَزَأ).

(٦) ابن منظور، لسان العرب، (هَزَأ).

(٧) المصدر السابق، (هَزَأ).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خامساً: الإسراعُ:

يقول الزمخشري: "وناقتُهُ تَهْزَأ به"؛ أي: تُسْرِعُ وتخِفُّ"[١].

سادساً: الانتقام:

وهذا ما يراه السمين الحلبي، حيث أورد بيتاً شعرياً شاهداً على صحة قوله، يقول: "إنَّ الاستهزاء الانتقام"[٢] وأنشد من الطويل:

قد استهزئوا منّي بألفِ مُدجَّجٍ سَراتهم وسْطَ الصحاصحِ جُثَّمِ[٣].

سابعاً:

المَزْحُ في الخفية، وقد يُقالُ: لما هو كالمزح، يقول السمين الحلبي: "الهُزْءُ: مَزْحٌ في خفية، وقد يُقالُ لما هُوَ كالمَزْح"[٤].

ثامناً:

له معانٍ مجازيةٍ:

يقول الزمخشري: ومن المجاز: مفازةٌ هازئةٌ بالرَّكبِ، أي: فيها سرابٌ، وهَزَّاءةٌ بهم. والسَّرابُ يهزأ بالقوم، وَيَتَهزْأ بهم، وغداةٌ هازئة: شديدة البَرْدِ كأنها تهْزَأ بالنَّاس حين يعتريهم الانقباض والرِّعدة والرنين ونحوها[٥].

ويَتعدى الفعل (استهزأ) بـ(الباء)، ويتعدى بـ(مِن)، فيقالُ:

اسْتهزأتُ به، ومِنْه. قال ابن أبي بكر الرازي: "هَزِيءَ مِنْهُ وبِهِ"[٦].

---

(١) محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، ط١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٩، (مادة: هَزَأ).

(٢) أحمد بن يوسف (السمين الحلبي) (ت٧٥٦هـ)، عمدة الحُفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق محمد التونجي، ج٤، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م، ص٢٩٠.

(٣) مدجج: الفارس المجهز بالسلاح. انظر الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق (مادة: دَجَجَ) والصَّحاصِح: جمع صحصح: الأرض الجرداء المستوية ذات الحصى الصغيرة، ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، (مادة: صَحْصَحَ). وجَثَم: لزم مكانه فلم يبرح، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، (جَثَمَ).

(٤) السمين الحلبي، عمدة الحُفَّاظ، مصدر سابق، ج٤، ص ٢٨٩.

(٥) الزمخشري، أساس البلاغة، مصدر سابق، (هَزَأ).

(٦) محمد بن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٠)، مختار الصحاح، ط١، دار عمّار، عمان، ١٩٩٦، (مادة: هَزَأ).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى الزمخشري أن أصل كلمة (الاستهزاء) السخرية والخِفة، يقول: "والاستهزاء: السخرية، والاستخفافُ، وأصل الباب -الخِفَّةُ- مِنَ الهُزْءِ وهو القتلُ السريعُ. وهَزَأ يَهْزأ: مات على المكان، وناقته تهْزأ به؛ أي تُسرع وتخف"(١).

وبناءً على أوردنا من معانٍ لغوية للاستهزاء، نجد أنّ هذه المعاني تدور حول السخرية والكسر، والموت، والتحريك، والإسراع، والانتقام، والمزح في خفية، والاستخفاف بالآخرين، وهذا ما يُمَكِّنَا من الدخول بعد ذلك في تعريف مفهوم الاستهزاء من حيث الاصطلاح.

المطلب الثاني: الاستهزاء اصطلاحاً

أجمعت الكثير من المعاجم اللغوية على أن السخرية هي الاستهزاء، وأن الاستهزاء يحمل في معانيه السخرية، ومن هذا المنطلق، وكذلك، ومن خلال الآية القرآنية الكريمة: M a b c L d e f g h i j k l m n [الأنبياء: ٤١]؛ فإنه يمكننا الاستعانة بتلك التعريفات للوصول إلى معنىً اصطلاحي لمفهوم الاستهزاء.

لقد عَرَّف الإمام الغزالي صاحب كتاب (إحياء علوم الدين) السخرية، قائلاً: "ومعنى السخرية: الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه مُضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء"(٢). ويرى بعض الدارسين بأن السخرية: "نوع من التأليف الأدبي أو الخطاب الثقافي، الذي يقوم على أساس الانتقاد للرذائل والحماقات والنقائص الإنسانية، الفردية منها والجمعية"(٣).

ويرى آخرون: "بأن السخرية هي طريقة من طرق التعبير يستعمل فيها الشخص ألفاظاً تقلب المعنىٰ إلى عكس ما يقصده المتكلم حقيقة، وهي صورة من صور الفكاهة، إذا استخدمها فنّانٌ موهوب بالذَّكاء، وأحسن عَرْضها؛ تكون في يده سلاحاً مميتاً"(٤).

---

(١) محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عبدالرزاق مهدي، ج١، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧، ص١٠٤.

(٢) محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، ج٣، ط١، دار الخير، بيروت، ١٩٩٧، ص٢٧٧.

(٣) شاكر عبدالحميد، الفكاهة والضحك، رؤية جديدة، د.ط، منشورات دار المعرفة، الكويت، ٢٠٠٣م، ص٥١.

(٤) نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ط١، دار التوفيقية، القاهرة، ص١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهي أيضاً: "طريقة في التهكم المرير، والتندر، أو الهجاء الذي يظهر فيه المعنىٰ بعكس ما يظنه الإنسان، وربما كانت أعظم صور البلاغة عنفاً وإخافة وفتكاً"[١] فالسخرية إذن، أسلوب عدائي مصبوغ بروح الفكاهة.

وبناءً على تعريف الغزالي للسخرية فقد بنى الألوسي تعريفاً للاستهزاء، حيث يقول: "وذكر حجة الإسلام، أن الاستهزاء: الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجهٍ يُضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة بالفعل والقول والإشارة والإيماء"[٢].

ويمكنني بذلك أن أضع للاستهزاء تعريفاً اصطلاحياً، فأقول بأن الاستهزاء: "السخرية والاستخفاف والاستحقار والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه مُضْحكٍ، ويكون ذلك بالمحاكاة بالفعل والقول والإشارة والإيماء".

ويمكن أن يكون: "كلُّ كلامٍ أُخرج على ضد مقتضى الحال، سخرية واستخفافاً وتهكماً بالمخاطب".[٣]

المطلب الثالث: العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للاستهزاء

تبدو العلاقة بين المعنىٰ اللغوي والاصطلاحي للاستهزاء واضحة، وذلك من جهتين:

الجهة الأولى: أنَّ حاصل المعنىٰ في اللغة السخرية والاستخفاف والكسر والتحريك والانتقام، وكذلك في الاصطلاح، فإنَّ الضّابط له السخرية والاستخفاف بالمخاطب.

الجهة الثانية: في كلا المعنيين –اللغوي والاصطلاحي- خروج عن الأصل، ومخالفة لمقتضى الحال.

ومع هذا الاتفاق، فإن المعنىٰ اللغوي يبقى أشمل وأعم، وذلك لأنه يشمل كلَّ صورة أو أسلوب من أساليب التعبير التي ترمي إلى الاستهزاء بالمخاطَب، وإيقاع السّخرية به أيَّاً كان.

وعلى ذلك فإنَّ بينهما عموماً وخصوصاً، فالاستهزاء في الاصطلاح أخَصُّ منه في اللغة.

---

(١) نعمان طه، السخرية في الأدب العربي، ص١٤.

(٢) محمود الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١، ط٢، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، د.ت، ص١٤٦.

(٣) بدر الدين بن مالك، بن الناظم (ت ٦٨٦هـ) المصباح في المعاني والبيان والبديع، ط١ م١، تحقيق عبدالحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ص٢٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثَّاني

الاستهزاء عند الأدباء والنقاد العرب

المطلب الأول: الاستهزاء في تاريخ الأدب العربي

يرى عدد من الباحثين أنَّ العربَ في الجاهلية لم يعرفوا الاستهزاء بما يحمل من سخرية، بوصفها ظاهرة، بل غلبَ على أشعارهم الطّابع الجدِّي، فعرفوا الهجاء الذي واكب المديح وسايره، وكان جزءًا من القصائد التقليدية منبثاً في حماستهم وإشادتهم بأمجادهم وانتصاراتهم الحربية، وكان في جوهره تعبيراً عن احتقارهم للضعف والخَوَر، فدار فيما يتصل بذلك القعود عن الغزو، والتقصير في حماية الجار، والعجز عن أخذ الثأر، والانهزام في المعركة، والاستسلام للأعداء، ووضاعة النَّسب والبخل والفقر(١).

وقد كان العرب في الجاهلية يميلون إلى الصَّراحة، فكانوا أسرع النَّاس إلى الهجاء بالسَّبِّ والقذف، أو بتسديد سهامهم مباشرة من غير خوف أو وَجَلٍ، أو تريّث. فالشاعر يتكلم باسم القبيلة؛ لذلك يستهزئ بأعدائها ويتهكم ويسخر منهم، ويتندر بهم مستغلاً الظروف المناسبة لذلك، فهي فكاهات تهكمية عدوانية، أقرب للهجاء والذم والتحقير؛ وذلك عائد للروح العدوانية التي استحكمت بينهم نتيجة الحروب المتوالية، وشعور كلِّ قبيلة بالتفوق والاستعلاء على غيرها، فترفع من شأنها وتحطُّ من شأن القيادة الأخرى(٢).

ويرى رياض قزيحة أنَّ "الفكاهة الجاهلية تستحكم فيها العقلية الجماعية؛ فهي تصدر عن مجموع، وهي في الوقت ذاته موجهة إلى مجموع"(٣). وهذا ما أضعف الفكاهة الفردية الراقية لديهم، في حين غلبت عليهم السخرية المشحونة بروح العداء والتحدي بين القبائل، فضربوا الأمثال والقصص في وصف الحمق والغباء، وتحقير من يخرج عن إطار قبيلته وتقاليدها، والاستهزاء

---

(١) عبدالخالق عبدالله عودة، السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، مركز الرسائل الجامعية، الجامعة الأردنية، ص٣.

(٢) نزار الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، مركز الرسائل الجامعية، الجامعة الأردنية، ص١٦.

(٣) رياض قزيحة، الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرقي من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر العباسي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨، ص٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالعلاقات المشوَّهة بين الرَّجل والمرأة، وتصوير الخلل الذي يصيب توازنهـا، وتـصوير نقـائص الآخرين للحط من شأنهم والاستعلاء عليهم(١).

ومن الأمثلة التي ضربوها في الحُمق على سبيل المثال لا الحصر المثل المعروف: "أَخـرقُ من ناكثة غزلها" حيث كان هذا المثل متداولاً عند الجاهليين، وقد تناول هذا المثل القرآن الكريم فيما بعد في سورة النَّمل، حيث يقول تعالى: "وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا"(٢)[النحل: ٩٢]، وقد ضُرب هذا المثل في امرأة جاهلية حمقاء، كانت كلما أتمت غزلها قامت بنكثه، ثم تبـدؤه من جديد، حيث دعاهم القرآن الكريم في الآية السابقة بألا يفعلوا فعل تلك المرأة الخرقاء.

لقد واجه القرآن الكريم كما سيأتي –بإذن الله- استهزاءهم وسخريتهم (أي الكفار) باسـتهزاء جارف مبطلاً مفعول استهزاء أولئك الكافرين والمنافقين، وهدف إلى هـدم معنويـاتهم وزعزعـة كيانهم.

والناظر في سيرة الرسول –صلى الله عليه وسلم- يجد أنه كان يمـزح ولا يقـول إلا حقـاً، فُكاهات طيبة تشرح النفس مع أصحابه وزوجاته، ومع الأطفال والعجائز، ويبتسم للدعابة البريئة(٣).

أما في العصر الأموي فقد تجسَّد الاستهزاء بشكل بارز في شعر النقائض، وقد عدّها بعـض الدارسين بأنّها تمثل مظهراً من مظاهر تطور الهجاء عمّا كان عليه في العصر الجاهلي(٤).

وقد كان خلفاء بني أمية ميّالين إلى الفكاهة والضَّحك، حيث كانوا يمزحون ويغضُّون الطَّـرف عما يسمعونه من استهزاء وسخرية، فيصرفونها إلى جانب الهزل والدُّعابة(٥). وَجـد فـي العـصر الأموي رجال من العلماء الأفاضل، وشيوخ الدين والفقهاء اتسموا بشيء من المزاح والدُّعابة، حيث تمتلئُ قصص التراث –عدا الشعر- بالفكاهة والاستهزاء الساخر، تمثل المجتمع الأموي من حكـام وشعراء وقضاة، والتندر بفكاهاتهم، وحماقاتهم والضّحك من أحوالهم، وظهرت قصص فـي بخـل

---

(١) رياض قزيحة، الفكاهة والضحك، ص٦٨.

(٢) أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، ط٢، ج٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧م، ص٤٥٠.

(٣) أحمد محمد الحوفي، الفكاهة في الأدب، أصولها، وأنواعها، د.ط، مكتبة نهضة مصر، القـاهرة، ١٩٥٦، ج١، ص٢٠.

(٤) د. شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ط٢، دار المعارف، ١٩٥٩م، ص٦٣، ص٢٠٤.

(٥) رياض قزيحة، الفكاهة والضحك في التراث العربي، ص١٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعض العلماء كأبي الأسود الدّؤلي، وظرف بعض الفقهاء كالشّعبيّ الذي كان يستخدم أسلوب التغافل الفكه، وكان مزّاحاً[١].

ويروى أنَّ الأعمش كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض، قيل له: "مِمَ عَشِيتْ عيناك؟ قال: من النظر إلى الثقلاء"[٢].

أمّا أشْعَبُ فقد اعتبُر من أظرف رجال الفترة الأموية، وقد عاش حتى أدركَ الخليفة المهدي العباسي، حيث كانت حياته مليئة بالفكاهة التي تعتمد على المفاجأة التي لا يتوقعها أحد[٣].

طرأ تطور كبير على الحياة في العصر العباسي كان أبرزها اتصال العرب بالحضارات الأجنبية، من فارسية ويونانية، وهندية، وقد كان لهذا الاتصال أثر كبير في جميع المناحي، حيث اختلطوا بهذه الأقوام والأعراق، وتعرفوا على صفاتهم واستجلبوا الغِلمان والعبيد والجواري، فعرفوا مجموعة من نوادرهم، فأثر ذلك في الثقافة العربية وفي تنوّعها ورقيّها، كما كان لعلم الكلام والمتكلمين، وظهور المعتزلة، دور في ظهور الاستهزاء والسخرية والتهكم. فقد كانوا يرون أنفسهم فوق الناس، وكانت هذه النظرة يشوبها الاستهزاء الذي ينبع من فلسفة خاصة بهم؛ إنه الاستهزاء العقلي الفلسفي، ممن يدعونه الكمال في كل شيء مع نقصهم الخَلْقي والخُلُقي، وهذا ما نراه في رسالة التربيع والتدوير للجاحظ بشكل جليٍّ[٤].

ظهر الاستهزاء الساخر الذي يعمد إلى التقاط العيوب، وتصويره ونقضه بطريقة مضحكة في العصر العباسي على شكل ظاهرةٍ، وهذا لا يعني عدم وجوده في العصر الأموي، ولكن بشكل مختلف، فقد وُجد هذا اللون الهازئ الساخر عند الحطيئة، وجرير، وغيرهما، لكن في حدود ضيقة، حيث يرى عدد من الدارسين بأن ظاهرة الاستهزاء والسخرية لم تبدأ بوضوح إلاّ في بداية العصر

---

(١) رياض قزيحة، الفكاهة والضحك، ص١٤٨.

(٢) جمال الدين ابن الجوزي (٥٩٧هـ)، أدب الأذكياء وأخبارهم، ط١، دار النمير ودار الفرائد، دمشق، ١٩٩٦، ص٣٤.

(٣) أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي (ت٣٢٧هـ)، العقد الفريد، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦، ج٦، ص٤٣٧.

(٤) وليد عبدالمجيد إبراهيم، الشعر الهزلي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ط١، مؤسسة الورّاق، عمان، ٢٠٠١م، ص٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العباسي[١]. فقد ظهرت عند الجاحظ في رسائله "كرسالة التربيع والتدوير" كما ذكرنا سابقاً، وفي كتاب "البخلاء" ثم عند الشعراء ابتداءً من بشار بن بُرد حتى أبي العلاء المعرّي في القرن الخامس الهجري، مروراً بأبي نواس وابن الرومي وغيرهم[٢].

وبذلك يكون للاستهزاء والسخرية مكانهما الواضح في العصر العباسي، وخاصة في النثر، ونضرب مثالاً على ذلك أيضاً ظهور فن المقامات على يد بديع الزمان الهمذاني، وما حمل هذا الفن النثري من جدٍ في القول وهَزْل، ومحاسن المضاحك والكنايات الملهية، والتي تصور الحياة وموضوعاتها الاجتماعية في استهزاء ساخر، وخفة روح فكهة ضاحكة هدفها التقويم والتهذيب والاصلاح[٣].

حفل التراث العربي بالأدب الهازئ الساخر، فكان الجاحظ أول من اهتم بالفكاهة والنوادر في التأليف الأدبي، وأول من أفرد كتاباً في الاستهزاء الساخر، كما ذكرنا، كما عدّه عدد من النقاد بأنه صاحب نظرية في الضحك والاستهزاء والفكاهة الساخرة[٤].

وقد سار على نهجه فيما بعد العديد من الأدباء، حتى العصر الحاضر، فقد ضمّ عيون الأخبار لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) بابا في المزاح، كما جُمعت نوادر وسخرية أبي العيناء (ت٢٨٢هـ) في حياته، ثم ضاعت، كما وضع الوشّاء كتاباً أسماه "المُوشّى"، أو الظرف والظرفاء[٥].

وقد تطور هذا الفن بشكل واضح في القرن السادس الهجري عند ابن الجوزي (٥٩٧هـ)، في كتابه "أخبار الظُرّاف والمتماجنين"، حيث خصص أبواباً لقصص فكهةٍ حدثت مع هؤلاء الأذكياء، كما يصفهم[٦].

---

(١) أيمن محمد عشماوي، خمريات أبي نواس، دراسة تحليلية في المضمون والشكل، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م، ص٢٢٤.

(٢) عبدالخالق عبدالله عودة، السخرية في الشعر العباسي، ص٥.

(٣) نزار الضمور، السخرية في النثر العباسي، ص٢٢.

(٤) ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)، معجم الأدباء، ط١، دار الفكر الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م، ج٥، ٢١١٦. وانظر نزار الضمور، السخرية في النثر العباسي، ص٢٦.

(٥) عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، عيون الأخبار، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦، وانظر أنور أبو سويلم، أبو العيناء، محمد بن القاسم بن خلاّد (ت٢٨٢هـ)، دراسة وتوثيق في حياته ونثره...، ط١، دار عمّار، عمان، ١٩٩٠، وانظر "الظرف والظرفاء (المُوشّى)، لأبي الطيب الوشّاء (ت٣٢٥هـ)، ط١، شرحه وقدم له عبدالامير مهنا، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٠.

(٦) ابن الجوزي، أدب الأذكياء وأخبارهم، مصدر سابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما حفل الأدب الأندلسي في المغرب بالأدب الضاحك الهازيء، ومن أمثلة ذلك الرسالة الهَزْلية لابن زيدون التي كتبها على لسان "ولّاده بنت المستكفي" إلى غريمه ابن عبدوس[١].

وفي عصر الانحطاط واصل العرب ضحكهم وسخريتهم واستهزاءهم، كما رأينا عند ابن الجوزي، وكذلك عند الأسعد بن مماتي المصري، الذي ألّف كتاباً أسماه "الفاشوش في أحكام قراقوش"، حيث كان قراقوش هذا أحد حكام صلاح الدين الأيوبي، حيث مَسخ بفكاهته هذه الشخصية التي عُرفت بأنها شخصية جندي باسل ومهندس بارع وقائد عادل محنَّك[٢].

أما في العصر الحديث، فإننا نجد أمثلة على الأدب الهازيء الساخر، وذلك عند ناصيف اليازجي في مقامته الجدلية، وهي المقامة الأربعين من "مجمع البحرين"، كما نجدها عند أحمد فارس الشدياق في كتابه: "الساق على الساق فيما هو الفارياق"[٣].

كما نرى ذلك عند إبراهيم المازني في "صندوق الدنيا" عن شذوذ الأدباء[٤]. وقد أفرد عدد من المعاصرين كتباً عن الفكاهة من حين إلى آخر، في حين عمد آخرون إلى تضمين مؤلفاتهم فصولاً لدراسة هذه الظاهرة.

ومن الكتب التي تناولت موضوع الفكاهة؛ كتاب "الفكاهة في الأدب" للدكتور أحمد الحوفي، وهو في جزئين، وكتاب "أدبنا الضاحك" لعبدالغني العطري، كما ألف الدكتور أنيس فريحة "الفكاهة عند العرب". ووضع الدكتور رياض قزيحة كتاباً أسماه: "الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرقي..."[٥].

وهناك العديد من الكتب التي لا يتسع المجال لذكرها تطرقت بشكل مباشر أو غير مباشر إلى ظاهرة الاستهزاء في الأدب.

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله، شرح وتحقيق علي عبدالعظيم، د.ط، القاهرة، ١٩٥٧، ص٦٣٤ وما بعدها.

(٢) أحمد عطية الله، سيكولوجية الضحك، د.ط، القاهرة، د.ت، ص٣٦٠.

(٣) عادل العوّا، مواكب التهكم، د.ط، دار الفاضل، دمشق، ١٩٩٥م، ص٧٩.

(٤) عادل العوّا، مواكب التهكم، ص٨٦.

(٥) انظر، أحمد الحوفي، الفكاهة في الأدب، مكتبة نهضة مصر، وانظر "أدبنا الضاحك"، عبدالغني العطري، دار النهار، بيروت، وأنيس فريحة، الفكاهة عند العرب، دار الفكر العربي، ورياض قزيحة، الفكاهة والضحك في التراث المشرقي، المكتبة العصرية بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: أنواع الاستهزاء

تتنوع أساليب الاستهزاء وتتعدد أنواعه، وتختلف من شخص إلى آخر، ومن كاتبٍ إلى كاتبٍ آخر، ويعود ذلك إلى التأثر بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية، وإلى نفسية الشخص التي تختلف بين بني البشر.

ويرى بعض الدارسين بأن الاستهزاء بما يحمل من سخرية وتهكم ينقسم إلى عدة أنواع، ومن بين تلك الأنواع ما يلي[١]:

١- الاستهزاء المرُّ القاسي المتحامل المتجنّي.

٢- الاستهزاء المتسامح العطوف الرفيق.

٣- الاستهزاء البائس الحزين.

٤- الاستهزاء الفلسفي الأخلاقي.

ومهما تشعبت وتنوعت أنواع الاستهزاء إلا أنها تنقسم إلى قسمين ينضمُّ تحتهما أنواعٌ حسب الغاية، أو الهدف؛ فهناك الاستهزاء الإيجابي، الذي يتعامل مع المُسْتَهْزَئ منه بكثير من الإيجابية والاتزان، وهذا عكس الاستهزاء السلبي، الذي يستخدم المبالغة إلى حد الإثارة والتطرف والتعريض والنَّهش، وهذا النوع من الاستهزاء يوجد عند الضحية التي تصبح في يومٍ ما جلاداً[٢].

ويَعتمد الاستهزاء الساخر في أثناء التعبير على عناصر المفاجأة وعدم التوقع والخيال، وكذلك الغرابة التي تعني: "انعدام التوافق ما بين الواقع وبين ما يطمح إليه الفنان المستهزئ" فهو قائم على فكرة المقابلة بين نقيضين[٣].

---

(١) علي أدهم، لماذا يشقى الإنسان، د.ط، مكتبة نهضة مصر، د.ت، ص١٠٧.

(٢) سيمون بطيش، الفكاهة والسخرية في أدب مارون عبود، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣، ص٩.

(٣) عبداللطيف حمزة، حكم قراقوش، د.ط، مصر، ١٩٨٢م، ص٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثالث: أسباب الاستهزاء

يُرجع عدد من الدَّارسين أسباب الاستهزاء بما يحمل من سخرية وتهكم إلى عوامل شخصية بحتةٍ متعلقة بذات الشخص المستهزئ، وأخرى اجتماعية تتعلق بالمجتمع الذي يعيش فيه الإنسان المستهزئ أو الساخر، وأخرى عوامل فنيَّة. ومن أبرز هذه الأسباب ما يلي:

١- إحساس الأديب بالمرارة، وعدم استسلامه للألم، بل يعلو عليه، ويصوغه في إطار فني قد يكون رامزاً، وقد يكون صريحاً، ولكنه يحمل مظاهر الاستخفاف الذي يقوم مقام أشدِّ الضحكات وجعاً[١].

٢- شعور المستهزئ الساخر بالتفوق على أبناء جلدته في مجتمعه، بل في الجنس الإنساني، وهو نابع من تَعالي ذلك المستهزئ، وربما يكون الحقد على المجتمع أحد أسبابها؛ لما يشعر به من حرمان، أو نقص خَلْقِي، وهنا يقوم هذا المستهزئ بتوجيه سهام نقده للمجتمع الذي يستهزئ منه للانتقام[٢].

٣- الخوف من السلطة الحاكمة لاسيما في نظامٍ ديكتاتوري، إذ يصبح التصريح محاولة قد تذهب بالأديب، أو تعرضه للسجن، أو التشديد، وهذا كثير في وقتنا الحاضر[٣].

٤- الانفعال والغضب؛ فهو يعبر عن ميول عدوانية ليكون مفعوله أنجع من مفعول أي سلاح آخر، وتتمثل بعض هذه المظاهر في أدب المقاومة الساخرة؛ ففي السخرية شجاعة استثنائية، لذلك ارتبطت بأدب التحرر والثورة[٤].

٥- نقد السلوك المنحرف في مجتمع ما، حيث يكون المستهزئ المتحدث الرسميَّ للمجتمع الذي استقرت فيه قيم وأخلاق وسلوكيات معنية، ويعتبرها بعض الدارسين أقوى سلاح اجتماعي تحافظ الجماعة على كيانها، ومقاوماتها المختلفة[٥].

---

(١) شوقي المعاملي، الاتجاه الساخر في أدب الشدياق، د.ط، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٨٧، ص٢١.

(٢) زكريا إبراهيم: سيكولوجية الفكاهة والضحك، مكتبة مصر، ١٩٨٢م ص٣٧.

(٣) أحمد عطية الله، سيكولوجية الضحك، ص١٧٦.

(٤) سوزان عكاوي، السخرية في مسرح أنطون غندور، د.ط، طرابلس، ١٩٩٤، ص٢٤.

(٥) حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني، د.ط، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٢، ص٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦- علو كعب الأديب المستهزئ في العلم والثقافة، وهذه عوامل منطقية في استخدامه للأسلوب الهازئ الساخر والغامض في نفس الوقت[١].

٧- الشعور بالعجز عن إدراك الأماني يُعد عاملاً من عوامل الاستهزاء، ومحرك رئيس فيه، حيث يرى علماء النفس بأنَّ الفاقد للشيء، وخاصة الفاقد لبعض الأعضاء الجسدية يلجأ إلى مبدأ التعويض الذي يُعدُّ الطريقة الأنجع للوصول إلى الشعور –ولو كان بشكل وهمي- إلى التفوق والتخلص من العجز[٢].

٨- الدفاع عن النفس بدلاً من اللجوء إلى الأساليب الوحشية، وهذا يحدث مع تقدُّم الحياة، وتطور أساليب الإنسان في مواجهة ما يعترضه من عقبات جعلت من استحداث الاستهزاء الساخر عاملاً قوياً للدفاع عن النفس، "إذ بالإنسان المتحضِّر يجد في الضَّحك ومشتقاته سلاحاً ماضياً بتّاراً، فيستخدمها للدفاع عن نفسه، أو للاعتداء على الغير"[٣].

٩- الحروب وما يتبعها من ويلات ومآس، وفي هذه الظروف تكون الفكاهة والاستهزاء الساخر وسيلتين: "لتخفيف الألم الذي يتعرض له الناس في حياتهم من باب التعويض النفسي، أو نشدان الشيء المفقود"[٤].

١٠- التعبير عن أحلام الناس الضائعة المسروقة، وآمالها المضيعة، فكان ذلك سبب اهتمام المجتمعات بالاستهزاء الساخر للتنفيس عن همومها وارتطامها بالواقع لتحقق بذلك: "نوعاً من الانتصار على هذا الواقع الذي تحياه"[٥].

يرى عدد من الدارسين بأنَّ "العوامل الاجتماعية هي أقوى الدوافع المُسببة للاستهزاء الساخر، حيث يأتي هنا دور الأديب الذي يسلط الضوء على عيوب المجتمع، ونقائص الناس، وهو يستهزئ بها جميعاً، ولا يسبّها، ولا يحقد عليها، بل يتأملها بهدوء، ويبصر سخافتها وتناقضها، وتفاهتها، وصغرها، فيعلو عليها جميعاً، ويتحدث عنها بابتسامة هادئة جليلة مستحقة هازئة، وينبغي ألا يكون

---

(١) فراس الحاج محمد، السخرية في الشعر الفلسطيني المقاوم، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز الرسائل الجامعية، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥، ص ١٠.

(٢) عبدالعزيز القوصي، أسس الصحة النفسية، ط١، مكتبة النهضة، مصر، ص١٣٩.

(٣) أحمد عطية الله، سيكولوجية الضحك،ص١٧٨.

(٤) حسين خريوش، الفكاهة الأندلسية، منشورات جامعة اليرموك، ١٩٨٢، ص٢٣.

(٥) عبدالحليم حفني، التصوير الساخر، د.ط، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٢م، ص١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سيء اللفظ بذيئاً، ولا يكون محتدّاً ثائراً، فالاستهزاء هو الهدوء التّام، والعلو التّام عن مصائب الدنيا"[١].

قلنا سابقاً بأن من أسباب الاستهزاء عواملُ فنية لها دور في إنشاء الأدب المستهزئ الساخر، إذ يعمد الأديب إلى إبراز قدراته، وإثبات تمكّنه من ناصية الإبداع، عن طريق التأليف الأدبي –نثراً وشعراً- ليحسِّنَ القبيح ويقبِّح الحسنَ في أنظار المتلقي، بل ويغيّر نظرته، بمعنى جمع المُتَناقِضين، وإزالة تناقضهما: وتفريق المُجْتَمِعين، وإيجاد تناقض بينهما، فإذا استطاع الأديب الوصول إلى تلك النتيجة، فلا شكّ بأنه فنان مبدع، إنه نوع من العبث والغرور إذا أضيف إليه طبعٌ ساخر. ويرى بعض النقاد أن "الشاعر الفنان حين يولد وهو يحمل الاستعداد الفطري الذي من شأنه أن يقيم الخلاف الواضح بين مجاله الإدراكي، والمجالات الأخرى؛ أي الخلاف بين الواقع المُدْرَك بالحواس وعالمه الخاص القائم في خياله ووهمه، فيقوم على تجسيده في عمله الفني"[٢].

المطلب الرابع: شخصية المستهزئ الساخر

يُعَدُّ طبع الشخصية الهازئة من أبرز عوامل الاستهزاء والسخرية ، حيث نرى في حياتنا اليومية أشخاصاً اتّصفوا بطبع الفكاهة والتنكيت، بل ربما عمد بعضهم إلى الاستهزاء من نفسه، إن لم يجد ما يهزأ به ويسخر منه، أو عندما يخاف من عواقب السخرية من الآخرين[٣].

ويَدفع الاتصاف بخفة الروح، وسرعة البديهة والذكاء بصاحبها أحياناً إلى الاستهزاء والسخرية من نفسه، حتى إن بعض الدارسين يرى بأن "كثيراً ما يكون استهزاء وسخرية المستهزئ بنفسه وقاية له من تهكم واستهزاء الناس به، وإبعاداً لهم من ازدراء عمله. والمتأمل في أدبنا العربي يجد نماذج على ذلك، كما هو الحال عند الجاحظ وأبي دلامة في العصر العباسي[٤].

---

(١) خير الدين قاسم العبادي، السخرية في شعر بشار بن برد، جامعة الموصل، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز الرسائل الجامعية، الجامعة الأردنية، ص١٩.

(٢) مُصطفى السيوفي، الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، ط٣، دار المعارف، مصر، ص٣١٨.

(٣) خيرالدين العبادي، السخرية في شعر بشار بن برد، ص١٨.

(٤) المصدر السابق، ص١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الخامس: أغراض الاستهزاء

ينظر الأدباء إلى أسلوب الاستهزاء بما فيه من سخرية وتهكم وتفكُّهٍ على أنه وسيلة تطهيرية، وكابحٍ اجتماعي، وأداة عقاب، اصطنعها المجتمع لأفراده حين يتجهون اتجاهات ومسالك غريبة خارجة عن المألوف، فيقوِّم اعوجاجهم، ويعالج أمراضهم، ويدفع بهم إلى الاتجاه نحو المرونة في نفسياتهم وأخلاقهم وطباعهم وأعمالهم، فيقوم بدور الناقد لكل من يخرج على معايير الآداب وقوانين المجتمع، وأساليب سلوكه. فهو وسيلة للوصول إلى الأهداف والغايات -في الإصلاح والتهذيب- لكن بطريقة غير مباشرة[١].

ويكون الغرض من الاستهزاء أحياناً مجرد إثارة الضحك، وغالباً ما يكون هذا في استهزاء وسخرية الأديب بنفسه، كأن يصور نفسه في مواقف محرجة، أو حيرة، أو ضعف، أو غفلة، أو ما يشابهها مما لا يرضاه الشخص لنفسه، فلا يتعدى ضرره لغيره[٢].

ويُعد الاستهزاء بما فيه من سخرية وتهكم مرآة صادقة تعكس أحوال الناس، وتعبّر عن نفسيات أفراده والهدف الأعلى منه هو الرغبة في الإصلاح[٣].

المطلب السادس: القيمة الفنية والأدبية لأسلوب الاستهزاء

يُعد الاستهزاء بما يحمل من سخرية وتهكم وتفكُّه خروجاً بالألفاظ عما وضعت له في الأصل، وهي بذلك تحمل قيمة فنية من خلال ذلك الخروج، حيث يعمد الاستهزاء إلى إثارة نفس المخاطَب وفكره، ليصل ويستكشف مجموعة من الأحوال والمعاني التي لم تكن تخطر على البال[٤]. ولو ظل الكلام على ما هو عليه في الأصل، أو استخدمت الألفاظ في أماكنها الموضوعة لها تخصيصاً، مما يعني تمكين المعنىٰ وتثبيته في نفس المتلقي وتنبيه ملكاته العقلية والنفسية لتصبح قادرة على فهم واستلهام مدلولات الألفاظ ومغازيها، فيتعلم الذكاء والفطنة، إذ الاستهزاء الساخر سلاح الأذكياء،

---

(١) رياض قزيحة، الفكاهة والضحك في التراث المشرقي، ص٢٩٧، وانظر، أحمد الحوفي، الفكاهة في الأدب، ج٢، ص٦٦.

(٢) أحمد الحوفي، الفكاهة في الأدب، ج١، ص١٠٣.

(٣) زكريا إبراهيم، سيكولوجية الفكاهة والضحك، ص٧٨.

(٤) المصدر السابق، ص٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأداة البُلغاء، وهذه فائدة قد لا يتمكن من تحصيلها لو بقي الكلام على أصله، إذ إنه يقتصر على معنى واحد، وهو المعنىٰ الحقيقي(١).

وينمُّ أسلوب الاستهزاء عن قدرة وبراعة المتكلم وذكائه وفطنته، وذوقه الرفيع في القدرة على الصياغة الأدبية، والوصول إلى الأغراض والغايات بطرق ملتوية، الأمر الذي يتطلب مقدرة كبيرة من الذكاء والخبرة الواسعة بالمجتمع، وأحواله وتطوراته(٢).

ويرى أحمد الحوفي بأن "لهذا اللون من التعبير -الأثر الكبير في حل الكثير من المشكلات الاجتماعية، وتخفيف حدة الغيض، والحَنَق على المخاطب؛ إذ إنه أسلوب يقوم على المرح النفسي، ويخفف من وطأة العقوبة، ويهيئ النفس لتقبلها والانتفاع بها، مما يعني أسلوباً آخر مميزاً في الإصلاح والتهذيب(٣).

المطلب السابع: أبرز مجالات الاستهزاء عند الأدباء

ذكرنا في حديثنا عن الاستهزاء بأنه أداة تطهيرية لنقد المجتمع، يهدف إلى التهذيب والإصلاح، وتنقية المجتمع مما قد يعلق به من الشوائب والانحرافات، كما أنه ليس كل العيوب تكون عُرْضة للاستهزاء والسخرية، وإنّما تلك التي تتطلب الاستغراب، وتكون مثاراً للأسئلة لخروجها عن المألوف في الطباع والأحوال. وربما كان الاستهزاء مجالاً للتندُّر وإثارة الضحك، بتسليط الضوء على عيوب وسقطات الآخرين، لجعلها مجالاً للسخرية والتحكم.

ومن خلال مراجعتي للعديد من كتب النقد والأدب لاحظت أن هناك العديد من مجالات الاستهزاء، وهي كالآتي:

أولاً: الاستهزاء بالعيوب الجسدية:

ونقصد بالجسد شكل الجسد كله، أو شكل عضو من أعضائه، ونريد به الحركة التي تؤديها الأعضاء كلها أو بعضُها، وكذلك يُقصد بها ما يتصل بالجسد كالأنف، والقِصَر، والسُّمنةِ مثلا(٤).

---

(١) حامد الهوال، السخرية في أدب المازني، ص١٧.

(٢) المصدر السابق، ص٦٩.

(٣) أحمد الحوفي، الفكاهة في الأدب العربي، ج١، ص٧٣.

(٤) نزار الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، ص١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً: الاستهزاء بالعيوب الخُلُقية والنفسية:

ومنها الاستهزاء بصفات ذميمة كالجُبن والبخل وثِقل النفس، وثِقل الروح. وحفل الأدب العربي بشقيه الشعر والنثر بالكثير من الأمثلة على هذا الاستهزاء، فكُتبُ الجاحظ، وعلى رأسها "البخلاء" خير شاهد على ذلك، وشعر النقائض مليء بمثل هذه الأوصاف(١).

ثالثاً: استهزاء الشخص بنفسه:

وهو أن يتندر الشخص بنفسه، وهو موضوع الفكاهة والاستهزاء، وهو المصوِّر لها، وهو مصدرها، وهو مظهرها، وهذا يدلّ على أن الشخص الذي يتندر ويستهزئ من نفسه شَخْصٌ فَكِهٌ لَبِقٌ خفيف الروح، سريع الخاطر، ويكون هذا الاستهزاء وقاية للمستهزئ بنفسه من أن يَهْزأ به الآخرون، وهو أيضاً تنفيس عن غيض مكتوم، أو صدىً لاستهزائه بالأحداث التي مرّت به، فهو كما ذكرنا ضرب من التعالي على كوارث الدهر ومفارقاته(٢).

وقد ذكرنا الجاحظ وكيف كان يستهزئ ويسخر من نفسه.

وقد يستهزئ الرجل بنفسه ليحصل على خير يريده، أو ليخلص من مأزقٍ، أو لينجو من الملامة أو العقوبة(٣).

رابعاً: الاستهزاء السياسي:

ويكون ناشئاً عن الشعور بالضيق من الحكم والحكام، وكذلك الشعور بالضغط من جورهم. ولهذا يجد الأدباء في الاستهزاء الساخر المبطن بوسائل مختلفة طرقاً للتخفيف من تلك الضغوطات(٤).

والاستهزاء السياسي، هو سجل للحالة السياسية، وللاستهزاء السياسي أثر في التنفيس والإراحة وأخذ العبرة(٥).

---

(١) أحمد العنانزة، التهكم في القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز الرسائل الجامعية، الجامعة الأردنية، ص٢٨.

(٢) احمد الحوفي، الفكاهة في الأدب، ج١، ص٧٢.

(٣) فراس الحاج محمد، السخرية في الشعر الفلسطيني المقاوم، ص١٠.

(٤) نزار الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، ص١٥.

(٥) أحمد الحوفي، الفكاهة في الأدب، ج١، ص٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خامساً: الاستهزاء الاجتماعي:

يرى عدد من الدارسين بأن للاستهزاء الضاحك وظيفة اجتماعيـــة، وهـــي تقـــويم وإصـــلاح وضرب من القِصاص الخفيف، وعون على إعداد مجتمع قوي سليم[١].

والاستهزاء الاجتماعي بما فيه من سخرية وتهكم وتفكّه، وسيلة من وسائل معالجـــة العيـــوب الاجتماعية، ومحاولات لإعادة صياغة المجتمع بطريقة مثالية خالية من العيوب والشوائب.

سادساً: الاستهزاء بالعقائد الزائفة:

ومن أمثلته في الأدب استهزاء أبي العلاء المعرّي بأصحاب الحُلُوليةِ والتناسخ[٢]. وفي القرآن الكريم الكثير من هذا النوع.

(١) أحمد الحوفي، الفكاهة في الأدب، ج١، ص٦٨.

(٢) أحمد العنانزة، التهكم في القرآن الكريم، ص٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

- **المبحث الأول: الاستهزاء في الدراسات البلاغية وعند المفسرين**
  - المطلب الأول: الاستهزاء في الدراسات البلاغية قديماً وحديثاً.
  - المطلب الثاني: مفهوم الاستهزاء عند المفسرين.

- **المبحث الثاني: المصطلحات والألفاظ المتعلقة بالاستهزاء.**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول

الاستهزاء في الدراسات البلاغية وعند المفسرين

المطلب الأول: الاستهزاء في الدراسات البلاغية قديماً وحديثاً:

تُعدّ وجوه البيان في القرآن الكريم أعلى ما عرفه الإنسان في لغة العرب، وأرقى ما نظر فيه من أساليب، ومفردات وتراكيب. والدراسات اللغوية والنحوية التي عرضت للقرآن الكريم في تفسير مفرداته وآيه، ومشكلِه وغريبه، وتأويل ذلك من الوجهة اللغوية أو النحوية، أو التوجيه إلى طرائق العرب في ذلك؛ خدمت القرآن في بيانه، وفي المعاني والتراكيب والتفسير(١).

ومن ذلك كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢٠٦هـ)، حيث تحدث من خلاله عن المشاكلة في أثناء تناوله لقوله تعالى: M اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ L(٢).

كما أشار إليه الفرَّاء (ت٢٠٧هـ)، وإن لم يصرّح بلفظ الاستهزاء، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: M { | { ~ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ L [آل عمران: ١٥٣]، يقول: الإثابة هنا بمعنى العقاب، وقد تقول للذي اجترم إليك: لئن أتيتني لأثيبنّك، ومعناه: لأعاقبنّك، وربما أنكره مَنْ لا يعرف مذاهب العربية، وقد قال الله تعالى: M ¶ µ ¸ L [آل عمران: ٢١]، والبشارة إنّما تكون في الخير، فقد قيل ذلك في الشر"(٣).

كثرت الدراسات التطبيقية للمصطلح البلاغي من خلال القرآن الكريم، ومن ذلك دراسة الرُّماني (ت٣٨٦هـ)، والخطّابي (ت٣٨٨هـ)، وعبدالقاهر الجرجاني (٤٧١هـ) "في إعجاز

---

(١) محمد بركات أبو علي، مقدمة في دراسة البيان العربي، د.ط، دار الفكر، عمان، ١٩٨٦، ص٦٠.

(٢) أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ت٢٠٦هـ)، مجاز القرآن، ج١، مكتبة الخانجي ودار الفكر، القاهرة، ١٩٦٢م، ص١٥.

(٣) يحيى أبو زكريا الفرّاء (ت٢٠٧هـ)، معاني القرآن، ط١، ج١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٥٥م، ص٢٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القرآن"[١]، ودراسة الباقلاني (ت٤٠٣هـ)[٢]، ودراسة الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ)[٣]، ودراسة الزمخشري (ت٥٣٨هـ)[٤].

يُعدُّ "تلخيص البيان" أول كتاب كامل أُلّف لغرض واحد، وهو متابعة المجازات والاستعارات في كلام الله كله، سورة سورة وآية آية[٥].

لقد أشار ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) في كتاب "تأويل مشكل القرآن"، وفي أثناء حديثه عن المجازات في الكلام، ومنها طرق القول ومآخذه، أشار إلى الاستعارة والتمثيل، والقلب، كما تحدث عن التعريض والكناية، وضرب أمثلة على ما يخص الاستهزاء، كقوله تعالى: Z Y M 8 7] \ [L [الدخان: ٤٩]، قال: "فبعض الناس يذهب به هذا المذهب، وهو مذهب الاستهزاء"[٦].

كما ذكر مصطلح (المقلوب): "وهو أن يوصف الشيء بضد صفته، وذلك لتأدية أغراض عديدة" ذكر منها: الاستهزاء: كقولهم للحبشي: أبو البيضاء، وللأبيض: أبو الجَون، وأورد مثالا عليه من القرآن الكريم، وذلك قول قوم شعيب (عليه السلام): M إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ © L [هود: ٨٧][٧].

كما يضرب أمثلة عديدة على مفهوم الاستهزاء، وفي عدة صفحات من كتابه.

ذكرنا سابقاً بأن كتاب (تلخيص البيان) للشريف الرضي وُضع لمتابعة المجازات والاستعارات القرآنية، ومنها استعارتان في قوله تعالى: M ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ L [البقرة: ١٥]،

---

(١) علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٦هـ)، ومحمد الخطابي (ت٣٨٨هـ)، وعبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، (ثلاث رسائل في الإعجاز) تحقيق محمد خلف الله، ود.محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م.

(٢) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ) "إعجاز القرآن الكريم"، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م.

(٣) الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ)ن تلخيص البيان في مجازات القرآن، د.ط، تحقيق محمد عبدالغني حسن، طبع عيسى الحلبي، القاهرة، ١٩٥٠.

(٤) الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق.

(٥) محمد أبو علي، مقدمة في دراسة البيان العربي، ص٦٩.

(٦) أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تأويل مشكل القرآن، شرحه السيد أحمد صقر، ط٣، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٩٨١، ص١٨٦.

(٧) المصدر السابق، ١٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستعارة في قوله تعالى: M ´ µ ¶ ¸ **مَغْلُولَةٌ** L [المائدة: ٦٤]، وهذه إشارات واضحة لتتناول ما يخص الاستهزاء من بيان[١].

وقد أشار الإمام عبدالقاهر الجرجاني إلى مثل هذا في كتابيه (أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز)، عندما تحدث عن أخذ الشبه من المعقول للامعقول، حيث تكلم عن استعارة الميت للحي، فقال: "كُلُّ صفتين تضادتا، ثم أريد نقص الفاضلة منها، عبّر عن نقصها باسم ضدها"[٢]، يقصد بذلك الاستعارة التهكمية التي عُرفت من بعدُ بهذا الاسم. كما تحدث عن التمثيل والتشبيه، أثناء تناوله لقوله تعالى: M ` a b c d e L [الزخرف: ٤٠]، كما تعرض للاستهزاء الرباني في معرض حديثه في باب الوصل والفصل[٣].

وقد عُني الزمخشري بالاستهزاء في كشافه في العديد من المواطن، حيث عرّف الاستهزاء، كما فسّر العديد من الآيات بأن فيها استهزاءً، ومن ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى: M K L N M O P Q R L [الحجر: ٦]، "وكأن هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء، كما قال فرعون: M Z [\ ] ^ _ ` L [الشعراء: ٢٧]، كيف يقرّون بنزول الذكر عليه، وينسبونه إلى الجنون؟! والتعكيس في كلامهم للاستهزاء"[٤].

وتناول الرُّماني في (النكت) مفهوم التهكم الذي هو مظهر مهم من مظاهر الاستهزاء كما سيأتي لاحقاً، حيث رأى بأنه "استعمال الشيء في ضدّه أو نقيضه، وهذا من باب تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة. فقد استعيرت لفظة البشارة، ومحلها الوعد

---

(١) الشريف الرضي، تلخيص البيان، ص١١٣.
(٢) عبدالقاهرد الجرجاني (ت٤٧١هـ)، أسرار البلاغة، ط١، تحقيق عبدالحليم هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، ص٦٢.
(٣) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (في علم المعاني)، د.ط، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨١، ص٩٤.
(٤) الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، انظر مثلاً: ج١، ص١٨٤، ج٣، ص٣٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالخير، ووضعت في موضع الإنذار والوعيد، مع أنه ليس محلها في الأصل للوصول إلى هذا الغرض وهو التهكم والاستهزاء[١].

وبعد مجيء السكاكي (٦٢٦هـ)، الذي يعدّ له الفضل في تقعيد علوم البلاغة وتبويبها، تعرض للأستهزاء بطريقة غير مباشرة، تحت مبحث من مباحث الاستعارة التهكمية[٢]. وقد عرفها كما يلي: "هي استعارة أحد الضدّين، أو النقيضين للآخر بواسطة انتزاع شبه التضاد، وإلحاقه بشبه التناسب بطريق التهكم، أو التلميح، ثم ادّعاء أحدهما من جنس الآخر، والإفراد بالذكر ونصبِ القرينة، كقولك: "قلانٌ تواترت البشارات بقتله، ونهب أمواله، وسبي أولاده"[٣].

وجاء الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ)، وتعرض للاستعارة التهكمية، أو التمليحية، وضرب عليها مثلاً قوله تعالى: M µ ¶ ¸ L [٤].

ومن علماء البلاغة القدماء الذين كان لهم أثر كبير في تثبيت مصطلحات بلاغية لها علاقة مباشرة بالاستهزاء الكاتب والأديب ابن أبي الاصبع المصري (ت٦٥٤هـ)، الذي رأى هو نفسه أن له الأسبقية في اختراع مفهوم التهكم في علم البديع، من خلال كتابه المعروف (بديع القرآن)، حيث عرّفه بأنه: "الإتيان بلفظ البشارة في موضع النذارة، والوعد مكان الوعيد، تهاوناً من القائل بالمقول له، واستهزاءً به"[٥].

وقد فرَّق ابن أبي الإصبع بينه وبين الهزل الذي يراد به الجدُّ، بعد أن جعله فناً من فنون البديع، ومن المحسنات البديعية المعنوية، وذلك بعد أن استقرت المصطلحات على يد السكاكي، الذي

---

(١) علي بن عيسى الرُّماني (ت٣٨٦هـ)، النكت في إعجاز القرآن الكريم، ضمن ثلاث رسائل، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٣٧٨هـ، ص٨٥.

(٢) يوسف بن أبي بكر السّكاكي (ت٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، ط١، ضبط نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣، ص٣٧.

(٣) أحمد موسى، الصِّبغ البديعي في اللغة العربية، د.ط، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩، ص٢٩٣.

(٤) جلال الدين بن محمد بن عبدالرحمن القزويني الخطيب (ت٧٣٩هـ)، التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه عبدالرحمن البرقوقي، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٣٢، ص٣٠٩.

(٥) ابن أبي الاصبع المصري (ت٦٥٤هـ)، بديع القرآن، ط١، تحقيق حفني محمد شرف، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٧، ص٢٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قسّم علوم البلاغة إلى ثلاثة أقسام: المعاني والبيان، ووجوهاً مخصوصة يصار إليها لقصد تحسين الكلام، وهو علم البديع[١].

ويقرر بعض المتأخرين أن التهكم يُعدُّ من وظائف الاستعارة وراجعاً لها، أو راجعاً إلى المجاز المرسل، ومن هنا ليس لابن أبي الاصبع أسبقية في اختراعه إلاّ من جهة التبويب والتصنيف[٢].

تناول ابن أبي الاصبع مجموعة من المصطلحات البديعية التي تتعلق بالاستهزاء وذلك في كتابه (بديع القرآن)، ومنها: التصدير، وتجاهل العارف، والتمكين، وما إلى ذلك من مصطلحات، سنأتي على ذكرها لاحقاً –بإذن الله-[٣].

ويرى بعض الدارسين أن كل من جاء بعد المصري ممن تعرضوا لمفهوم التهكم وغيرها من المصطلحات المتعلقة بالاستهزاء هم عيال عليه، بحيث لا يخرج كلامهم في تعريف تلك المصطلحات والتفرقة بينها وبين غيرها عما ذكره، مع الاعتراف لبعضهم بزيادات في تعريفاتهم، أو بيان أساليبهم[٤].

وفي العصر الحديث ظهرت العديد من الدراسات التي تناولت المصطلحات التي لها علاقة بالاستهزاء، مثل كتاب البديع في القرآن الكريم للدكتور إبراهيم علان، وكتاب فن البديع للدكتور عبدالقادر حسين، ومؤلفات عديدة تحدثت عن الفنون البديعية، وعلوم البلاغة بشكل عام، فذكروه تحت باب البديع ضمن المحسنات البديعية المعنوية، أو في أثناء الحديث عن أنواع الاستعارة باعتبار طرفيها[٥].

---

(١) ابن أبي الاصبع المصري، بديع القرآن، ط١، ص٢٨٤.

(٢) حوّاس بري، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس، الأردن، ٢٠٠٢م، ص٢٧٢.

(٣) ابن أبي الإصبع، بديع القرآن، مصدر سابق، انظر الصفحات ١٩، ٣٦، ٥١، ٥٨...

(٤) أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، د.ط، مكتبة لبنان، ٢٠٠١م، ص١٩١.

(٥) انظر كتاب إبراهيم علان، البديع في القرآن، ط١، دائرة الثقافة، الشارقة، ٢٠٠٢، وانظر أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد، واحمد موسى، الصبغ البديعي في اللغة العربية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: مفهوم الاستهزاء عند المفسرين:

أشار العديد من المفسرين إلى الاستهزاء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وذلك عند تفسيرهم لهذا المصطلح، أو من خلال تأويلهم لعدد من الآيات التي تحمل في طياتها معنى الاستهزاء.

وسنستعرض مجموعة من التفاسير التي تناولت الاستهزاء وأشارت إليه، ومنها:

أولاً: تفسير الطبري المعروف بـــ (جامع البيان في تفسير القرآن)، ومؤلفه أبو جعفر محمـــد ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـــ).

مع تحفظه الشديد إلاّ أن الدرس البلاغي يبرز واضحاً وقوياً في تفسيره، والباحث يجـــد فيـــه الكثير من الشواهد البلاغية، ومن أمثلة ذلك أنه يرى أن الاستفهام يخرج عن معنـــاه (طلـــب الفهـــم ومعرفة المجهول) إلى معانٍ أخرى كالإنكار والتوبيخ والتهكم[١].

كما لاحظ الطبري أن تفسير قوله تعالى: M إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ © L بأنه استهزاء بـــشعيب من قومه. كما فسّر اللهو واللعب بأنه سخرية واستهزاء[٢].

ثانياً: تفسير "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل" للزمخشري (ت٥٣٨هـــ):

ومن أبرز سمات هذا التفسير اعتماده في بيان المعاني علـــى لغـــة العـــرب وأســـاليبهم فـــي الخطاب، وعنايته الفائقة بالإبانة عن أسرار الإعجاز القرآني بطريقة فنية قائمة على الذوق الأدبـــي، كما يُعدُّ من أوائل كتب التفسير التي عُنيت بالبلاغة القرآنية عناية فائقة وقد نقل عنـــه الكثيـــر مـــن المفسرين الذين جاؤوا بعده[٣].

تطرّق الزمخشري لمصطلح الاستهزاء بشكل مفصّل، حيث عرّفه تعريفاً لغوياً، ومـــن ذلـــك: "الاستهزاء: السخرية والاستخفاف، وأصل الباب الخفة –مِنَ الهُزْء، وهو القتل السريع- وهزأ يَهْزأ: مات على المكان.. الخ"[٤].

---

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري وهو (جامع البيان في تفـــسير القـــرآن)، د.ط، دار الفكـــر، بيروت، ١٩٧٨، ج٧، ص١٤٤.

(٢) المصدر السابق، ج٢٥، ص١٣٤.

(٣) الزمخشري، الكشاف، المقدمة، ص(هـــ).

(٤) المصدر السابق، ج١، ص١٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أنه أشار إلى كيفية استهزاء الله بالكفار والمنافقين عند تفسيره لقوله تعالى: M ﷲُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ L [البقرة: ١٥]، قال: "معناه إنزال الهوان بهم والحقارة... الخ"(١).

كما أننا نلحظ من الإشارات البيانية المتعلقة بالاستهزاء، خاصة في شرح الآيات التي ترمي إلى هذا المصطلح بشكل غير مباشر، ومثال ذلك تفسيره لقوله تعالى: M H I J K L L N O P Q L [البقرة: ٩] قال: هذا من باب الاستهزاء والتسفيه(٢).

ثالثاً: "التفسير الكبير" لمؤلفه محمد بن عمر الطبرستاني، الرازي، الملقب بالفخر الرازي (ت٦٠٦هـ):

ذكر الاستهزاء في مواطن كثيرة من تفسيره، كما عرّفه، ومما قاله فيه: "الاستهزاء: أصل الخفّة من الهُزْء، وهو العَدْو السريع... وهو عبارة عن إظهار موافقة مع إبطان ما يجري مجرى السُّوء على طريق السخرية"(٣).

رابعاً: تفسير "الجامع لأحكام القرآن" لمؤلفه أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ):

وهو من أعظم التفاسير وأجمعها لكثير من القضايا اللغوية والبلاغية، وقد تطرّق لتعريف الاستهزاء، كما أنه يشير إلى وجود الاستهزاء بأشكاله المختلفة في الكثير من الآيات القرآنية، حيث عرّف الاستهزاء، بأنه: "السخرية واللعب، وقيل أصل الاستهزاء الانتقام"(٤)، كما فصّل في كيفية

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ج١، ص١٨٥.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص١٧٠.

(٣) محمد بن عمر الطبرستاني، الرازي، الملقب بالفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)، التفسير الكبير، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ج١، ص٣٠٩.

(٤) أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ط١، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٣م، ج١، ص١٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استهزاء الله بالكفار، وكذلك كيفية استهزاء الله بالمنافقين في الدنيا والآخرة. ومن القضايا البلاغية التي أشار إليها، التعريض، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: M إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ © L [١].

خامساً: تفسير "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" والمعروف بـ (تفسير البيضاوي)، لمؤلفه ناصرالدين أبي الخير عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٩١هـ):

اعتمد في تفسيره على تفسير "الكشاف" في الإعراب والمعاني والبيان، وتناول الاستهزاء بالتعريف والتوضيح، حيث ذكر بأن الاستهزاء "السخرية والاستخفاف... وأصله: الخِفّة من الهُزْءِ، وهو القتل السريع... الخ"[٢].

سادساً: تفسير "البحر المحيط" لمؤلفه محمد بن يوسف الشهير بابن حيان الأندلسي الغرناطي (ت٧٥٤هـ):

ذكر الاستهزاء وعرّفه بأنه: "الاستخفاف والسخرية"، كما ذكر أسباب الاستهزاء ومظاهره، وسبب تقديم لفظ الجلالة "الله" في قوله تعالى: M ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ L [٣].

سابعاً: تفسير أبي السعود، المعروف بـ (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، ومؤلفه أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ):

قال بأن "الاستهزاء بالشيء ومنه... وأصله الخفة من الهُزءِ، وهو القتل السريع..."[٤].

كما ذكر "المشاكلة" في أثناء تفسيره لقوله تعالى: M ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ L [٥].

ونود أن نذكر هنا بأن هذا التفسير غاية في بابه ونهاية في حُسن الصّوغ وجمال التعبير، كشف فيه صاحبه عن أسرار البلاغة القرآنية، بما لم يسبقه إليه أحد كما يرى بعض الدارسين[١].

---

(١) أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ج١١، ص١٧٣.

(٢) ناصرالدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٩١هـ)، تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٨م، ج١، ص٤٧.

(٣) محمد بن يوسف الشهير بابن حيان الأندلسي الغرناطي (ت٧٥٤هـ)، البحر المحيط، د.ط، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢، ج١، ص١٠٣.

(٤) أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج١، ص٤٧.

(٥) المصدر السابق، ج١، ص٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثامناً: تفسير "حاشية الشهاب" والمعروف بـــ "عناية القاضي وكفاية الراضـــي علـــى تفـــسير البيضاوي" لمؤلفه شهاب الدين أحمد الخفاجي (ت١٠٦٩هـــ):

وهو شرحٌ لتفسير البيضاوي، تنـــاول فيـــه الاســـتهزاء ومفهومـــه مـــن الناحيـــة اللغويـــة والاصطلاحية، حيث يقول: "الاستهزاء: السخرية، والاسم: الهُزْء، والمراد به الاستهانة... ومعنـــى الاستهزاء: الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجهٍ يُضْحَكُ منه، وقد يكـــون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء"[٢].

كما عرّف الاستهزاء بأنه "إظهار موافقةٍ مع إبطان ما يجري مجرى الـــسوء علـــى طريقـــة السخرية"[٣].

تاسعاً: تفسير الشوكاني، المعروف بـــ (فتح القدير الجامع بين فَنَّي الرواية والدراية والتفسير) لمؤلفه محمد علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـــ):

وهو ينقل عن صاحب الكشاف تعريفه للاستهزاء، حيث يقول: "الهُزْء: السخرية، واللعـــب،.. وأصل الباب الخفة من الهُزْء، وهو القتل السريع... الخ"، كما نراه يتطرق لعدد من القضايا اللغويـــة والبلاغية فيما يخص الاستهزاء[٤].

عاشراً: تفسير "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" لمؤلفه: أبـــي الفـــضل شهاب الدين الألوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـــ):

---

(١) سامي وديع شحادة، الآيات القرآنية الواردة في المستهزئين بالإسلام ودعاته، رسالة ماجستير غير منشورة (فـــي التفسير)، مركز الرسائل الجامعية، الجامعة الأردنية، ص٢٠.

(٢) شهاب الدين أحمد الخفاجي (ت١٠٦٩هـــ)، تفسير (حاشية الشهاب) المعروف بـــــ "عنايـــة القاضـــي وكفايـــة الراضي على تفسير البيضاوي)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج١، ص٥٣٦.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص٥٣٦.

(٤) محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـــ)، فتح القدير الجامع بين فَنَّي الرواية والدراية والتفسير، د.ط، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١، ج١، ص٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي هذا التفسير تعريف للاستهزاء، بأنه "التحقير على وجهٍ من شأنه أن من اطّلع عليه تعجب منه، ويضحك"، وذكر بأن الاستهزاء هو اللعب[١].

كما ذكر "المشاكلة" في أثناء تفسيره لقوله تعالى: M ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ L وذكرها بأنه مشاكلة حسنة، وقال: "إن في الكلام استعارة تبعية، أو مجاز مرسل..."[٢].

ومن الكتب أو التفاسير التي تطرقت للاستهزاء بشكل واضح في العصر الحديث مجموعة من التفاسير، ومن أبرزها:

١. تفسير "في ظلال القرآن الكريم" لمؤلفه سيد قطب، حيث اهتم بالعديد من القضايا البلاغية والنفسية[٣].
٢. تفسير الشعراوي، لمؤلفه الشيخ محمد متولي الشعراوي، وهو من أهم التفاسير، التي اهتمت بالجوانب البيانية واللغوية في العصر الحديث[٤].
٣. تفسير "صفوة التفاسير" لمحمد علي الصابوني، وهو تفسير ميسّر في مجموعة من الأجزاء، ويعتمد في تفسيره على العديد من كتب التفسير، وعلى رأسها الكشاف للزمخشري، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي[٥].

---

(١) أبو الفضل شهاب الدين الألوسي (١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، م١، ص١٦٠.

(٢) المصدر السابق، م١، ص١٦٠.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، ط٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧١.

(٤) محمد متولي الشعراوي، تفسير لشعراوي، د.ط، نشر أخبار اليوم، د.ت.

(٥) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط٤، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٩٨١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني

المصطلحات والألفاظ المتعلقة بالاستهزاء

إن الدارس والمتدبر لمصطلح الاستهزاء في القرآن الكريم بخاصة، وفي كتب التفسير ومعاجم اللغة، وكتب النقد والأدب بعامة، ليجد أن هناك العديد من المصطلحات والألفاظ التي تتداخل مدلولاتها، وتختلط مفاهيمها من جوانب معينة مع مصطلح الاستهزاء.

وقد تناول هذه المصطلحات الكثير من الدارسين، حيث أفرد بعضهم كتباً خاصة بها، كما رأى بعضهم أن الاستهزاء هو تابع لتلك المصطلحات والمفاهيم، وهذه وجهات نظر تحتاج إلى تدقيق ومراجعة، من خلال عرضنا لتلك المصطلحات، وبيان مفهومها وعلاقتها بالاستهزاء.

ومن هذه المصطلحات ما هو قريب جداً من معنى الاستهزاء، ومنها ما هو أقل قرباً ولا يدلّ على الاستهزاء إلاّ بقرينة، ومن هذه المصطلحات: (السخرية، والتهكم، والتندر والتنديد، والفكاهة، والهجاء، والمزاح، والكناية والتعريض، وتأكيد الذم بما يشبه المدح، والهجاء في معرض المدح، والهزل الذي يراد به الجد، وتجاهل العارف، أو (سَوق المعلوم مساق غيرهِ لنكتةٍ)، والمفارقة، والنكتة، والدعابة، والرد بالمثل، والتبشير في موضع الإنذار، أو الوعد في مقام الوعيد، والمواربة، والمبالغة، والغفلة والتغافل، والتلاعب بالألفاظ والمعاني والتخلص).

المصطلحات الدالة على الاستهزاء:

١ - السخرية:

والسخرية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالاستهزاء، بل لعلها تكون الدرجة الأعلى في الاستهزاء، وقد جاءت مرتبطة به في القرآن الكريم، كما ذكرنا سابقاً في الآية الكريمة من سورة الأنعام: M + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 L (الآية ١٠)، حيث نتوصل إلى حقيقة مفادها بأن السخرية جزء من الاستهزاء، وهي أحد أشكاله، وأن العنوان الرئيس هو الاستهزاء، وهي فرع له.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا عُدْنا إلى المعاجم اللغوية نجد بأنها تحمل معنى الاستهزاء والضحك. قال صاحب أساس البلاغة: "سَخِرَ فلانٌ سُخْرَةٌ وسُخَرَة: فلان يَضْحَكُ منه الناس ويضحك منهم، وسَخِرتُ منه واسْتَسْخَرْتُ، واتخذوهُ سُخْرياً، وهو مَسْخَرة من المَساخِر"(١).

و"سَخِرَ: سَخِرَ منه وبِهِ، سَخْراً وسَخَراً ومَسْخَراً وسُخْراً، بالضم، وسُخْرة وسِخْرياً، وسُخْرياً وسُخْرية: هَزِئ به"(٢).

"وقال الأخفش: سَخِرْتُ منه وسَخِرتُ به: وضَحِكتُ منه وضَحِكتُ به، وهَزِئتُ منه وهَزِئت به. وفي الحديث القدسي: أتسْخرُ مني وأنا المَلِك؟ أي: أتستهزئ بي؟ وإطلاق ظاهره على الله لا يجوز، وإنّما هو مجاز بمعنى: أتضعني فيما لا أراه من حقي؟ فكأنها صورة السخرية"(٣).

وقال صاحب القاموس المحيط: "سَخِرَ منه وبه، كفَرِحَ، سَخْراً وسَخَراً..." أي هَزِئَ"(٤).

وقال صاحب مجمل اللغة: "سَخِرَ: سَخِرَ فلانٌ من فلانٍ (إذا استهزأ به)"(٥).

هذه بعض من تعريفات السخرية في بعض المعاجم اللغوية. أمّا تعريفات الاستهزاء فإنها تشمل أيضاً معنى السخرية، كما ذكرنا سابقاً، ولها معانٍ أخرى(٦).

يرى عدد من الدارسين بأن السخرية جزء من الأدب الفكاهي، ويصنفها بعضهم في مرتبةٍ بعد الاحتقار والاستصغار والاستهزاء(٧).

وقد وردت لفظة السخرية في القرآن الكريم بأشكال متعددة، وفي مواضع كثيرة، في ثمانية وثلاثين موضعاً من القرآن الكريم(٨). ومن هذه الآيات قوله تعالى: L u t s r M [الصافات: ١٤].

---

(١) الزمخشري، أساس البلاغة، (مادة سَخِرَ).

(٢) ابن سيدة، المخصص، (مادة سَخِرَ).

٣() ابن منظور، لسان العرب، (مادة سخر).

(٤) الفيروزأبادي، القاموس المحيط، (مادة سَخِرَ).

(٥) ابن فارس، مجمل اللغة، (مادة سَخِرَ).

(٦) انظر تعريف الاستهزاء فيما سبق (لغة).

(٧) محمد مفتاح، مدخل إلى قراءة النص الشعري (المفاهيم معالم)، فصول، المجلد السادس عشر، العدد الأول، صيف ١٩٩٧، ص٢٥٧.

(٨) محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، ص٤٢٦-٤٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا عن تعريفها الاصطلاحي فإننا أوردنا عدداً من تلك التعريفات في معرض حديثنا عن تعريف الاستهزاء اصطلاحاً، ولا أود إعادتها هنا خوفاً من التكرار.

يرى الدكتور عبدالحليم حفني بأن السخرية في مدلولها العرفي محددة لا تلتبس بمعنى آخر، ويدور في فلكها، بل يؤدي معناها عدة ألفاظ أبرزها التهكم والاستهزاء، وهي أسلوب عدائي مهما اختلفت في دوافعها، ومهما صغرت أو كبرت في العَداء، وهي تتميز عن غيرها من أساليب العِداء بأنها مصوغة بروح الفكاهة وأسلوبها[١].

وعندما نعود إلى حديث الباحثين عن السخرية ومفهومها وتحليلها وطبيعتها، نجد أن علماء النفس لم يفردوا لها حديثاً خاصاً، وإنّما بحثوها كجزء من ظاهرة عامة في الطبيعة البشرية، فهم يقولون: "الضحك، والابتسام، والمرح والفكاهة والمزاح والدعابة... الخ"[٢].

وهم -أي علماء النفس- يجعلون الضحك هو النتيجة المباشرة لكل تلك الأنواع التي ذكرناها[٣].

وهنا لا بد من الوقوف عند كتاب الدكتور عبدالحليم حفني، الذي عنونه بـ (السخرية في القرآن الكريم)، حيث جعل من السخرية عنواناً رئيساً في القرآن الكريم، وهو أساس بنى عليه الكثير من تأويل الآيات التي تحمل في طياتها ما هو أعمق من السخرية ألا وهو الاستهزاء، حيث كان من الأجدى أن يكون هو عنوان الكتاب؛ لأن مصطلح الاستهزاء هو أساس في كتاب الله، والسخرية فرع منه، وهذا ما نراه جلياً في الآية التي أوردناها سابقاً من سورة الأنعام، التي تؤكد لنا أن السخرية هي جزء من الاستهزاء. وأن مظاهر الاستهزاء في القرآن الكريم، عديدة، سوف نأتي على ذكرها -إن شاء الله- وهي كلها بما فيها السخرية، واللعب، واللهو، والغمز، واللمز، مصطلحات تنطوي تحت العنوان الرئيس، وهو الاستهزاء[٤].

ولعل الناظر المتدبر في آيات الاستهزاء القرآني ليجد أن العديد من المصطلحات التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالاستهزاء قد جعلها بعضهم متعلقة بالسخرية وليس بالاستهزاء، ولننظر مثلاً في قوله تعالى: M S T U V W X Y [\ ] [

---

(١) عبدالحليم حفني، أسلوب السخرية في القرآن الكريم، د.ط، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٧، ص١٣.

(٢) زكريا إبراهيم، سيكولوجية والفكاهة والضحك، ص٨.

(٣) عبدالحليم حفني، السخرية في القرآن الكريم، ص١٣.

(٤) انظر كتاب السخرية في القرآن الكريم، عبدالحليم حفني، انظر مثلاً ص٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

^ _ ` L [التوبة: ٦٥]، وهذه إشارة واضحة بأن الخوض واللعب، هما من صميم وأجزاء الاستهزاء، حيث لم يقل الله تعالى: كنتم تسخرون.

لقد وردت الآية الكريمة M + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 L مرتين، مرة في سورة الأنعام (الآية العاشرة)، والأخرى في سورة الأنبياء (الآية الحادية والأربعون)، وهذا تأكيد من الله -عزّ وجلّ- على أن السخرية مظهر من مظاهر الاستهزاء. هذا من ناحية، أمّا من الناحية الأخرى فإننا عندما استعرضنا المعاني اللغوية لكل من الاستهزاء والسخرية، وجدنا أن الاستهزاء يحمل معاني كثيرة وكبيرة، منها السخرية، ومنها القتل، ومنها الخفة، ومنها الانتقام. أمّا السخرية، فهي تحمل معنى الاستهزاء والإذلال، بمعنى أن معاني الاستهزاء أعمق وأكثر، وهذا ما يدلل على أن الاستهزاء هو العنوان الأكبر وأن السخرية وغيرها من المصطلحات والألفاظ هي جزء منه، بل ربما كانت أعلى درجاته.

وحاول بعض من علماء المعاني التفريق بين الاستهزاء والسخرية، حيث رأى بعضهم بأن الاستهزاء يقع ابتداءً من دون أن يقع من المُسْتهزَأ به ما يؤدي إلى حصول الاستهزاء، بخلاف السخرية، إذ تقتضي -كما يرون- وجود فعل سابق يُسْخَر منه"[(١)].

٢ - التهكُّم:

التهكُّم لغة: هو: التقحُّمُ والتهدُّم، و"هَكَمَ هَكْماً: تقحَّم على الناس، وتعرَّضَهُم بشَرٍّ، والتهكّم: الهُزء"[(٢)].

أمّا في اصطلاح الأدباء، فهو معنى ثانٍ من المعاني البلاغية التي تخرج إليها أساليب بلاغية، كالاستفهام التهكمي، ومنه قوله تعالى: M t u v w x y z { | } L

---

(١) أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، تحقيق لجنة التراث العربي، ط٥، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣، ٢٤٩.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ط١، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠١، ص١٠٣٤، وانظر الفيروزأبادي، القاموس المحيط، (هَكَم).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

~ تَفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ © L [هود: ٨٧]، فالاستفهام خرج إلى معنى الاستهزاء والتهكم(١).

وعرّفه الدكتور عادل العوا في مواكب التهكم بأنه: "التعرّض للناس بالشرِّ، ومن أفانينه الرئيسة وضروبه الفكاهة، والدعابة والمزاح والهزل، وهو بالمعنى الدقيق، الاستهزاء أو السخرية، وهذا هو المعنىٰ القرآني"(٢).

وتحت هذا الباب تقع الاستعارة التهكمية التي سنأتي على ذكرها –إن شاء الله- في الفصل الذي يُعنى بالبلاغة لمصطلح الاستهزاء.

والناظر في القرآن الكريم لا يجد لفظة التهكم بشكل صريح، حيث لم ترد هذه الكلمة في أية آية من آيات القرآن الكريم، لكننا نجدها متداولة في المعاجم اللغوية وفي كتب التفاسير وكتب الأدب، حيث رأينا أن بعض الدارسين جعل التهكم عنواناً رئيساً لبحثه، وربط به مجموعة من الألفاظ والمصطلحات، كما هو الحال في دراسة أحمد العنانزة، حيث درس التهكم في القرآن الكريم، وجعل هذا عنواناً رئيساً، يرتبط به مجموعة من المصطلحات، كالسخرية، والدعابة والهجاء، والهَزْل الذي يراد به الجد... الخ(٣).

وأرى بأن التهكم هو مصطلح مرتبط بالاستهزاء، وفرع له، كما هو الحال في السخرية، وليس عنواناً يرتبط به مجموعة من المصطلحات كما يرى الباحث، فالعنوان الرئيس في القرآن الكريم هو الاستهزاء والمصطلحات الأخرى متعلقة به، وربما كان التهكم درجة ثانية في الاستهزاء بعد السخرية، وهو يدلل على أن الاستهزاء هو الموضوع الرئيس وأن هناك أساليب أخرى من الاستهزاء ضابطها إخراج الكلام على ضد مقتضى الحال، حيث يورد تحت هذا العنوان مجموعة من الأساليب(٤).

---

(١) جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، د.ط، تحقيق علي البجاوي، القاهرة، ١٩٧٣، ج١، ص٤٣٨.

(٢) عادل العوّا، مواكب التهكم، ص١٩.

(٣) انظر، أحمد العنانزة، التهكم في القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز الرسائل الجامعية، الجامعة الأردنية، ص٣١.

(٤) المصدر السابق، ص٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتهكُّم إيماءٌ أكثر منه إعلاماً، وإنشاءٌ أكثر منه إخباراً، ولذا فإن من المتعذر تعريفه تعريفاً جامعاً مانعاً، ولكن من الجائز إلى حد ما –كما يرى عادل العوّا- رسم نشاط التهكم، ومحاولة بيان معناه[١].

وهو في المصطلح أيضاً: "الإتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار، والوعد مكان الوعيد، والمدح في معرض الاستهزاء"[٢].

لقد أشار إلى هذا المصطلح ابن أبي الاصبع المصري في كتابه تحرير التحبير[٣]، وسوف نأتي على هذا المصطلح في أثناء حديثنا عن البلاغة في أساليب الاستهزاء لاحقاً -إن شاء الله-.

٣- الفُكاهة والضَّحك:

الفكاهة في اللغة، فيها دلالة على "طِيبٍ واستطابة، من ذلك الرجُلُ الفَكِهُ، ومن الباب: المفاكهةُ، وهي المزاحة، وما يُستَحلى من الكلام"[٤].

والفاكِهُ: المازِحُ.. وفكّهْتُ القومَ بمُلح الكلام، والاسم: الفكيهة والفُكاهةُ، والمصدر الفُكاهَةُ[٥].

ومن الفاكهةِ ما نَحتْ فيه الآيات القرآنية نحواً مجازياً، فكان الفاكِهُ: (ونَعمةٍ كانوا فيها فكهين) بمعنى التمتع المعنوي، أو ما يُعرَف بالمزاح واللهو[٦].

وكان التفكُّهُ بمعنى التعجب والتندُّم والتلاوم على ما سلفَ من معصية، وذلك في قوله تعالى: L v u t s r qM [الواقعة: ٦٥].

لقد توقف القرآن الكريم عند الفكاهة في تسعة عشر موضعاً أو آية، تحدثت جميعها عن الثمار اليانعة الطيبة الشهية، التي خلقها الله لنا لنستمتع بطعمها وحلاوتها[٧].

---

(١) عادل العوّا، مواكب التهكُّم، ص٢٠.

(٢) ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق حفنى شرف، دار إحياء التراث، ص٥٦٨، وانظر محمد التونجي وراجي الأسمر، المعجم المفصل في عالم اللغة، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ج١، ص٢١٠.

(٣) ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير، ص٥٦٨.

(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة، (مادة فَكِهَ).

(٥) ابن سيدة، المخصّص، (مادة فَكِهَ).

(٦) رياض قريحة، الفكاهة والضحك في المشرق العربي، ص٦.

(٧) المصدر السابق، ص٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك ما هو أقوى من ذلك، وهو الاستهزاء، كما في قوله تعالى: M وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ L [المطففين: ٣١]، بمعنى المتعجب المتندر على شيء من الاستهزاء، فقد فسَّر الزمخشري ذلك بقوله: "إن المنافقين كانوا يلمزون المؤمنين في سلوكهم الديني ويضحكون عليهم ويتغامزون، متلذذين بذكرهم والسخرية منهم، ناسبين إلى المسلمين الضلال"(١).

أمّا الدلالة الأدبية للفكاهة فهي تشمل: "السخرية واللذع والتهكم والهجاء والنادرة والدعابة والمزاح والنكتة والتورية والهزل، والتصوير الساخر (الكاريكاتوري)"(٢).

ويحصُر البعضُ مهمة الفكاهة في أنها: "مجرد العبث والتسلية"(٣)، ولكنها "لا تخلو من غَرَض النيل من الآخرين"(٤).

وقد تعبِّر الفكاهة عن الاستهزاء في مضمونه؛ عندما تصل إلى حد الغموض، أو عندما تصبح ذات هدفٍ عدائي، أو دفاعي، ولكنها تكون في الأعمّ والأغلب أقل حِدّة وإيلاماً(٥).

ويرى بعض الدارسين أن الشعر الفكاهي في الأدب ذو وظيفة بريئة، لأنهم يرون بأن الفكاهة تقوم على العاطفة، على عكس الاستهزاء الذي يقوم على العقل(٦).

ويُذكر أن النبي محمد عليه الصلاة والسلام: "أنه كان من أفكهِ الناس إذا خلا بأهله"(٧).

أمّا الضحكُ فقد ضمَّ القرآن الكريم عشر آياتٍ في الضحكِ، انقسمت مناصفة بين معنيين رئيسين، هما: الفرح والسخرية التي هي جزء من الاستهزاء.

ففي المعنىٰ الأول، تقعُ على الضحك في مقابلة البكاء والانقباض، تأكيداً لحقيقة ما شرعَ الله للإنسان من فترات اللهو والانبساط والسرور، ترويحاً للنفس المكافحةِ المستميتةِ لتأمين قوتها وقوت أهلها(٨).

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٢٢٣.
(٢) انيس فريحة، الفكاهة عند العرب، ط١، مكتبة دار بيروت، ١٩٦٢، ص١٤.
(٣) شوقي المعاملي، الاتجاه الساخر في أدب الشدياق، ص١٠.
(٤) سيمون بطيش، الفكاهة والسخرية في أدب مارون عبّود، ص١٨.
(٥) فراس الحاج محمد، السخرية في الشعر الفلسطيني، ص١١.
(٦) المصدر السابق، ص١١.
(٧) عادل العوّا، مواكب التهكم، ص١٦.
(٨) محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرن الكريم، ص٤١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي المعني الثاني نقع على الضحك الهازئ الساخر، الذي مارسه الكفار تجاه المؤمنين في كثير من المواقف والمناسبات بما يشبه التعالي والاستهزاء، ونجد هذا لدى المؤمنين الذين لم يجدوا بُداً من المعاملة بالمثل، فضحكوا من الكفار عندما بلّغهم الله جنّات الخلد المُسعدةِ، في أعلى علّيين، بينما كان مصير أولئك الكفار أغلال العذاب في الدرجات السفلى من نار جهنم، وهذا ما جاءت تصدّقه وتؤكده الآيات القرآنية في مثل قوله تعالى: M إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ L [المطففين: ٢٩]، وقوله تعالى: M فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ç è L [المطففين: ٣٤][١].

٤ - المزاح:

يرى بعض الباحثين بأن دلالة المزاح لا تختلف عن الفكاهة، إذ تعني المُداعبة، وهذه المداعبة قد تحصل بالأفعال، وهي دلالة عامة، وقد تحصل بالكلام والتحادث[٢]. كما يعتقد آخرون أن هناك فرقاً بين المزاح من جهةٍ والاستهزاء والسخرية من جهةٍ مقابلة؛ إذ إنَّ المزاح "لا يقتضي تحقير مَنْ يمازحه، ولا اعتقاد ذلك، ألا ترى أنَّ التَّابعَ يُمازحُ المتبوع من الرؤساء، أو الملوك، ولا يقتضي ذلك تحقيرهم، ولا اعتقاد تحقيرهم، ولكن يقتضي الاستئناس بهم؟[٣].

وقد كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) كما قلنا سابقاً، يمزح ولا يقول إلَّا حقاً[٤] فمن مزحهِ (عليه السلام): أتته امرأةٌ عجوز أنصارية، فقالت له، يا رسول الله، ادعُ الله أن يدخلني الجنّة، فقال لها: "لا يدخلُ الجنة عجوز"[٥].

وثمة من يرى بأنَّ المزاح الساخر: "هو أخفُّ درجات الهجاء التي تقع بين الدعابة والسخرية"[٦]، إلا أننا إذا تأملنا في أنواع المزاح سنجد أنَّ معظمها يبتعد عن الاستهزاء الساخر، بل إنه يُستخدم للترويح عن النفس، وأن الاستهزاء يقتضي الانتقاص من المُستَهزَأ به، على عكس

---

(١) محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٤١٨.
(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، (مادة: مَزَحَ).
(٣) ابن فارس، الفروق في اللغة، ص٢٤٨.
(٤) أحمد الحوفي، الفكاهة في الأدب، ج١، ص٣٠.
(٥) محمد بن محمد الزبيدي، إتحاف السادة المتَّقين بشرح إحياء علوم الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩، ج٠، ص٢٢٥.
(٦) محمد التونجي، وراجي الأسمر، المعجم المفصل في عالم اللغة، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٣٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المزاح الذي يوجبُ علاقة حب واحترامٍ بين المتمازحين، وليس أدلُّ على ذلك من استخدام ألفاظ الاستهزاء في سياقاتٍ ساخرة متهكمة كما يتضح ذلك من الاستعمالات القرآنية لها.

٥ - التَّنَدُّرُ والتَّنْديرُ:

ويدلُّ التندرُ والتَّنْدير في اللغة على سقوط الشيء، أو إسقاطه، ونَدَرَ الشيءَ: إذا سقط[١].

وقد تطرَّق إليه عدد من الأدباء والنُّقاد، فعرَّفوه بأنه: "إتيانُ المتكلم بنادرة حلوةٍ، أو مُجْنَةٍ مُسْتَظرفةٍ، وهو يقع في باب الجدِّ والهَزْل"[٢].

وربما كانت دلالة التندر أو التنْدير الأدبية قد أُخذتْ من مادة "نَدَرَ"، وفيها محاولة الإسقاط، أو إظهار العيوب بطريقة ملتوية، فيها تَبالُه وتجاهل، وإظهار نوادر الشخص الذي يُتَنَدَّرُ منهُ، وشذوذه[٣].

إذن فهو يعني أو يهدف إلى التعريض والهجاء والاستهزاء.

٦ - الكناية والتعريض:

يَعُدُّ بعض الدارسين الكناية والتعريض من أبرز أفانين القول في البلاغة العربية القديمة ويمكن توظيفهما في أغراضٍ عديدة، وسياقات مختلفة، أبرزها: الغزل، والمدح، والهجاء، والشكوى، وما إلى ذلك من السياقات الأدبية[٤].

وقد عرَّف عبدالقاهر الجرجاني الكناية في دلائل الإعجاز بـ"أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى تاليه وردْفه في الوجود، فيومئ إليه، ويجعله دليلاً عليه"[٥].

ويمثل الاستهزاء مجالاً من مجالات توظيف الكناية والتعريض، فقد يلجأ المستهزئ إلى أسلوب الكناية ليعبِّر عن المعاني القبيحة، والأخلاق الرذيلة، والطبائع المستهجنة مثل أن يلجأ أديب

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (مادة نَدَرَ).

(٢) شهاب الدين أحمد النويري (٧٣٣هـ) نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب، د.ط، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٣، ج٧، ١٧٢.

(٣) صادق إبراهيم كاوري، السخرية في الأدب، مجلة المعرفة السورية، دمشق، العدد ٤٨٩، ٢٠٠٤م، ص١١.

(٤) خير الدين العبادي، السخرية في شعر بشار بن برد، ص١٢.

(٥) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص١٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى الاستهزاء بشخصٍ ما فيقول: (هو عريض القفا، ذو معدةٍ كبيرةٍ، ويدٍ ممدودةٍ)، وهي أوصاف مُسْتَهْجنة في الشخصية البشرية[١].

وقد ذكر التعريض مقروناً بالكناية في كتب البلاغة والنقد، وقد وردت العديد من التعريفات له، وجاءت في سياق الكناية، وجاء بعضها مختلطاً بها.

وجاء في (البرهان في علوم القرآن) للزركشي بأن التعريض هو: "الدلالة على المعنىٰ عن طريق المفهوم، وسُمي تعريضاً؛ لأنَّ المعنىٰ باعتباره يُفهم مِنْ عَرْضِ اللفظ، أي مِنْ جانبه، ويُسمى بالتلويح؛ لأن المتكلم يلوِّحُ منه للسامع ما يريده"[٢].

ويرى عدد من الدارسين أنَّ هناك فرقاً بين الكناية والتعريض؛ إذ إن التعريض: "أخفى من الكناية؛ لأنَّ دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز، ودلالة التعريض من جهة المفهوم، لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي، وإنَّما سُمي التعريض تعريضاً لأنَّ المعني فيه مِنْ عَرَضه، أي من جانبهِ"[٣].

وقد وُظِّفت الكناية في الكثير من المعاني، وكذلك وُظِّف التعريض، وسنأتي على أمثلة منه عند الحديث عن البلاغة في أسلوب الاستهزاء القرآني لاحقاً –إن شاء الله-.

٧- الدُّعابة

وتعرَّف لغةً بأنها مأخوذة من مادةِ (دَعَبَ)، داعَبَهُ، مُداعَبَةً: مازحه، والاسم: الدُّعابة، والمُداعبة: المُمازحة والدُّعبُوبُ كالدُّعابة، وهو القصير الذميم، والضعيف الذي يهزأ به[٤]، والمُداعبة: المُضاحكة، وأدعبَ الرجلُ: جاء بشيءٍ يُسْتَمْلَحُ، والمُلْحَةُ: الكلمةُ المليحةُ[٥].

---

(١) العبادي، السخرية في شعر بشار بن برد، ص١٢.

(٢) بدر الدين عبدالله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، د.ط، القاهرة، ١٩٥٧، ج٢، ص٢١١.

(٣) ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي، ط٢، منشورات دار الرافعي، الرياض ١٩٨٣، ج٣، ص٥٧.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، (مادة: دَعَبَ)، وانظر الفيروز أبادي، القاموس المحيط، باب الباء فصل العين، ص٧٩.

(٥) محمد عبدالرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعريف، ط١، تحقيق محمد الدّاية، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٤١٠هـ، باب الدال فصل العين، ص٣٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما تعريفها في الأدب فهي: "صفة المَرح في نادرةٍ، أو طُرْفةٍ، أو جملةٍ يتعمد الأديب ذكرها في النَّصِّ الرصين، يخلقَ جواً فيه راحة، أو الأسلوب الساخر"(١).

وتكون الدُّعابةُ –غالباً- ما بين المحبين والأصدقاء، وليس لها في الأصل مِن غَرضٍ سوى الضَّحِكِ والإضحاك(٢)، ويرى آخرون بأن الدُّعابة إذا تطورت صارت سخرية مصيرها إلى الهُزْءِ أو الاستهزاء(٣).

وتمتلئ كتب التراث والأدب بالكثير من الدُّعابات، ومنها دعابات القضاة، ومن أمثلتها ما جرى بين قاضي بلخ وصاحب له، كتب إليه يداعبه، ويطايبه، ويستهديه من ثمرات بَلْخ فأهدى إليه القاضي عِدْلَ صابون، وكتب إليه كتاباً قال فيه: "وقد بعثت إلى الشيخ –أيده الله تعالى- عِدْلَ صابونٍ، ليغسلَ بهِ طَمَعَهُ عنِّي، والسلام"(٤).

٨- تأكيد الذَّم بما يشبه المدح:

ويكون ذلك عن طريق "الإتيان بصفةِ مدح منفيةٍ بأداةِ نفي، أو مثبتةٍ، متلوةٍ بصفةِ ذَمٍّ مستثناةٍ، والجملة الثانية تُوهم السامع وتدفعه إلى توقع صفة المدح، إلا أنه سرعان ما يُفاجأ بصفةِ ذمٍّ أخرى، وهو قسمان(٥):

أ- أن يُستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذمٍّ بتقدير دخولها فيها، مثل: "فلان لا خير منه إلَّا أنَّه حقود".

ب- أن يثبتَ للشيء صفة ذمٍّ، ويعقبها صفة ذمٍّ أخرى مستثناة، مثل: فلانٌ بخيلٌ إلا أنَّه جشع.

---

(١) محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج٢، ص٤٤٠.

(٢) أحمد الحوفي، الفكاهة في الأدب، ج١، ص٧٣.

(٣) عادل العوّا، مواكب التهكم، ص١٥.

(٤) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (٤٢٩هـ)، الكناية والتعريض، ط١، تحقيق ودراسة أسامة البحيري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧، ج٤، ص١٦٧.

(٥) جلال الدين محمد بن عبدالرحمن الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، د.ط، مطبعة المحمدية، مصر، د.ت. ج٢، ص٣٧٤، وأنظر النويري، نهاية الأرب، ج٧، ص١٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩ - الهجاء في معرض المدح:

وهو: أن يأتي المنشئ: أو الأديب بألفاظٍ ظاهرها مدحٌ، وباطنها ذمٌّ ومدحٌ، حيث يقول ابن أبي الإصبع المصري عن هذا المصطلح أو هذا الأسلوب، ما يلي: "وهو أنْ يقصد المتكلم إلى هجاء إنسان، فيأتي بألفاظٍ موجهة ظاهرها المدح وباطنها القَدْحُ، فَيُوهمُ أنه يمدحه، وهو يهجوه"(١).

وقد ذكر الثعالبي أنَّ العرب إذ تعمد المدح يُراد به الذَّمَ، وتجريه مجرى التهكم والهزل، إنما تفعل ذلك، فتنقول للرجلِ تستجهله، "يا عاقل"، وللمرأة تستقبحها، "يا قمرُ"(٢).

١٠ - الهَزْل الذي يُراد به الجدُّ:

ويُعرَّف الهَزْل بأنه نقيض الجدُّ، وأما الهُزَالةُ: الفكاهة(٣).

وأما مِن حيث الاصطلاح، فقد عدَّه ابن المعتز من محاسن الكلام، ومن أمثلته قولُ أبي نواسٍ:

إذا ما تميميٌّ أتاكَ مُفَاخراً فقُلْ عَدِّ عَنْ ذا كِيفَ أكلك للضَّبِ؟(٤).

وقد أهمل هذا المصطلح إلى أنْ وصل إلى المصري ابن أبي الإصبع الذي قال في تعريفه: "هو أن يقصد المتكلم مَدْحَ إنسانٍ، أو ذمَّهِ، فيخرجَ ذلك مخرجَ الهَزْل المعْجِب، والمجون المُطْرِب"(٥).

---

(١) ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير، ص٥٥٠.
(٢) أبو منصور الثعالبي (٤٢٩هـ)، الكناية والتعريض، ص٤٩٨.
(٣) ابن سيدة، المخصص، (مادة هَزَلَ).
(٤) ابن المعتز، البديع، ص٦٣.
(٥) ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحرير، ص١٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١ - تجاهل العارف أو (سَوقُ المعلوم مَساقَ غيره لنكتةٍ):

والتجاهل هو أن يُري الإنسانُ من نفسه الجهل، وليس به[١].

أما من حيث الاصطلاح، فقد ذكره ابن المعتز (٢٩٦هـ)، وعدَّه من محاسن، الكلام[٢] ومثَّل بقول زهير ابن أبي سُلمى:

وما أدري وسوفَ إخالُ أدري أقومٌ آلُ حِصْنٍ أمْ نِسَاءُ[٣]

وعرَّفه أبو هلال العسكري، فقال في تعريفه: "هو إخراج ما يُعرَفُ صحتُه مخرَجَ ما يُشكُّ فيه ليزيد بذلك تأكيداً"[٤].

كما عرَّفه ابن أبي الإصبع المصري بقوله: "هو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه به يخرج كلامه مخرج المدح أو الذم، أو ليدلَّ على شدة التّدله في الحُبِّ، أو لقصد التعجب، أو التقرير، أو التوبيخ"[٥].

وقد ضرب ابن أبي الإصبع على هذا المصطلح أمثلة كثيرة من القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: M **فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ** L [القمر: ٢٤]، وهناك أمثلة أخرى سنأتي على ذكرها –بإذن الله- في فصل البلاغة[٦].

---

(١) سالم إبراهيم الأحمد، المصطلح البلاغي عند ابن أبي الإصبع المصري في كتابيه تحرير التحبير وبديع القرآن، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، نيسان، ٢٠٠١م، رسالة غير منشورة، مركز الرسائل الجامعية، الجامعة الأردنية، ص١٣.

(٢) ابن المعتز، البديع، ص٦٢.

(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى، صنفه الإمام أبي العباس الشيباني، تحقيق التراث العربي، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٤، ص٦٢.

(٤) أبو هلال العسكري الحسن بن سهل (٣٩٥هـ)، الصناعتين، تحقيق على محمد البجاوي وآخرون، نشر عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت، ص٣٩٦.

(٥) ابن أبي الإصبع، بديع القرآن، ص٥١.

(٦) المصدر السابق، ص٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢ - المفارقة:

وهي ترتبط بالاستهزاء ارتباطاً وثيقاً، فهي تنبثق من حقيقة مفادها، "التناقض بين ما يقول النَّاس وما يفكرون، وبين ما يعتقدون، وما هو واقع الحال"(١). كما أنها تأخذ معنى الاستهزاء، فهي: "أن تقول شيئاً وتقصد العكس"(٢).

ويعرفها بعضهم بأنها: "أن يكون السامع متابعاً لموضوع ما، وبحكم التوقُّع المنطقي للأحداث في ترتيب بعضها على البعض، يتوقع السامع شيئاً معيناً، أو نحواً معيناً من الكلام يتفق مع ما سبق أن استمعه، ويترتب عليه، أو يُناسب الموقف الذي يصدر منه الكلام، إذا هو يُفاجأ بما لا يتفق مع ما قبله، ولا يناسب الموقف"(٣).

ويرى ميويك أنَّ المفارقة هي "التصنُّعُ والادِّعاءُ، أي الاختفاء تحت المظهر الكاذب الخدَّاع، وتصوير الحقيقة على نحو مغاير ومعاكس"(٤).

ومن هذه التعريفات أيضاً: "أن يعبِّر المرء عن معناه بلغةٍ تُوحي بما يناقض هذا المعنى، أو يخالفه، ولاسيما أن يتظاهر المرء بتبني وجهة نظر أخرى، إذ يستخدم لهجة تدل على المدح، ولكن بقصد التهكم والسخرية"(٥).

١٣ - النُّكْتَةُ:

وتدخل تحت مصطلح المفارقة، وتستعمل لخلق "جو من المتعة، وإدخال نوع من السرور إلى النفوس عن طريق إبراز المفارقة والتباين في الأشياء والمواقف، كما تستعمل للتَّبرُّم مِنْ وضعٍ قائمٍ، والترويح عن النفس فيه، ومَدِّ جسور التواصل مع الآخرين"(٦).

١٤ - الردُّ بالمثل:

---

(١) د. سي ميويك، المفارقة، موسوعة المصطلح النقدي، ترجمة د. عبدالواحد لؤلؤة، دار المأمون للنشر، د.ت، ص١٥.

(٢) المصدر السابق، ص١٦.

(٣) عبدالحليم حفني، السخرية في القرآن الكريم، ص٢٢.

(٤) د. سي ميويك، موسوعة المصطلح النقدي، ص٤٦.

(٥) خيرالدين قاسم العبادي، السخرية في شعر بشار، ص١٧.

(٦) كمال راغب الحلبي، النكتة صناعة ورسالة، مجلة المعرفة السورية، دمشق، العدد ٤٦٨، ٢٠٠٢م، ص٢٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو فنٌّ قائمٌ على التماثل، ومن ذلك: أن الأخطل مرَّ بالفرزدق، وهو صبيٌّ، فقال: أيَسُرُّكَ أن أكُونَ أباكَ؟ فقال الفرزدقُ: لا، ولكن يَسرُّني أنْ تكونَ أمِّي، فيأكلَ أبي من أطيابكَ!"[١].

١٥ - اللعب بالألفاظ والمعاني:

ويقع تحتها: الكناية، والتورية، والتعريض والقلبُ، وذكرنا بعضها فيما مضى.

١٦ - التبشير في موضع الإنذار، أو الوعد مكان الوعيد، كقوله تعالى: M ~ **ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** L [النساء: ١٣٨].

١٧ - الهجاء:

وهو في اللغة ضِدُّ المدح[٢]، وهجاه، يهجوه هَجْوَاً وهِجاءً: شتمه بالشِّعر[٣]. ويرى بعض الدارسين بأنَّ الهجاء هو: "شكل من أشكال التنازع الاجتماعي"[٤]. ويعرِّفه مجدي وهبه بأنه: "القَدْحُ، أو الكلام الذي يُقصد به القَدْح والذمُ والحَطُّ مِنْ شَأنِ مَنْ يوجَّهُ إليه"[٥].

ويعتقد عبدالعزيز شرف بأنَّ الهجاء قائم على العاطفة والتأثير الآني، وقد سبق الفنون الكوميدية التي تتكئ على العقل، ولكنها –هي نفسها- متطورة عنه، فالهجاء أصل الأنواع الأدبية الفكاهية[٦].

ويُعَدُّ الهجاء أخصَّ أغراض الشعر في الأدب العربي قرباً إلى الاستهزاء، فهو يشبه التصوير الساخر، لأنه يمسخ خصائص المهجو، ويبرز عيوبه، ويبالغ في بعضها على نحو يخص ما لدى

---

(١) الراغب الأصفهاني: (٥٠٣هـ)، محاضرات الأدباء، ومحاورات الشعراء والبلغاء، ط١، تحقيق عمر الطباع، دار الأرقم، د.ت.

(٢) محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، (مادة هَجَا).

(٣) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، باب هجا.

(٤) فراس الحاج محمد، السخرية في الشعر الفلسطيني المقاوم، ص١٣.

(٥) مجدي وهبه، معجم مصطلحات الأدب واللغة، ص٢٥٩.

(٦) عبدالعزيز شرف، الأدب الفكاهي، ط١، مكتبة لبنان، ١٩٩٢، ص٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المَهْجُوِّ من محاسن، وقد كانت العرب لا تفحش في الهجو، وتكتفي بالسخرية، ثم اتخذ بَعض الشعراء طريقاً للإقذاع والفُحش، والتَّعرُّض للمحرمات، فكثر السُّباب والقذف والإفحاش[١].

ويفرق بعض الباحثين بين الهجاء والاستهزاء الساخر، بأنَّ الهجاء نابع من نفسٍ غاضبةٍ حاقدةٍ، والاستهزاء، يصدر عن نفسٍ ساخرةٍ منتقدةٍ ليس فيها تجريح، أو تشهير، بل يمكن أنْ يكون فيها تهذيب وتقويم واصطلاح على عكس الهجاء[٢].

أنظر إلى قول ابن الرُّومي الشَّاعر الهجَّاء المعروف فيما يقول في خالدٍ القبطيّ:

يا مُستقر العار والـ ـنَّقْص أغْنَتْ مخازيكَ عن الفَحْص
معايب النَّاس وسوءاتُهم قد جُمعت لها في شَخْصِ[٣]

ويأتي الهجاء في مرتبةٍ أدنى من الفكاهة والسخرية والاستهزاء، فهو أسلوب "اجتماعي ليس فيه ما يتصف بالسُّموِّ؛ فالهجاء هو أدب الغضب المباشر والثورة المكشوفة، على حين أن الاستهزاء الساخر أدب الضحك القاتل والهزء المبني على شيء من الالتواء والغموض"[٤].

وتحفل كتب الأدب العربي بالكثير من الأشعار في غرض الهجاء وعلى مرِّ العصور الأدبية العربية، ولما جاء الإسلام لم يُجز النبيّ –صلى الله عليه وسلم- الهجاء في غير المشركين، بل أوجبت الشريعة الإسلامية إقامة الحدِّ على منْ قذفَ محصناً، أو محصنة، وكذلك فعل الصحابة من بعده عليه السلام[٥].

وقد حشد شاعرُ الرسول –صلى الله عليه وسلم- حسانُ بن ثابت (رضي الله عنه) أسلحة الاستهزاء والسخرية في أداء الوظيفة الدِّفاعية للشعر عن الإسلام، ونقض هجاء المشركين كقوله في رهطِ النَّجاشِي الشاعر:

لا بأسَ بالقَوم مِن طولٍ ومِنْ عِظَمٍ جسمُ البغالِ وأحلامُ العصافير[٦]

---

(١) عادل العوا، مواكب التهكم، ص٥٣، وانظر، محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج٢، ص٨٧٢.
(٢) أحمد الحوفي، الفكاهة في الأدب، ج١، ص٧٣، ج٢، ص٦٧.
(٣) ديوان ابن الرومي، تحقيق عبدالأمير مهنّا، د.ط، دار الهلال، د.ت، ص١٠.
(٤) فراس الحاج محمد، السخرية في الشعر الفلسطيني المقاوم، ص١٤.
(٥) عبدالعزيز شرف، الأدب الفكاهي، ص٨٢.
(٦) ديوان حسان بن ثابت، د.ط، دار صادر، بيروت، ص٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٨ - المواربة:

وتُعَرَّف المواربة بـــ: "أن يقول المتكلّمُ قولاً يتضمن ما ينكر منه بسببه وتوجَّه إليه المؤاخـــذة، فإذا حصل الإنكارُ عليه استحضر بذكائه وجهاً من الوجوه، إمَّا بتحريـــف كلمـــةٍ، أو تـــصحيفها، أو بزيادة، أو نقصٍ، أو غير ذلك"(١).

وقد أورد ابن حجة الحموي في خزانة الأدب قول أبي نواسٍ في جارية الرشيد، وكان اســـمها (خالِصة)، وأراد أن يهجوها:

لقد ضاعَ شعري على بابِكُمْ كما ضاعَ عِقْدٌ عَلى خالصَة

فلما بلغ الرشيد قولَ أبي نواسٍ غضب منه وهدده، فقال: لم أقُلْ إلا:

لقدْ ضاءَ شعري على بابِكُم كما ضَاءَ عِقْدٌ على خالصة

فاستحسن الرشيد مواربته(٢).

١٩ - المبالغة:

وقال عنها الرُّمّاني بأنها: "المبالغة: الدلالة على كِبَر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبانة"(٣).

وعرفها آخرون بـــ: "يدعي أنْ المتكلم لوصف بلوغه في الشدَّةِ، أو الضعفِ حداً مـــستبعداً أو مستحيلاً، فيفرط في الوصف وتجسيم الصورة أو العيب، بغرض السخرية"(٤).

بمعنى أنها الإفراط في الوصف وتجسيم الصورة أو العيـــب المقـــصود بفـــرض الاســـتهزاء والسخرية.

---

(١) ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، د.ط، دار صادر، بيروت، ج٢، ص٢٥٢.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٢٥٣.

(٣) أبو الحسن علي بن عيسى الرُّماني (٣٨٦هـــ)، النكت في إعجاز القرآن الكريم، تحقيق محمد خلق الله ومحمـــد زغلول سلام، ضمن ثلاث رسائل في الإيجاز، ط٤، دار المعارف، د.ت، ص١٠٤.

(٤) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط١٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٠ - الغفلة والتغافل:

ويوصف الإنسان الذي فقد نعمة الذكاء بأنه غافل، وتصرفاته تتصف بالغباء، وهو يخطئ في الحكم على الأشياء، بحيث يتصور الأشياء بشكل مقلوب، ويتعامل مع الواقع حسب قدراته، وهو يظن نفسه ذكياً وهذا شيء سيءٌ، حيث يزداد منه الضحك، بحيث يتصرف بشكل مفاجئ للمتوقع، ويتمثل فيه خلل المنطق وغرابة تفسير الأشياء(١).

وذو الغفلة لا يشعر بغفلته، بل إنه ليظن في نفسه بأن الضاحكين والمستهزئين به هم المغفلون أو الأغْفَال(٢).

أما التغافل فيراه بعضهم بأنه "تَصنُّع الغفلة، فلقد يكون الشخص عاقلاً أريباً لكنه يتغافل، فيخال النَّاسُ أنه ذو غَفْلةٍ"(٣).

وهناك أسباب متعددة للتغافل، منها: الاستهزاء والسخرية بالآخرين، ومنها التقيَّة وستر النفس فراراً من العقاب، أو الاضطهاد، أو التهمة، ومنها أيضاً إيجاد الفرصة لانتقاد مواقع الحكام، وخاصة إذا كانوا ظالمين لا يقبلون انتقاداً أو اعتراضاً، ومنها رغبة الشخص أن يفكَّهَ النَّاسَ، أو يتقربَ منهم، وأن ينال عونهم وعطاءَهم(٤).

٢١ - التناقض:

ويعرِّفه بعضهم بأنه: "أن يقيس الشخص قياساً صحيحاً في صورته، باطلاً في حقيقته فيحكم بما يخالف أحكام الناس جميعاً"(٥).

أو أن "يتكلم الشخص كلاماً يريد به الإصلاح، ويغفل عما فيه مِنْ إفسادٍ، أو هو يقصد الإفساد في صورة الإصلاح، أو عملاً يبغي به الخير، وهو لاهٍ عما يجري من شَرٍّ أو يقترف الشرَّ في مظهر الخير، وربما كان ما نسميه النفاق، كأن يعظ الشخص غيره ولا يفعل في المجلس نفسه ما يعظ به(٦).

---

(١) د. نزار الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، ص٣٧.
(٢) د. أحمد الحوفي، الفكاهة في الأدب، ص٢٢.
(٣) المصدر السابق، ص٢٣.
(٤) نزار الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، ص٣٧، و أحمد الحوفي، الفكاهة في الأدب، ص٢٣.
(٥) د. أحمد الحوفي، الفكاهة في الأدب، ص٣٧.
(٦) د. أحمد الحوفي، الفكاهة في الأدب، ص٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٢ - التخلصُ الفكِهُ:

والمقصود به: "الخروج من المواقف المحرجة بسرعة بديهة، وذكاءٍ وقدرةٍ على الردِّ بالمثل، حيث يجابه الشخص المستهزئ بعكس ما كان يتوقعه فيسقط في يده، ويكون على غير ما أراد من إضحاك الآخرين، بخصمه، بل يكون الجواب مسكتاً وأكثر إضحاكاً، لأنه اعتمد على سرعة الخاطر، والقدرة البيانية على الردِّ المناسب والتخلص الفكِهِ من الموقف، مما يبعث على الضحك"(١).

ومن أمثلة التخلص الفكِهِ: "أن ابن أبي ضحْيَان الأزدي كان يقرأ: "قُل يا أيُّها الكافرين لا أعبد ما تعبدون"، فقيل له: ليست القراءة كذلك، وإنما هي: "قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ"، فقال: قد عرفتُ القراءةَ الصحيحة في ذلك، ولكنِّي لا أجِلُّ أمْرَ الكفار"(٢).

٢٣ - الشَّماتة:

الشَّماتةُ: من مادة (شَمِتَ): كَفَرِحَ، شماتاً وشماتة، فَرِحَ ببلية العدوِّ، وأشْمَتَهُ الله به، وقيل: الفرحُ ببليةٍ تنزلُ بمن تعاديه(٣).

وقال المصري: "هو إظهار المسرَّةِ بمن نالته محنة، أو أصابته نكبة"(٤).

ومن ذلك قول ابن الرُّومي:

لا زالَ يومُكَ عِبْرَةً لِغَدِك ... وَبَكَتْ بشِجوٍ عينُ ذي حَسَدِكْ

فلئن بكيتَ لطالما نُكِبَتْ ... بكَ هِمةٌ لجأتْ إلى سَنَدِكْ(٥)

وقال المصري: "ولم أظفر منه في الكتابِ العزيز بشيء إلا قوله تعالى لفرعون، وقدْ قال فرعون: M = < ? @ A B C D E F L [يونس: ٩٠]، إلى قوله تعالى: M L K L، إلى قوله تعالى: M ۚ ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ L Q P O N M

(١) نزار الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، ص٤٤.

(٢) أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، د.ط، دار صعب، بيروت، ج٤، ص٢٠.

(٣) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (شَمِتَ).

(٤) د. أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.ط، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧، ج٣، ص٥٧.

(٥) ديوان ابن الرُّومي، تحقيق عبدالأمير مهنا، د.ط، دار الهلال، بيروت، ص١٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ L [السجدة: ٢٠]، ومنه قوله تعالى: M k l n m o p q r L [التوبة: ٣٥][١].

٢٤ - التَّسْفِيهُ:

التسفيهُ: من الفِعل (سَفِهَ، والسَّفَهُ: خِفَّةُ الحِلْمِ، أو الجَهْلِ، وسَفِهَ نفسهُ ورأيَهُ: حَمَلَهُ على السَّفَهِ، أو نَسَبَهُ إليهِ، وسَفِهَ: كفَرِحَ، وهو سفيهٌ، والجمعُ: سُفَهاءُ وسِفاهٌ، وسَفَّهَهُ: جعله سفيهاً، والسفيه: السَّخِيفُ[٢].

٢٥ - الاستخفاف:

والاسْتِخْفَافُ: من الفعل (خَفَفَ)، خفَّ، وهو حَمْلُ الإنسان على الجَهْلِ والخِفَّةِ، وإزالة عما كان عليه من الصَّواب[٣].

٢٦ - الطَّنَزُ:

والطَّنَزُ: السخريةُ، وطنَزَ به، فهو طَنَّازٌ وهم مَطْنَزَةٌ: لا خيرَ فيهم هيِّنةٌ أنفسهم عليهم[٤]، والطَّنَزُ: التكلُّمُ باسْتهزاء[٥].

٢٧ - الغَمْزُ واللَّمْزُ والهَمْزُ:

الغَمْزُ: وهو الإشارة بالعينِ والجفنِ والحاجب، وغَمَزَ بالرَّجُلِ، سَعَى به شرّاً، غَمَزَ عيبهُ: ظهَرَ، وفيه مَغْمَزٌ وغميزةٌ: أي مَطْعَنٌ، وأغْمَزَ فلان: عابَهُ وصَغَّرَهُ[٦]. التغامز: أن يشير بعضهم إلى بعضٍ بأعينهم، أو باليدِ طلباً إلى ما فيه من (عيبٍ) ونقصٍ[٧].

---

(١) ابن أبي الإصبع، بديع القرآن، ص٢٨٢.
(٢) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (مادة سَفِهَ).
(٣) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (مادة خَفَفَ).
(٤) المصدر السابق، (مادة طَنَزَ).
(٥) ابن سيدة، المخصص، (مادة طَنَزَ).
(٦) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (مادة غَمَزَ).
(٧) المصدر السابق، ص (غَمَزَ).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والغمزُ والغميزةُ: ضَعفٌ في العمل وفهَّةٌ في العقل، يُقالُ: سَمِعْتُ منه كلمةً فتغمزتها في عقلِه، وليس في فلانٍ غميزةٌ ولا غميزٌ ولا مَغْمَزٌ، أي ما يُعابُ بهِ[١].

يقول تعالى: M إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ L [المطففين: ٢٩-٣٠]. ويبدو لنا من الآية الأولى صور استهزاء الكفار وهي الضَّحك، والصورة فيه جاءت عن طريق الغمز استهزاءً بالمؤمنين.

أما اللَّمْزُ: العَيْبُ والإشارةُ بالعَيْن ونحوها، يَلْمُزُهُ، ويَلْمِزُهُ، وقيل: اللَّمْـزُ: الاعتيـابُ وتتبـعُ المعايب، وقيل: هو الطعن في الأنساب[٢].

قال تعالى: M ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ L [التوبة: ٧٩].

يقول عدد من الدارسين بأنَّ اللَّمز أعمُّ من الاستهزاءِ من جهة أنَّ اللَّمزَ قد يكـونُ اسـتهزاءً ويكونُ طعناً مجرداً، وكذلك، فالاستهزاءُ أعَمُّ من اللَّمز من جهةِ أنَّ الاستهزاء قد يكـون بـالقول أو بالفعل، أو بأساليب متعددةٍ، فليس كلُّ لمزٍ استهزاءً، وليس كلُّ استهزاءٍ لَمْزاً، فيهما عموم وخصوصٌ من جهة[٣].

الهَمْزُ: الغَمْزُ، وهَمَزَهُ، يَهْمِزُهُ هَمْزاً، غَمزَهُ، ومعنى الهَمْزُ: الدَّفعُ والضَّربُ، وقيـل: الهمـزُ: الكسْرُ[٤].

الهَمَّاز (صيغة مبالغة) بمعنى: العَيَّاب، وقيلَ: الهَمَّازُ والهُمَزَةُ، الذي يَخْلُفُ الناس طعنـاً مـن ورائهم، ويأكل لحومهم، قال تعالى: M 2 3 4 5 L [الهمزة: ١][٥].

---

(١) ابن سيدة، المخصص، (غَمَزَ).

(٢) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (مادة لَمَزَ)، وانظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢ ص١٦٣.

(٣) سامي شحادة، الآيات الواردة في المستهزئين، ص٢٣.

(٤) بدر الدين محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، د.ط، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤، (مـادة هَمَزَ).

(٥) المصدر السابق، (هَمَزَ).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٨ - الخَوضُ واللَّعبُ:

والخَوضُ لغة: هو: المشي في الماء، وهو الخَلْطُ[١].

والخوضُ في أصله الدخول في الماء الكثير، بحيث لا يرى الخائضُ موقع قدميه، وربَّما وَقَعَ من هُوَةٍ، أو في شيءٍ جارح، وبذلك لا يكون سائراً على طريق واضح المعالم، ولذلك أصبحَ الخوضُ وصفاً للكلام في الباطل[٢].

أما اللَّعِبُ، فهو: ضدُّ الجدِّ[٣].

قال تعالى: M S T U V W X Y Z [\ ] ^ _

` L [التوبة: ٦٥]. يقول القرطبي: "الهُزْءُ: السخرية واللَّعِبُ"[٤]، واللعب هنا يفيد ويقارب في معناه الاستهزاءَ؛ وذلك لأنهما (الخوض واللعب) لا يفيدان شيئاً، ولا يحملان معنى الجد في طياتهما.

---

(١) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (مادة خَوَضَ) وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص٢٠٠.

(٢) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج٦، ص٣٧٠٩.

(٣) ابن سيدة، المخصص، (مادة لَعِبَ).

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص٢٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

- **تمهيد**
- **المبحث الأول: أطراف الاستهزاء في القرآن الكريم**
  - المطلب الأول: الاستهزاء والكفار.
  - المطلب الثاني: الاستهزاء والمنافقون.
  - المطلب الثالث: الاستهزاء واليهود والنصارى.
  - المطلب الرابع: الاستهزاء الرّباني.
- **المبحث الثاني: خصائص الاستهزاء القرآني وأغراضه**
  - المطلب الأول: خصائص الاستهزاء القرآني.
  - المطلب الثاني: أغراض الاستهزاء القرآني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيد

إن الحديث عن الاستهزاء وعلاقته بالقرآن الكريم لا من حيث احتواه عليه، وذلك أمر واضح وبيِّن من خلال ما أورده القرآن نفسه من مصطلحات وألفاظ مباشرة وصريحة في الاستهزاء، ولكن من حيث إن الاستهزاء بالمعنى الذي يحمل السخرية والتهكم والضحك والتندر، وما إلى ذلك من مصطلحات وألفاظ، قد ينظر إليه بعضهم ممن ضاقت بهم أفق عقولهم من المؤمنين بهذا الكتاب المقدّس، على أنّه لا يتفق مع إجلالهم للقرآن الكريم من حيث إنه كلام الله العظيم.

لا يرى بعض الناس نسبة الاستهزاء بمعناه المفهوم إلى الله -عز وجل – وهم بذلك يغفلون عن أن القرآن - مع أنه كلام الله –تعالى- ومع أنه مهما تعددت أهدافه واعتباراته- يُعَدُّ الناطق بلسان المسلمين، والممثل لحالهم بالنسبة إلى أعدائهم.

وإذا كان المسلمون وأعداء الإسلام حزبين متنافرين متخاصمين أبداً؛ فإن القرآن هو الممثل لحزب المسلمين، L X WV U TSM [المجادلة: ٢٢]. L X WV U TSM [المجادلة: ٢٢]، وهو المدافع عنهم، والمهاجم لأعدائهم، ومن الطبيعي أنَّ القرآن الكريم لا ينطق بلسان المسلمين ولا يدافع عنهم باعتبارهم أشخاصاً أو جماعة؛ وإنما بوصفهم ممثلين للعقيدة الإسلامية، ومن هنا فليس هناك اختلاف، أو تباعد بين عِداء القرآن وعِداء المسلمين لأعداء العقيدة الإسلامية؛ لأنَّ القرآن يُعدُّ ممثلاً للمسلمين في كل ما يتعلق بحياة المسلمين في جوانبها كلها ومنها العقدية والشريعة.

ومن هنا يُعدُّ الاستهزاء أسلوباً من أساليب التعبير القرآني ووجهاً من وجوه مخاطباته. والقرآن الكريم كتاب مقدّس، وهو فوق كلِّ الكتب في مكانته وقدسيته؛ لأنه كتاب الله –عز وجل- المُنزَّه عن اللهو والعبث، وقد أودع فيه –سبحانه وتعالى- من الفصاحة والبلاغة، ما تنقطع عنده أطماع المشككين والكافرين.

إن التعبير عن بعض الصور الهازئة الساخرة التي وردت في العديد من الآيات القرآنية، قد يتردد البعض في تصور نسبته إلى الله تعالى- وهنا يرى عدد من الدارسين والمفسرين، بأنَّ القرآن بصفته ناطقاً بلسان المسلمين يجعل هذه الصورة كأنها صادرة من المسلمين، أو ممثلة لموقفهم، حيثُ يركز القرآن على هذا المعنى أحياناً؛ لأن في هذا التركيز هدفاً مقصوداً، وهو أنَّ القرآن في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كل اتجاهاته يحشد كُلَّ أسلحته وطاقاته ليعزز مركز المسلمين، ويدفعهم إلى النصر، كما أنه في الوقت ذاته يحطم مركز أعداء الإسلام، ويدفع بهم إلى الهزيمة، أو الشعور بها أو يتوقعها.

لقد كان لدفاع المسلمين وتضحياتهم عن العقيدة الإسلامية حاجة إلى وجود حوافز معنوية وروحية، خاصة إذا علمنا أن دفاع المسلمين الحقيقي لم يكن لِمغْنَمٍ، أو مطمع شخصي، بل حُبَّاً لله وللرسول ولدين الإسلام، ومن هنا كان القرآن أقوى سلاح معنوي اعتصم به المسلمون الأوائل، فتحققت لهم الخوارق والمعجزات، وجاء النَّصر بعد الصَّبر، ففتحت مكة، وانتشر الإسلام وسقط رؤوس الكفر، وهُزم اليهود وكُسِرت شوكة المنافقين في المدينة المنورة.

لقد كان من أهداف القصص القرآني تثبيت قلب النبي –عليه السلام- وكذلك كان عرض الكثير الكثير من الآيات التي تبين مصير الكفار والمستهزئين وأعوانهم في الدنيا والآخرة، وهذا ما جاءت تؤكده الآية الكريمة: M ? @ A B C D E F G H I J K L M L [هود: ١٢٠].

وبالمقابل نجد أن أعداء الإسلام اتخذوا من الاستهزاء سلاحاً نفسياً مخيفاً يريدون من خلاله أن يحطموا به عزم المسلمين، ويزعزعوا به من ثقتهم في أنفسهم وكيانهم وعقيدتهم، ولكنا نرى أن القرآن يقف لهم بالمرصاد ويتصدى لهم باستهزاء أقوى وأبلغ وأعمق، وأشد تحطيماً، يقول تعالى: M ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ L [البقرة: ١٥].

وليس هناك ما يمنع من نسبة الاستهزاء والسخرية إلى الله –عز وجل- وفي ذلك يقول الزمخشري: "فإن قلتَ لا يجوز الاستهزاء على الله؛ لأنه متعالٍ عن القبيح والسخرية من باب العيب... فما معنى الاستهزاء بهم؟ قلت: معناه إنزال (الهوان) والحقارة بهم؛ لأن المستهزئ غرضه طلب الخِفة والزراية ممن يهزأ به"(١).

ومن الحقائق التي يجب أن نقف عندها، وهي أنَ الاستهزاء ليس مجرد تهجم أو هجاء، أو تهوين شأن، وبالأحرى أسلوب فكه يثير النفوس، أو يبعث على الضحك، وإنما ترتبط به نواح وأهداف على جانب كبير من الأهمية، سواء من الناحية النفسية المعنوية، أو من الناحية الاجتماعية.

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولهذا سنرى أن القرآن الكريم لم يختر أسلوب الاستهزاء من أعدائه وغيرهم ليكون مجرد سخرية أو تهكم، أو تحقير، أو استخفاف، كما يظنه عدد من المفسرين والدارسين، وإنما كان اختياره لأغراض أبعدَ، وأهداف أدقَّ وأعمق، تبدو من خلال الدراسة والتخطيط المسبق[١].

كما أنَ المتأمل في الاستهزاء القرآني يجد أنه لم يستهدف أعداء الإسلام بالمعنى العرفي وحدهم؛ بمعنى أنه لم يستهدف أعداء المسلمين من غير المسلمين وحدهم، وإنما استهدف كلَّ مصدر ممكن أن يسيء إلى مبادئ الإسلام، ولو كان المصدر نابعاً من صفوف المسلمين أنفسهم، في صورة عاداتٍ وتقاليد، أو خُلُقٍ لا تقرّه مبادئ القرآن الكريم، أو غير ذلك، فهذه كلها ينظر إليها الإسلام على أنها من أجواء الظلمات التي جاء ليحاربها، وليعلن انبلاج النور في حياة الناس ليعيشوا في أجواء صافية ونظيفة من كل البدع والمفسدات[٢].

(١) عبدالحليم حفني، السخرية في القرآن الكريم، ص٣٧٢.

(٢) المصدر السابق، ص١٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول

أطراف الاستهزاء في القرآن الكريم

إذا أمعنَّا النظر في القرآن الكريم، وفي نظرته إلى أعدائه الذين هم أعداء الإسلام والمسلمين، نجد أنَّ الإسلام لا يزال يُحاط بالكثير من الأمم والأشخاص المعادين له، وهذه العداوات متنوعة الألوان والوجوه، وهذا –كما يرى بعض الدارسين- من ميزات الإسلام العظيم عن غيره من الديانات؛ فقد نزلت تلك الديانات في أزمنة موقوتة، ولأقوامٍ مخصوصين، أما الإسلام فكان على عكس ذلك؛ فهو للبشرية جمعاء، وهو ختام الرسالات إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ بمعنى أنه يخاطب جميع الأمم على اختلاف أشكالها وألسنتها، ومن هنا كان أعداء الإسلام من الكثرة والاختلاف بمقدار من بين العصور والأمم من اختلاف(١).

ويرى العقاد بأنه: "ليس في التوراة، ولا في الإنجيل أكثر من إشاراتٍ عارضةٍ إلى الملحدين الذين ينكرون وجود الله؛ لأن أنبياء التوراة والإنجيل كانوا يؤمنون بإله إسرائيل، ولا يشكّون في وجوده... أما القرآن فقد كان يخاطب أقواماً ينكرون، وأقواماً يشركون، وأقواماً يدينون بالتوراة والإنجيل، ويختلفون في مذاهب الربوبية والعبادة، وكانت دعوته للناس كافة من أبناء العصر الذي نزل فيه، وأبناء سائر العصور، ومِنْ أمة العرب وسائر الأمم"(٢).

ونحن نريد أن نستعرض أبرز الأعداء الذين يتناولهم استهزاءُ القرآن، وجَعَلَهُم غرضاً من أغراضه، وكان سلاحاً عظيماً ضدهم، لا للحديث عن أشكال تلك العداوات وطبيعتها وأسبابها التي رَدَّ القرآن عليها في استهزاء بليغ مؤثر فقط، وإنما لكي نتبين كثرة الأعداء الذين استهزأوا بالإسلام، واستخفوا بدعاته وشرائعه في السابق، وفي الحاضر، حيث إنَّ عدداً من الأساليب البلاغية واللغوية القرآنية تشير إلى استمرار هذا الاستهزاء على مرِّ العصور، وكان الهدف من وراء ذلك التفنن والتنوّع هو تحطيم الإسلام ودعاته ومحوه من الوجود.

---

(١) عبدالحليم حفني، السخرية في القرآن الكريم، ص٢٩.

(٢)عباس محمود العقاد، الله، د.ط، دار المعارف، مصر، د.ت، ص٢٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الأول: الاستهزاء والكفار

يحفل القرآن الكريم بالكثير من الآيات القرآنية التي تعرض لاستهزاء أول طرف من أطراف الأعداء ضد الإسلام والمسلمين، بل ضد كل الشرائع السماوية السابقة للإسلام بمظاهر وطرق مختلفة، ولأسباب متعددة، وليس هدف هذه الدراسة استقصاء كل تلك الآيات، بل إعطاء نماذج عن طبيعة هذا الاستهزاء ومظاهره.

لقد كانت خصومة الكفر والشرك مع الإسلام أعنفَ خصومة واجهت الإسلام منذ بداية الدعوة في مكة المكرمة، بل كانت من الشراسة بحيث كانت تؤثر على نفسية المسلمين المستضعفين ونفسية الرسول –صلى الله عليه وسلم-، لولا دفاع الله –عز وجل- عنهم وتثبيتهم باستهزاء مضاد كما سيأتي لاحقاً.

لم يكن أعداء الإسلام من الكفار والمشركين ساذجين في عداوتهم واستهزائهم بالإسلام وأتباعه، بل أثبت أولئك الجاهليون أنهم على درجة كبيرة من الذكاء والخبرة بالحياة، ومن فنون الصِّراع والخصومة، ومن حُسن التقدير والتوقيع للأمور من زاويتهم كأعداء للإسلام، ومن حيث حربهم مع المسلمين، وهذا ما سنعرضه لأهم تلك النواحي التي اتخذوها أسلحة ضد الدين الجديد.

مظاهر استهزاء الكفّار:

- أولاً: الاستهزاء بذات الله.

ومن أمثله ذلك ما قاله فرعون لموسى عندما قال له أنْ يؤمن بالله ربِّ العالمين، قال تعالى: M = < ? @ A L [الشعراء: ٢٣]. وقال تعالى أيضاً مبيناً استهزاء فرعون من الله عز وجل: M \ [^ _ ` a b c d e f g h i j k l

L ~ } | { z y w v u t s r q p n m [غافر: ٣٦-٣٧] (١). وقول فرعون في الآية الأولى: M ? @ A L سوء أدب مع الله الخالق العظيم، وهذا سؤال المتنكر للقول من أساسه، المتهكم على القول والقائل، المستغرب للمسألةِ كلها؛ حتى يراها غير ممكنة التصور، غير قابلة لأن تكون موضوع حديث"(٢).

---

(١) الصّرح: هو القصر وهو البناء العظيم، الأسباب: الطرق (انظر، الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٦٦).
(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١٩، ص٢٥٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا استفهام استهزائي بالله رب العالمين، وهذا الاستهزاء نراه في أيامنا الحاضرة وفي العديد من مناطق العالم عند الكثير من الملحدين من كتّاب ومفكرين وروائيين يستهزئون بالله عز وجل.

- ثانياً: الاستهزاء بالقرآن الكريم.

قال تعالى: M وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ L [يونس: ٥٣]. وقال تعالى: M L X W V U T [الكهف: ٥٦]. وقال عز وجل: M o p q r s t u v w x y z { | } L [الحجر: ١٠-١٣][1].

~ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ

كانت الأقوام السابقة قبل نزول القرآن على النبي –صلى الله عليه وسلم- تستهزئ بكلام الله الملقى على أنبيائه، والآيات السابقة توضّح لنا كيف يتلقى الكفّار كتب الله –عز وجل- ومنها القرآن، حيث يتلقونه بالاستهزاء والسخرية، بحيث يدخل القرآن في قلوبهم، ويدخل الاستهزاء معه[2].

كما أن الكفار تعجبوا وضحكوا وتغافلوا من القرآن الكريم، وهذه طريقتهم في الاستهزاء بكتاب الله –عز وجل- بدل أن يبكوا من تلك المواعظ والمشاهد ومن الغرائب التي يعرضها القرآن، والتي تتفطر لها القلوب[3]. قال تعالى: M k l m n o p q r s t u v L w x y [النجم ٥٩-٦٢].

---

(١) شيع الأولين: الأمم السابقة، والشِّيع: جمعة شِيعة، والشِّيعة: الفرقة المتآلفة المتفقة انظر: العز بن عبدالسلام (ت٦٦٠هـ)، تفسير القرآن، تحقيق: د.عبدالله الوهيبي، ج٢، ط١، دار ابن حزم، لبنان، ١٩٩٦، ص١٧١.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٤٣٠، وانظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، م٢، ٩٩،

(٣) ابن حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٣، ص٥١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ثالثاً: الاستهزاء بشرع الله وعبادته.

ومن مظاهر استهزاء الكفار بشرع الله وعبادته أنهم استهزأوا بالصلاة والنداء (الأذان)، قال تعالى: M ! " # $ % & ' (* + , - L [المائدة: ٥٨].

وقد ورد في مناسبة نزول هذه الآيات أكثر من سبب، من حيث نسبتها مرةً إلى الكفار وأخرى إلى اليهود، ومرة إلى النصارى، بحيث إنه كلما نادى المنادى إلى الصلاة قاموا واستهزأوا من هذا النداء، الذي يحمل في طياته معاني عظيمة وسامية (حي على الفلاح)، وليس فيه ما يدعو إلى الاستهزاء والضحك[١].

ومن أمثلة ذلك أيضاً استهزاء قوم شعيب –عليه السلام- بصلاته بطريقة غير مباشرة، بحيث جعلوا الصلاة آمرة على سبيل الاستهزاء بالصلاة، وقد أرادوا أن يسخروا من صلاته التي تدعو إلى ترك عبادة الأوثان، وأن صلاته التي داوم عليها هي من باب الجنون، كما يرى ذلك صاحب كتاب الكشاف[٢]، قال تعالى: M t u v w x y z { | } ~ نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ © L [هود: ٨٧]. ويقول الزمخشري: "قصدوا بقولهم (أصلاتك) الاستهزاء والسخرية، وساقوا الكلام مساق الطَّنَزَ، وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته"[٣].

- رابعاً: الاستهزاء بالأنبياء

استهزأ الكفار بكل الأنبياء الذين أرسلهم الله ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور فقد كان الاستهزاء أساس التلقّي عند كل الأمم الكافرة، وكذلك كان هذا عند العرب المشركين. قال تعالى: M وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ L [الرعد: ٣٢]. وهذا دليل على أنَّ كل الأنبياء تعرضوا للاستهزاء. ومن الآيات التي ورد فيها استهزاء بالنبي –عليه السلام- قوله تعالى: M ~ رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ © L [الفرقان: ٤٢].

---

(١) ابن حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٣، ص٥١٥.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٢٢٥.

(٣) المصدر السابق: ج٣، ص٢٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنظر كيف استخدموا لفظة (هذا) للرسول –صلى الله عليه وسلم- وهو أشهر من نار على علم؟! إنه استخدام المستهزئ المستخفِّ به –عليه السلام-[١].

- خامساً: الاستهزاء بالبعث والنُّشور

من القضايا الرئيسة التي استهزأ بها الكفار البعث والنشور ووجود حساب يوم القيامة، وكذلك الاستهزاء بإرجاع الإنسان إلى حالته الطبيعية بعد موته وتحوله إلى عظام وتراب. يقول تعالى:

M وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا à وَرُفَٰتًا â لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾ ! " # $ % & ') (* + ,

B A @ > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . -

L D C [الإسراء: ٤٩-٥١]. وهذه الآيات تبين إنكار الكفار بالبعث والنشور واستهزائهم بما جاء به الرسول –عليه السلام- من أن الإنسان بعد أن يصير عظاماً بالية كالتبن المتكسِّر (الرفات)، سوف يُبعث من جديد، والله عز وجل يتحدى استهزاءَهم باستهزاء أعظم، ويتحداهم؛ بأنهم لو كانوا مخلوقين من الحجارة أو الحديد اللَّذين هما أقوى من اللحم والعظم والدَّم المخلوق منهنّ الإنسان لأرجعهم الله –عز وجل- إلى طبيعتهم قبل أن يموتوا؛ فليس ذلك بالأمر العسير عليه –سبحانه جلَّت قدرته-[٢].

- سادساً: الاستهزاء بالمؤمنين:

استهزأ الكفار بأتباع الرُّسل من المؤمنين الذين يريدون وجه الله عز وجل، بحيث اشتغل أولئك المجرمون بهذا الاستهزاء، وتلك السخرية، حتى نَسَوا ذكر الله –تعالى- وظلّوا يضحكون من أولئك المستضعفين زيادة في الاستهزاء والسخرية[٣]. يقول عز من قائل: M A B C D E

---

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، د.ط، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٧، ج١، ص١٤١.

(٢) حسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ) معالم التنزيل، حققه محمد النّمر وآخرون، ج٥، ط٢، دار طيبة، السعودية، ١٩٩٣م، ص٩٨.

(٣) عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ٢٠٠٠م، ص٥٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

V U T S R Q P O N M L K J I H G F

W L [المؤمنون: ١٠٩-١١٠].

قال أبو السعود: "أي من فرط اشتغالكم بالاستهزاء بعبادي المؤمنين، فقد أنساكم ذلك ذكر ربكم، وهذا عِقابٌ لهم، وزادوا استهزاءً بالضَّحك، وهو غاية ذلك الاستهزاء"(١).

ومن مظاهر استهزاء الكفار بالمؤمنين استهزاؤهم من فقرهم، قال تعالى: M 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L L [البقرة: ٢١٢]، وقال تعالى: M Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j L [يس: ٤٧]. وتلك الآيات تشير إلى استهزاء الكفار من فقر المؤمنين، ولكن الله رد عليهم بأنَّه سوف يرزقهم ويجعلهم في مراتب أعلى من مراتب أولئك الكفرة المجرمين.

ويذكر بعض المفسرين أن من أسباب نزول الآية الثانية: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ.." أنَّ بعض فقراء المسلمين سألوا المشركين مالاً اعتادوا أخذه منهم، فردّ المشركون على الفقراء المؤمنين بقولهم مستهزئين، لا نطعم من لو يشاء الله أطعمه"(٢).

- سابعاً: الاستهزاء بالمعجزات (الآيات).

أَلِفَ الكفّار الاستهزاء الساخر من معجزات الأنبياء كُلِّ الأنبياء، ومنهم نبينا محمد –عليه الصلاة والسلام- حتى أنهم (الكفار) سخروا واستهزأوا بالمعجزات الظاهرة كانشقاق القمر(٣). قال تعالى: M r s t u L [الصافات: ١٤].

---

(١) أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم، ج٤، ص ٤٣٣-٤٣٤.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٣، ص٣٢.

(٣) ابن حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٧، ص٣٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ثامناً: الاستهزاء بإرادة الله.

ونعني بذلك ادِّعاء الباطل على الله –عز وجل- قال تعالى: M وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ´ µ L [الزخرف: ٢٠]. أي قالوا على سبيل الاستهزاء والسخرية: لو شاء الله ما عبدنا هؤلاء الملائكة والأصنام، ولما كانت عبادتنا واقعة بمشيئته؛ فهو –أي الله تعالى- راضٍ بها، وهذه كلمة حقٍّ أريد بها باطل، فكل شيء بإرادة الله، والمشيئة غير الرِّضى، ولا يصحُّ الاحتجاج بالمشيئة؛ فإنهم لو عبدوا الله بدل الأصنام لعلمنا أنَّ الله –تعالى- أراد منهم ذلك، فهم كاذبون[١].

- تاسعاً: الاستهزاء بالعذاب والتكذيب به.

استهزأ الكفار بالعذاب بحيث إنهم كانوا يستعجلون وقوعه، وهذا ناتج عن عدم التصديق بوجوده بالرغم من شدته وعظمه، كما أخبر عنه القرآن الكريم، قال تعالى: M وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل à قِطَّنَا â يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾ ! " # $ % & ') (+ , L [هود: ٨]. فهم يطلبون الإسراع بوقوعه ويستفهون (ما يحبسه) على طريقة الاستهزاء به كما أنَّ هؤلاء الكفار كانوا يستعجلون العذاب كنوع من السخرية والهزء بما جاء به الرسول (عليه السلام)، يقول تعالى على لسان الكفار: M وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل à قِطَّنَا â يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾ ! " # $ % & ') (+ , L [ص: ١٦-١٧].

والقِطُّ: الحظُّ والنَّصيب، وهو الكتاب والصحيفة؛ لأنها قطعت من القرطاس، فالكفار استخدموا أسلوب الدعاء أسلوباً استهزائياً[٢].

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٦، ص٧٣.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٥، ص١٤٢، وانظر (حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، ص٦٧٦، وعبدالحق بن عطية (ت٥٤٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبدالله الأنصاري، وعبدالعال، ج١٢، ط١، طبع على نفقة أمير قطر، ١٩٨٧، م١، ص٤٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- عاشراً: الاستهزاء بالملائكة.

استهزأ الكفار بالملائكة الأطهار الذين خلقهم الله من النُّور، فجعلوهم إناثاً وأخرجوهم من دائرة الذكور. قال تعالى: M وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا L [الزخرف: ١٩].

أسباب استهزاء الكفار:

لم يَكن استهزاء الكفار بالأنبياء وأتباعهم وما أُرسل إليهم دون أسباب، بل إنَّ هناك أسباباً ودوافع عديدة، نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر، وأبرزها:

- أولاً: التحدي والتكذيب.

قال تعالى: M " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4

J I H G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5

L U T S R Q P O N M L K [الأحقاف ٢١-٢٣]. والأحقاف: ديار عاد[١]. والتحدي واضح من قولهم (فأتنا بما تعدنا)، والتكذيب ظاهر من قوله تعالى على لسانهم: M E F G L "إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ".

- ثانياً: الكفر والعناد.

يرى عدد من المفسرين أن الكفر هو السببُ الرئيس وراء الاستهزاء وإن العناد في هذا الكفر هو الدافع له[٢] يقول تعالى: M وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ

---

(١)أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٧، ص٧٧، وانظر: الرازي، مختار الصحاح، ص٨٠.

(٢)علي بن محمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط١، تحقيق صفوان داودي، دار القلم الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٥هـ، ج٢، ص٧١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عِقَابِ L [الرعد: ٣٢]. ويقول تعالى: M ! " # $ % & ') (* + , L [الأنبياء: ٣٦].

- ثالثاً: الاستكبار.

قال تعالى: M g h i j k l m n L [النحل: ٢٢].

- رابعاً: الاغترار بالحياة الدنيا.

اغتر الكفار بالحياة الزائفة الفانية وغَرَّهم متاعها القليل، ونسوا أنَّ وراءهم يوماً ثقيلاً، لـذلك نراهم يتخذون دينهم لهواً ولعباً[١] يقول تعـالى: M < = > ? @ A B C D F G L L K J I H L [الجاثية: ٣٥].

- خامساً: الفجور.

قال تعالى: M q r s t u v w x y z L [القيامة: ٥-٦].

والفَجْرُ: الانبعاث في المعاصي والزِّنى كالفُجور فيهما، فَجَر، فهـو فـاجِر، بمعنـى فاسـق، وكذاب، وعاصٍ[٢].

وسؤال الكافر عن يوم القيامة سؤال استبعاد، بل وزيادة في الجحود والكفر، فهـو يـستهزئ بيوم القيامة وبموعدها، يقول ذلك الإمام الشوكاني[٣].

---

(١) الصَّابوني، صفوة التفاسير، م١، ص٢٦٩.

(٢) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (فَجَرَ).

(٣) الشوكاني، فتح القدير، ج٣، ص٥١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- سادساً: دَحْض الحقِّ والجدال فيه.

والمقصود بذلك أنَّ هؤلاء الكفار يجادلون في كلام الله ليدفعوه ويُبْطِلُوه، كما أنهم أخذوا كلام النَّبيِّ والإنذار بالعذاب باستهزاء واستخفاف[١]. قال تعالى: M E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X L [الكهف: ٥٦].

- سابعاً: الظلم.

وذلك بأنهم لم يَعدُّوا الحقيقة، ولم يعترفوا بصدق النبي –عليه السلام-، وهو كان عندهم قبل النبوة الصادق الأمين الذي كانوا يأتمنونه على أموالهم وأغراضهم، يقول تعالى: M إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا L [الإسراء: ٤٧].

وقبل أن ننتهي من استهزاء الكفار والانتقال إلى أطراف الاستهزاء الأخرى أود أن أذكر بأن القرآن الكريم قد كرر لفظة (الملأ)، عند عرضه لاستهزاء أولئك الكفرة... الخ، حيث سنرى أن الله –عز وجل- سوف يرد على هؤلاء الملأ، وهم الرؤساء من القوم، وهم الأشراف الذين يملأون صدور المحافل بإجرامهم، ويملأون القلوب بجلالهم وهيبتهم، ويملأون الابصار بجمالهم وأبهتهم[٢].

ولأن هؤلاء الملأ كان لهم الدور الأكبر في الاستهزاء من الأنبياء وأتباعِهم من المؤمنين ارتأيت أن أبيّن أنَّ هؤلاء الرؤساء كانوا يُحسّون أنَّ الألوهية الواحدة والربوبية الشاملة تعنى –أول ما تعنى- نزع السلطان المغتصب من أيديهم، وبعد ذلك رده إلى صاحبه الشرعي، وهو شرع الله تعالى[٣].

وهم يقاومون في سبيل الحفاظ على ظلمهم وطغيانهم ومصالحهم الخاصة. لذلك نرى أن القرآن الكريم استعرض الكثير من مواقف هؤلاء الفاجرين الظالمين، الذين ملأوا وما يزالون يملأون العالم بفسادهم وظلمهم[٤].

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص٣٨٢.

(٢) حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٧٧٦.

(٣) عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة إلى الله، ط٦، مكتبة القدس، العراق، ١٩٩٢، ص٣٨٠.

(٤) عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة إلى الله،، ص٣٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والآيات القرآنية التي تذكر هؤلاء الملأ ومعاونتهم للحكام والملوك والرؤساء كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

- قال تعالى على لسان قوم نوح وهو يصنع السفينة مستهزئين بـــه-: M قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ L [الأعراف: ٦٦].

- وقال تعالى على لسان الملأ من قوم شعيب عليه الـــسلام-: M " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 L[الأعراف: ٨٨].

وسنرى –بإذن الله- كيف يَردُّ اللهُ عزَّ وجل على هؤلاء الملأ، وكيف سيكون استهزاؤه تعالى بهم كما استهزأوا بالرسل السابقين وبالرسول صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: الاستهزاء والمنافقون

إنهم الطرف الأخطر على الإسلام وعلى المسلمين، فقد امتُحن المسلمون بالمنافقين منـــذ بـــدأ الإسلام في المدينة المنورة، وعانوا منهم مرارة الكذب والخـــداع والتثبـــيط، حيـــث وقـــف أولئـــك المنافقون جهودهم وتفكيرهم وطاقاتهم في حرب الإسلام والمسلمين. وقد كان فيهم قـــادة وزعمـــاء تُسمع كلمتهم، وكان فيهم أصحاب عقول خبيثة تحسن المكر والخديعة، والكيد وتنميق الحديث، وقـــد تعاونوا مع أعداء الإسلام الآخرين من مشركين ويهود، وشكلوا جبهة واحدة ضد الدعوة الناشئة في المدينة المنورة(١).

كما أن هؤلاء المنافقين قد نظموا حرباً نفسية منظمة استهدفت تحطيم وحدة صف المـــسلمين، خاصة ونحن نعلم ما كان من عداوات ومشاحانات شديدة بين أشهر قبيلتين فـــي المدينـــة المنـــورة، واقصد بذلك الأوس والخزرج، وكذلك بين جانبين ظهرا في المدينة بعد الهجرة، وهمـــا الأنـــصار والمهاجرون(٢).

---

(١) أبو محمد عبدالملك بن هشام (٢١٨هـــ)، السيرة النبوية، ط٢، مكتبة البابي الحلبي، ١٩٥٥م، م٢، ص٢١٦.
(٢) عبدالحليم حفني، السخرية في القرآن الكريم، ص٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يقتصر الأمر على ذلك فإن حربهم استهدفت أمراً أهم وأكبر وهو تحطيم الرُّوح المعنوية في نفوس المسلمين الملتزمين بدعوة الله ورسوله، من حيث زعزعة ثقتهم بعقيدتهم من جانب، وبقيادتهم من جانب آخر، وذلك بنشر الفتن والتشكيك والدعايات الهدامة الكاذبة، وأساليب مختلفة اتبعوها في سبيل تحقيق غاياتهم للخلاص من هذا الدين الجديد، ليخلص الأمر لهم ولقياداتهم وعلى رأسها زعيم المنافقين عبدالله بن سلول، وشركائه من زعماء اليهود الذين ساعدوه في هذا النفاق الخطير(١).

لقد نبع النفاق من المدينة وما حولها من الأعراب، وهذا يصدِّقه قوله تعالى: M > = < ? @ B C D F G H I J L[التوبة: ١٠١]. وقد كان هذا النفاق ظاهرة اجتماعية واضحة وخطيرة في المدينة المنورة، وقد كان السبب الأكبر في ظهوره في هذا البلد بالذات بفعل اليهود الذين اتخذوا من النفاق شريعة ومذهباً، وهذا ما تحدث عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: M , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; > L[آل عمران: ٧٢].

ويرى ابن كثير: أن هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم، وهو أنهم تشاوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النَّهار ويصلّوا مع المسلمين فإذا جاء آخر النّهار ارتدوا إلى دينهم ليقول الجهلة من النّاس "إنّما ردّهم إلى دينهم اطّلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين"(٢).

ويرى بعض الدَّارسين أن خطر النفاق أشدُّ من خطر الكفر والشرك، حيث إنَّ عداوة أولئك الكفار، وخاصة في مكة، كانت عداوة ظاهرة وصريحة، على عكس النفاق الذي يظهر ما لا يبطن،

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص١٤٩، ص١٥٢.

(٢) مختصر ابن كثير، ٢٩١، الصابوني، صفوة التفاسير، ج١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كانت عقوبة المنافقين أشد من عقوبة الكفار، وهذا ما أكده القرآن الكريم، بقول الله تعالى: M إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ L [١] [النساء: ١٤٥].

وفي سورة النساء نجد صورة كاملة واضحة عن أولئك المنافقين، وعن سلوكهم وعقيدتهم والحكم عليهم، فهم يعادون الإسلام، ويحاولون مخادعة المسلمين بإظهار أنهم مؤمنون مثلهم، وفي الحقيقة هم يضمرون الكره والحقد الشديدين عليهم[٢].

وهناك حقيقة يجب الانتباه لها، وهي أن طبيعة النفاق ليست إخفاء عقيدة كافرة يعتقدونها، ثم الظهور للمسلمين بأنهم يدينون بالإسلام، وإنما طبيعة النفاق انتفاء غريزة التديُّن، وعدم وجود الاستعداد لمبدأ الاعتقاد في النفس، فمن غير الصحيح أن نعتقد بأنهم يدينون بدين الكفار الآخرين ويعتقدون عقيدتهم؛ لأن الحقيقة أنهم لا دين ولا عقيدة لهم، فهم أعداء للمؤمنين وأعداء للكافرين الآخرين، فهم يصانعون الطرفين ليحصلوا على منافعهم، يقول تعالى: M H I J K L

` _ ^] \ [Z Y X W V U T S R Q P O N M

L l k j i h g f e d c b a [النساء: ١٤٢-١٤٣].[٣].

استهزاء المنافقين:

جعل القرآن الكريم استهزاء المنافقين جزءًا من طبيعتهم جميعاً، وصفة من صفاتهم وهو نابع من فقدانهم العقيدة، حيث لا يرون في أي دين، أو عقيدة شيئاً يستحق الاهتمام، وإنما ينظرون إليه على أنه تفاهة، أو عبث، أو أي شيء من قبيل الاستهانة والاستخفاف، حيث تحمل نفوسهم ذاتها الاستهزاء بالعقيدة –سواء أصدر منهم ألفاظ تدل على ذلك، أم لم يصدر[٤].

---

(١) الرازي، التفسير الكبير، ج١، ص١٩٠.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٤٥٠.

(٣) عبدالحليم حفني، السخرية في القرآن الكريم، ص٢٩٤.

(٤) المصدر السابق، ص٣٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والنِّفاقُ أقبح من الكفر في راي بعض العلماء كما يرى ذلك الرازي، حيث يقول: "إنَّ المنـــافق ضمَّ إلى كفره الاستهزاء بخلاف الكافر"(١)، بمعنى أنَّ الاستهزاء عند المنافقين شيء مـــلازم ولـــيس طارئاً، وهذا ما أكد عليه الزمخشري في قوله: "فإن قلتَ لِمَ كان المنافق أشدَّ عذاباً من الكافر؟ قلت: لأنه مثله في الكفر، وضمَّ إلى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهليه ومداجاتهم"(٢) والمُداجاة: المساترة في العداوة والمراعاة(٣).

من أساليب استهزاء المنافقين:

- أولاً: المخادعة.

قال تعالى: M وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا ¶ ¸ مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ L [البقرة: ١٤-١٥]. وروي أنَّ هذه الآية نزلت في عبدالله بـــن أبيّ بن سلول زعيم المنافقين في المدينة المنورة، عندما أراد الاستهزاء من أصحاب الرسول –صلى الله عليه وسلم- ومنهم أبو بكر وعمر وعلي –رضي الله عنهم- حيث حيّ كُلّاً منهم ورفع من شأنه، وذلك على سبيل الاستهزاء (٤)، ورُوي أيضاً عن الطبري أنها نزلت في بعض من اليهود في المدينة المنورة، حيث كانوا إذا لقوا أصحاب الرسول –عليه الصلاة والسلام- أو بعضهم، قالوا إنّـــا علـــى دينكم، وإذا خَلَوْا إلى أصحابهم وهم شياطينهم M ¸ مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ L (٥).

والذين يخلو إليهم المنافقون هم رؤساؤهم في النِّفاق والكفر، وهم أكابرهم؛ فهم كالشياطين في التمرد والفساد، كما يقول أبو السعود العمادي(٦).

---

(١) الرازي، التفسير الكبير، ج١، ص١٩٠.
(٢) الزمخشري، الكشاف، ج١، ص١٥٥.
(٣) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (مادة دَجَجَ).
(٤) علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨)، أسباب النزول، ضبطه محمد شـــاهين، ط١، دار الكتـــب العلميـــة، لبنـــان، ٢٠٠٠م، ص١٣.
(٥) الطبري، جامع البيان، ج١، ١٩٨٤، ص١٢٩-١٣٠.
(٦) أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم، ج١، ص٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والخِداع: المكر والاحتيال وإظهار خلاف الباطن، وأصله الإخفاء[١].

- ثانياً: اللمز بالمؤمنين ومن صدقاتهم.

وقد عرَّفنا في الفصل الأول مفهوم (اللمز)، وهو الاعتياب وتتبع المعايب، وهو كذلك الطعن، وهو الإشارة بالعين ونحوها[٢].

وهذا بعض أساليبهم في التشكيك بنوايا المتطوعين في الصَّدقات من المؤمنين، حيث إنَّ الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتصدقون في سبيل الله، فجاء رجل من الصَّحابة فتصدق بشيءٍ كثير، فقال المنافقون: هذا مِراء، وجاء رجل آخر فتصدَّق بصاع، فقال المنافقون: إنَّ الله لغنيٌّ عن صاع هذا، فنزلت الآية الكريمة التالية: M ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ L [التوبة: ٧٩][٣].

- ثالثاً: إطلاق الشتائم والتُّهم الباطلة.

استهزأ المنافقون بالمؤمنين المتمسكين بدينهم، وهو استهزاء نابع من ظلم وكذب أولئك المنافقين، وقد أطلق المنافقون على المؤمنين التهم بقصد الاستهزاء والتسفيه بعد ما طُلب من أولئك المنافقين الإيمان باللهِ وملائِكته ورسله والبعث بعد الموت، ولكنهم ردّوا بجوابٍ تافه سخيف: (أنؤمن كما آمن هؤلاء السفهاء؟)[٤].

لقد كان وصف المنافقين للمؤمنين بالسَّفهِ استهزاءً، يقول القرطبي: "وهذا القول من المنافقين، إنما كانوا يقولونه في خفاءٍ واستهزاءٍ فأطْلَعَ الله نبيه والمؤمنين على ذلك"[٥]، ويقول الشوكاني: "فنسبوا إلى المؤمنين السَّفه استهزاءً واستخفافاً"[٦].

---

(١) الصابوني، صفوة التفاسير، ج١، ص٢٨، الفيروز أبادي، القاموس، (مادة: خَدَعَ).
(٢) انظر الفصل الأول (المصطلحات المتعلقة بالاستهزاء).
(٣) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج٢، د.ط، بيت الأفكار الدولية، د.ت، ص٢٠٠٨.
(٤) البيضاوي، أنوار التنزيل، ج١، ص١٢.
(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص١٩٩.
(٦) الشوكاني، فتح القدير، ج١، ص٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- رابعاً: استخدام أعضاء الجسم بقصد الاستهزاء.

قلنا في تعريف الاستهزاء اصطلاحاً، بأنه يمكن أن يكون بالقول، أو بالفعل، أو بالإشارة بأحد الأعضاء، وما إلى ذلك من حركات تدل على الاستهزاء، وهذه الآية التي يصف فيها الله –عز وجل- بعضاً من أساليب استهزاء المنافقين، تعرض منظراً ومشهداً من المشاهد العملية للمنافقين، عند ما كانت تنزل سورة قرآنية على النبي –عليه السلام- حيث ينظر المنافقون بعضهم إلى بعض يتغامزون استهزاءً بالقرآن واستخفافاً به، يقول تعالى: M m l k j i h g f e L [التوبة: ١٢٧]. ولننظر إلى قولهم: (هل يراكم من أحد)؛ أي: هل نظر إلى استهزائكم ولعبكم أحدٌ من أصحاب محمد؟![1].

- خامساً: التندر بالله وآياته ورسله.

وقد ذكرنا سابقاً معنى التندُّر، وهو الإسقاط، وإظهار العيوب بطريقة ملتوية، (وفيها تَبَالُهٌ) وتجاهل[2]، يقول تعالى: M S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` L [التوبة: ٦٥].

وقد نزلت هذه الآية في رجلٍ من المنافقين قال في غزوة تبوك: "ما رأينا مثل قُرّائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء! فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرنَّ رسول الله، فأخْبرَهُ، ونزل القرآن، فأخذ يعتذر إلى النبي –عليه الصلاة والسلام-، ويتعذر بقوله: M V W X Y Z [\ ] ^ _ ` L، فرد عليه الرسول –عليه السلام-: M \ ] ^ _ ` L، وهذا استهزاء من المنافقين بقرَّاء المسلمين وحفظة القرآن الكريم، وفيه تندُّر بعلماء المسلمين، بحيث وصفهم هؤلاء المنافقون بأنهم أصحاب بطونٍ بالعةٍ للطعام، وأصحاب ألسنةٍ ذربةٍ بالكلام، وهذا كله استهزاء واضح[3].

---

(١) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج١، ص٥١.

(٢) أنظر الفصل الأول: المصطلحات المتعلقة بالاستهزاء.

(٣) الطبري، جامع البيان، ج١٤، ص٣٣٣-٣٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- سادساً: الاستعلام على طريق الاستهزاء.

يقول تعالى: M وَمِنْهُم مَّن © إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ´ μ ¶ ¸ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ L [محمد: ١٦]. وهذه آية نزلت في المنافقين الذين كانوا يستمعون لكلام النبي –عليه الصلاة والسلام-، وإذا خرجوا من عنده سأل المنافقون أهلَ العلم من الصحابة – رضوان الله عليهم- عن الذي قال عليه الصلاة والسلام بصورة الاستعلام على طريق الاستهزاء[١].

ولم يفوِّت المنافقون فرصة للاستهزاء حتى يستهزؤا، ومن استهزائهم أنهم يقولون وأيُّ شيءٍ، وأيُّ عجب، وأيُّ دليل في هذا القرآن؟[٢]، يقول تعالى: M 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R L [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

يقول الزمخشري: "فمنهم من يقول"، أي: فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعضٍ (أيُّكم زادته هذه؟) السورة (إيماناً)، إنكاراً واستهزاءً بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الإيمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به[٣].

من أسباب استهزاء المنافقين بالإسلام وأتباعه

تعددت أسباب استهزاء المنافقين بالإسلام وأتباعهم حيث قلنا بأنَّ هؤلاء لا دين في قلوبهم، فهم أصحاب منافع شخصية، والسخرية والاستهزاء متعمقة في قلوبهم ونابعة من أعماق نفوسهم، ولذلك نلخص أبرز هذه الأسباب، ومنها:

---

(١) العمادي، إرشاد العقل السليم، ج٦، ص٨٨.

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ج٢، ص٤٧٥.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٣٠٩، ص٣١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أولاً: المنافع الشخصية والحرص عليها.

يقول تعالى: "M \ [^ _ ` a b c d L[النساء: ١٤٣]. وهذه آية تفضح سرّهم وتكشف نواياهم الخبيثة، وتبين أنهم أصحاب مصالح، لا أصحاب عقائد، ومن هذا القبيل في موقع هؤلاء المنافقين من ترصدهم للمنفعة المادية قوله تعالى: M q r s t u v w x y z { | } ~ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ © كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ ´ µ ¶ L [النساء: ٧٢-٧٣].

- ثانياً: الجهل ببواعث الطاعة عند المؤمنين

وقد ذكرنا سابقاً كيف كان يلمز المنافقون المؤمنين في علاقاتهم، حيث يرى سيد قطب، بأنَّ نظرة المنافقين هي نظرة منحرفة لطبيعة الإنفاق في سبيل الله وبواعثه في النفس؛ لذلك نراهم يتقوّلون على المؤمنين المنفقين في سبيل الله، فهم –أي المنافقون- لا يشعرون بحلاوة البذل الطيِّب، ولا يدركون المشاعر الرقراقة التي تنبعث من الدَّاخل عند المؤمن، فهم يُجَرِّمُونَ صاحب الكثير ويحقّرون صاحب القليل، وهم في المقابل قابضو أيديهم عن العطاء بخلاء أشحّاء[1].

- ثالثاً: الكذب.

والكذب من أبرز صفات أولئك المنافقين، فهم كما قلنا يظهرون مالا يبطنون، وهذا هو الكذب بعينه، والآيات التي تدل على كذبهم كثيرة، منها قوله تعالى: M ` a b c d e f g h i j k l m n o p q L [المنافقون: ١].

ونحن نرى أنَّ الله تعالى قد خصص سورة كاملة أسماها بـ(المنافقون)، وبدأها بذكر صنائعهم الكاذبة، وفضح نفاقهم المشين، وقد استهزأ الله منهم استهزاءً عظيماً رداً على استهزائهم، وهذا ما سنراه –بإذن الله- لاحقاً.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص١٦٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- رابعاً: الحسد والنقمة من المؤمنين.

فهم يحسدون المؤمنين وينقمون عليهم؛ لأن الله –عز وجل- يقف معهم ويغنيهم من فضله، ويرزقهم من غنائم الحروب التي ينتصرون فيها على الأعداء، يقول تعالى: M ? @ A B C D E F G L [التوبة: ٧٤]. وهذه الآية تشير إلى إعابة المنافقين على الرسول والمؤمنين بسبب أن أغنى الله عباده الصادقين(١).

- خامساً: عدم الفهم.

وهذا واضح من تأكيد عدم فقههم، وعدم فهمهم؛ لأنهم ناقصوا العقول، عطلوها لهثاً وراء الدنيا، يقول تعالى: M e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { L [التوبة: ١٢٧].

والشاهد في قوله تعالى: "بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ"، يقول صاحب القاموس: "الفِقه (بالكسر): العِلْمُ بالشيء، والفهم، والفِطْنَةُ"(٢).

إذن يؤكد لنا الله –تعالى- بأن هؤلاء المنافقين، لا يعلمون ولا يفهمون، ولا يفطنون لشرع الله وغاياته السامية التي تُطهّر البشر من الأدران وترتفع بالنفوس إلى الخير العميم.

المطلب الثالث: الاستهزاء واليهود والنّصارى

لقد جعل القرآن الكريم اليهود في مقدمة من يحيكون المؤامرات ويضمرون العداء الكبير للإسلام، فهم كما وصفهم القرآن أشدُّ الناس عداوة للإسلام، يقول تعالى: M ~ ے ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º L [المائدة: ٨٢].

---

(١) الطبري، جامع البيان، ج١٠، ص١٨٢.

(٢) الرازي، التفسير الكبير، ج١٦، ص١٥٧، وانظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (فَقِهَ).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تركز اليهود في يثرب (المدينة المنورة لاحقاً)، وما حولها، حيث كان مركز الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة بعيداً عنها، وما كاد الإسلام ينتقل إلى المدينة، حتى بدأ اليهود يحسون بالخطر الذي أخذ يدهمهم ويندفع نحوهم، فثارت ثائرتهم، وجُنَّ جنونهم، على الرغم من أن النبي –عليه الصلاة والسلام- عاهدهم وقبل منهم السلم، ومنحهم حُسن الجوار، ولم يبدأ بمحاربتهم، ولكنهم – وهذا طبعهم- أعلنوا الحرب العاتية على النبي –عليه السلام- وعلى المؤمنين من حوله[١].

أما النصارى، فهم –كما وصفهم القرآن- أقل عداوة للإسلام، مع التأكيد على أنهم يخرجون من دائرة العداء للمؤمنين، وقد كانوا قلَّة في الحجاز، وكان مركزهم الرئيس في نجران في جنوب الجزيرة العربية، ولم يكن صوتهم في عداء الإسلام واضحاً، كما أن لهجة القرآن لم تكن لهجة عنيفة تجاههم، كما هو الحال مع اليهود[٢].

وقد لعن الله الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان عدد من أنبيائه، ومنهم سيدنا داوود وسيدنا عيسى –عليهما السلام-، قال تعالى: M 9 : ; > = < A @ ? L J I H G F E D C B [المائدة: ٧٨].

كان اليهود أول من أعلن رفض الإسلام في المدينة، وكان هذا الرفض بصورة معلنة وجماعية، كما أنهم كانوا أول من سنَّ خُلقَ النفاق في الدِّين، وذلك عندما شعروا بأنَّ المسلمين صاروا ذوي شوكة وكيان، فكروا في هذا الخُلُق الذي لم يعرفه العرب من قبل، حيث نرى أن القرآن الكريم ابتدع لفظة النفاق، التي لم تكن لفظة معروفة عند العرب قبل الإسلام، وهذا من بديع بيان القرآن وقوة تصويره[٣].

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص١٩٢.

(٢) عبدالحليم حفني، السخرية في القرآن الكريم، ص٣٢.

(٣) نَفَق: ماتَ، والنفَقُ: سَرَبٌ في الأرضِ له مَخْلَصٌ إلى مكان، والنافقاء: إحدى جَحَرةِ اليَرْبوع، يكتمها ويُظهر غيرها، فقد أطلق هذا اللفظ على المنافقين الذين يظهرون ما لا يبطنون كما هو الحال في جحرة اليربوع التي لها فتحتان. (أنظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (مادة: نَفَقَ).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتؤكد العديد من دراسات الباحثين أنَّ الذين نافقوا من العرب إنما التفوا حول نفاق اليهود وظاهروه، كما يرى ابن هشام في السيرة النبوية أن كُلَّ من نافق من الأوس والخزرج إنما كان نفاقه انحيازاً إلى اليهود ومظاهرة لهم والتفافاً حولهم(١).

لقد كان النفاق الذي اخترعه اليهود ونشروه في المدينة وما حولها من أخبث الوسائل التي حُورب بها الإسلام وأخطرها، وقد اتبعوا كذلك سبلاً شتى من أجل محاربة الدين الجديد، من ترويج للإشاعات والدِّعايات الكاذبة ضد الإسلام والمسلمين، ومن أبرز تلك الإشاعات الخطيرة، حادثة الإفك التي زلزلت كيان المسلمين في المدينة المنورة، لولا نزول القرآن الكريم وتبرئة أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها)، كما حاول هؤلاء اليهود تحطيم معنويات المسلمين في الحروب، والتخلي عنهم، كما فعل بنو قريظة في غزوة الأحزاب(٢).

كما شنُّوا هم وقادتهم حرباً على الإسلام في كل منحى وجانب، وكانت هذه الحرب مخططة ومنسقة، وكان من أبرز مخططيها من اليهود الأحبار، ومنهم سعد بن حنيف، وحُيي بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق وغيرهم(٣).

لقد كان الصراع بين الرسل وبني إسرائيل صراع عقيدة مبني على الإيمان بالله ولذلك واجَهَ الرُّسُلُ التكذيب والتعذيب والقتل من أولئك اليهود الكفرة(٤).

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص١٤١.

(٢) عبدالحليم حفني، السخرية في القرآن الكريم، ص٢٤٠.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص١٤٩.

(٤) عبدالحليم حفني، السخرية في القرآن الكريم، ص٢٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أساليب استهزاء اليهود بالأنبياء وشرائعهم:

أولاً: تجهيل الأنبياء.

فعندما طلب منهم موسى –عليه السلام- أن يذبحوا بقرة، ليتعرفوا على القاتل الذي ارتكب جريمة بحق أحد أفرادهم، اتهموا موسى عليه السلام بالجهل، حيث يقول تعالى: M r q p y x w v u t s { | } ~ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö × Ø Ù Ú Û Ü Ý Þ ß à á â ã ä å æ ç è é ê ë ì í î ï ð ñ ò ó ô õ ö ÷ ø ù ú û ü ý þ ÿ L [البقرة: ٦٧].

- ثانياً: الافتخار بقتل الأنبياء والتهكم بالرسالات النبوية.

قال تعالى: M @ A B C D E F G H L [النساء: ١٥٧]. والشاهد قوله تعالى: M G H L ، فهذه صفة صادرة، إما من الله تعالى لمدح عيسى بن مريم –عليه السلام-، ورفع محله، وإظهار جراءتهم في تصديهم لقتلهِ، وإمَّا أن تكون صادرة من قومه على سبيل الاستهزاء، وبيان ذلك أنَّ هذا اللفظ مُشْعِرٌ بأنهم مؤمنون ومصدقون بأنه رسول، لكن ذلك لا يستقيم مع قتلهم له، مما يدل على أن الكلام ليس مقصوداً على الحقيقة، وإنما أرادوا الاستخفاف به، فأخرجوا الكلام في صورة المصدِّق المؤمن برسالة عيسى عليه السلام، وهم في غاية التكذيب والإنكار؛ ولذلك فقد نظم الله كلامهم هذا في سلك سائر جناياتهم التي نُعِيَتْ عليهم، ليس مجرد كونه كذباً، بل لتضمنه الابتهاج بقتل النبي عليه السلام، والاستهزاء به[١].

- ثالثاً: الاستهزاء ببعض شرائع الإسلام.

وقد ذكرنا أن الكفار كانوا يستهزئون من الصلاة والنداء، وكذلك فعل اليهود في المدينة المنورة، يقول تعالى:M ! " # $ % & ' ( ) * + , - L [المائدة: ٥٨].

لقد كان منادي رسول الله –عليه الصلاة والسلام- إذا نادى إلى الصلاة قام المسلمون إليها، فقالت اليهود عندما سمعوا صوت الأذان: "قاموا لا قاموا، صلُّوا لا صلُّوا، ركعوا لا ركعوا، على طريق الاستهزاء والضحك"[٢].

---

(١) أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم، ج٢، ٢٥١.

(٢) الواحدي، أسباب النزول، ص١٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- رابعاً: تحريف القول وتبديل ما أمروا أن يقولوا.

قال تعـالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . /

A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0

L H G F E D C B [البقرة: ٥٨-٥٩].

لقد أمر الله تعالى بني إسرائيل أن يدخلوا باب المسجد (يُقال بأنه في القدس) ويقولـوا: (ربنـا حُطَّ عَنَّا ذنوبنا) واغفر لنا خطايانا، ولكن اليهود والظالمين غيّروا وبدّلوا ما أمروا بـه مـن قـول: "فدخلوا المسجد على أستاهم (أدبارهم)، وقالوا على سبيل الاستهزاء: "حَبَّةٌ شعير" وسخروا من أمـر الله، فعاقبهم الله بإنزال وباء الطَّاعون فمات منهم في ساعة ما يزيد على سبعين ألفاً[١].

ويقول الرازي والعمادي في تفسير: M 7 8 9 : ...L أي خالفوا، فقالوا بَـدَلَ (حِطَّةٍ) حِنْطَةٍ، قالوا هذا القول استهزاءً وتبديلاً مكان القول الذي أمروا به[٢].

من أسباب استهزاء اليهود:

- أولاً: الجهل وضعف الحُجَّة.

وهذا ما يمكننا أن نلمسه بوضوح من قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام، فـي الآيـة التي أوردناها سابقاً: M } | { قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ L؛ أي: من المـستهزئين، كما يرى بعض المفسرين، ويقولون بأن الهُزْءَ أثناء تبليغ أمر الله جهل، وفيه تعريض بهم، أي أنـتم جاهلون حيث نسبتموني إلى الاستهزاء، وهو استهزاء من قبيل الجهل؛ لأنه يقوم على مجرد الغفلـة والهوى والمنطق السليم[٣].

---

(١) الصَّابوني، صفوة التفاسير، ج١، ص٥٢.

(٢) الرازي، التفسير الكبير، ج١، ص٢٦٦. والعمادي، إرشاد العقل السليم، ج١، ص٩٢.

(٣) العمادي، إرشاد العقل السليم، ج١، ص١١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ثانياً: عدم الفهم وأنهم لا يعقلون.

وهذا ما كان مع المشركين والمنافقين واليهود أيضاً، لأنهم كلهم في بَوتقةِ الكفر والعناد، وعدم تحكيم العقول، يقول تعالى في الآية التي تحدثت عن استهزائهم بالصلاة وبالنـــداء: M (* + , - L، بمعنى، لا يفهمون، ولا يعلمون[١].

- ثالثاً: الفِسْق.

والفِسقُ في اللغة: التَّرك، وهو في الاصطلاح: التّركُ لأمر الله تعالى، والعصيان، والخـــروج عن طريق الحقِّ، أو الفجور، وقد عُرف هذا المصطلح بعد مَجيءِ الإسلام، حيث إنَّ الفسق في اللغة أيضاً هو خروج الرُّطَبة عن قِشرها، ولذلك سُمي الفاسق بذلك لخروجه وانسلاخه عن الخير، وليس في كلام جاهليٍّ ولا شعرهم فاسقٌ، على أنه عربي[٢].

وقد نسب الله إلى اليهود الذين حرَّفوا الكلم عن موضعه بقولهم (حنطة)، بدل (حِطَّـــة) نـــسب إليهم الفسق، وجعله سبباً في استهزائهم، يقول تعـــالى: M 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H L [البقرة: ٥٩].

وقد ذكر بعض المفسرين مثالاً على استهزاء النصارى من الإسلام، يتمثل باستهزائهم عنـــدما يسمعون المنادي ينادي إلى الصلاة، وأنَّ الآية التي تقول: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - L، نزلت كما يذكر الواحدي: في رجل من نصارى المدينة، وكان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسول الله، (قال حُرِّقَ الكاذبُ)، فدخل خادمه بنار ذاتَ ليلةٍ، وهو نائم، وأهله نيام، فتطايرت منه شرارة، فأحرقت البيت، فاحترق هو وأهله"[٣].

---

(١) الواحد، أسباب النزول، ص١٠٤.

(٢) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (مادة: فَسَقَ).

(٣) الواحدي، أسباب النزول، ص١٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الرَّابع: الاستهزاء الرَّبَّاني

ذكرنا سابقاً بأنَّ القرآن الكريم هو الممثل لحزب المسلمين، وهو المدافع عنهم والمهاجم لأعدائهم، وهو بذلك يدافع عن ممثلي العقيدة الرَّبانية، وقد قلنا أيضاً أنه ليس هناك ما يمنع من نسبة الاستهزاء إلى الله –عزّ وجل- بحيث يكون هذا الاستهزاء مختلفاً عن استهزاء البشر، فهو ليس مجرد سخرية، أو تهكُّمٍ، أو تحقيرٍ، أو استخفافٍ، بل إنَّ أهدافه وأغراضه أعمق بكثير مما يظنُّ كثير من الدارسين والمفسرين.

وقد عرضنا فيما مضى للسؤال الذي يدور في الأذهان، وهو: كيف يصدر الاستهزاء عن الله العظيم المُنَزَّهِ عن كل شيء قبيح؟ حيث يُعد الاستهزاء من باب السخرية والاستخفاف والتهكم والجهل والعيب؟. وحتى نستطيع الإجابة عن هذا السؤال بتوسُّع وإدراك، نورد بعض آراء عددٍ من المفسرين الذين تناولوا شرح آيات القرآن الكريم وتفسيرها بشيءٍ من التدبر والتأمل وإبراز المناحي البلاغية واللغوية الراقية، وعلى رأسهم الزمخشري صاحب الكشاف، حيث نراه يقول في تفسير قوله تعالى من سورة البقرة، رداً على الذين قالوا: M إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ L ، M ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ L ، "فإن قلتَ: لا يجوز الاستهزاء على اللهِ تعالى؛ لأنه منزّه متعالٍ عن القبيح، والسخرية من باب العيب، والجهل ألا ترى إلى قوله تعالى: M { | { قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ L فما معنى استهزائهِ بهم؟ قلتُ: معناه: إنزالُ الهوان والحقارة بهم؛ لأنَّ المستهزئ غرضه الذي يرميه: هو طلب الخفةِ والزراية ممن يهزأ به، وإدخال الهوان والحقارة عليه، وقد كثُر التهكم في كلام الله بالكفرةِ والمراد به تحقير شأنهم وازدراء أمرهم، والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون، ويضحك منها الضَّاحكون"[(١)].

وأمَّا القرطبي فيرى في تفسير M ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ L: "أن ينتقم منهم ويعاقبهم، ويسخر بهم، ويجازيهم على استهزائهم، فسمَّى العقوبة باسم الذنب، هذا قول الجمهور من العلماء"[(٢)].

ويرى القرطبي أيضاً، "بأنَّ العرب تستعمل ذلك كثيراً في كلامهم، كقول عمرو بن كلثوم:

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ج١، ص١٨٥.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص٢٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوقَ جهل الجاهلينا

فقد سمى انتصاره جهلاً، والجهل لا يَفْتَخِرُ به ذو عقل، وإنما قاله ليزدوج الكلام، فيكون أخفّ على اللسان من المخالفة بينهما(١).

وكانت العرب إذا وضعوا لفظاً بإزاء لفظٍ جواباً له وجزاءً ذكروه بمثل لفظه، وإن كان مخالفاً له في معناه، وعلى ذلك جاء القرآن والسُّنة، فقال تعالى: M | { ~ مِّثْلُهَا L، وقال أيضاً: M + , -. / 0 1 L. وليس في الله مكرٌ ولا هُزْء، ولا كيدٌ؛ إنّما هو جزاء لمكرهم واستهزائهم وجزاء كيدهم، وقال قومٌ: "إن الله تعالى يفعل بهم أفعالاً هي في تأمُّلِ البشر هُزْءٌ وَخَدْعٌ ومَكرٌ"(٢).

ويرى صاحب البحر المحيط أنَّ: "الله تعالى منزّه عن الهَزْل واللَّعِبِ، فلا يصحُّ إضافة الاستهزاء الذي هذه دواعيه، فيحتمل أن يكون الاستهزاء المسند إلى الله تعالى كنايةً عن مجازاته لهم، وأطلقَ اسمَ الاستهزاء على المُجازاةِ لِيُعْلَمَ أنَّ ذلك جزاء الاستهزاء، فلم يعجِّل لهم العقوبة، بل أملى لهم وأخَّرهم إلى الآخرة، وسمَّى: التوطئة لهم استهزاءً؛ لأنه لم يعجل لهم، بل أملى لهم، وأخرهم إلى الآخرة... واستهزاء الله بهم مقابل استهزائهم بالمؤمنين دلالة على عِظَم شأن المؤمنين، وعلو منزلتهم عند الله تعالى، يذبُّ عنهم، ويدفع الأذى، ويحارب من حاربهم"(٣).

لقد وقف القرآن بالمرصاد يردُّ كلَّ سهم إلى نحور المستهزئين، ويردُّ على كُلِّ استهزاءٍ وسخرية، باستهزاءٍ أشدَّ وأنكى، محطماً مصادر الفتنة وألسنة السخرية والاستهزاء العديدة، حيث نرى الاستهزاء الرَّبَّاني يواجه استهزاء جميع الأطراف التي عرضناها سابقاً، وهي الأطراف المعادية، باستهزاء قاسٍ، وبصور مختلفة ومتعددة، لم تكن كاستهزاء تلك الأطراف أو الجهات البشرية، بل كان استهزاءً شديداً وراقياً وسامياً في الوقت نفسه، ولذلك قمت بوضع مجموعة من العناوين الفرعية تحت هذا الاستهزاء، لنتعرف إلى الجهات والقضايا التي تناولها الاستهزاء الرباني بأعداء الدِّين والأغراض والأساليب التي اتبعها في سبيل ذلك.

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص٢٠٧.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص٢٠٨.

(٣) ابن حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج١، ص١١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأطراف (الجهات) التي استهزأ بها القرآن:

أولاً: الكفَّار.

عرضنا فيما مضى لاستهزاء الكفار وأساليبهم وأسباب ذلك الاستهزاء والآيات التي تحدثت عن العديد من مظاهر سخريتهم واستهزائهم، وقد ردّ القرآن على كلِّ تلك المظاهر الهازئةِ باستهزاءٍ أشد وأعظم، مصوراً الكثير من الجوانب والقضايا التي تناولها بذلك الاستهزاء، ومنها:

- الاستهزاء بقادة الكفر:

لقد كان قادة الكفر على مرِّ الزمان، وقبل مجيء الإسلام عقبة صلبة أمام الرسالات السماوية، وحاجزاً منيعاً بين نور الإيمان، وعامة الناس. ولئن كان الإسلام قد حاربهم بعنف، وردّ كيدهم بكيد أشد، وأولاهم من اهتمامه في حربه جانباً كبيراً، فليس ذلك لمجرد حرص الإسلام على تجنب عداوتهم، أو لمجرد حرصه على ضمهم إلى صفوف المسلمين، وإنما المعنى البارز الذي يبدو بوضوح هو تحطيم سيطرتهم على الأتباع، ونزع هؤلاء الأتباع من براثن القادة، ومخالب الزعماء، حتى يُتاح لهم سماع كلام الله –عز وجل-[1].

لقد كثر القادة الذين استهزأوا بالله ورسوله، فكان منهم أبو جهل وأبو لهب، والوليد بن المغيرة، فجاء استهزاء الله بهم عظيماً، والقرآن يعرض لنا كثيراً من أساليبهم الساخرة، ويعرض مقابل ذلك مصيرهم الأليم، حيث يصورهم أذلاء خالدين في العذاب الشديد، يقول تعالى في الوليد ابن المغيرة الذي سمع القرآن وشهد بجماله وسحر بيانه، ثم أنكر ذلك واتهم الرسول بأنه يأتي بالسحر:

M ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ

أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا à سَأُرْهِقُهُ â ﴿١٧﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . /

I H G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0

L Y X W V U T S R Q P O N M L K J [المدثر: ١١-٣٠].

(١) عبدالحليم حفني، السخرية في القرآن الكريم، ص١٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا وعيد إلهي مليء بالاستهزاء والسخرية من هذا الكافر المستهزئ بآيات الله، والذي ستكون جهنم مصيره، وأن ما عُرفَ به من وسامةٍ في الجسم، سوف تذهب عنه في جهنم، وسوف تلوِّح النار جلده، فتذهبُ نصاعته، حتى يعود كأنه مغبّر قاتم البشرة في نار عليها ملائكة شداد غِلاظ.

وهناك زعيم وقائد من قادة الكفر خَلا لهُ وَجْهُ الزَّعامة والعزَّة المطلقة، التي لم يكن ينافسه فيها إنسان، وهو أبو جهل، حيث يُذكر أنه جاء إلى النبيّ –صلى الله عليه وسلم، يقول له: ما بين جبليها –أي مكة المكرمة- أعزّ ولا أكرم منّي، فواللهِ ما تستطيع أنت ولا ربُّك أن تفعلا بي شيئاً[١]. فيأتي القرآن ليصرح عن عذاب هذا الفاجر ويصور مصيره بطريقة ساخرة، مهوِّناً ومستخفاً بشأنه وبقوته وعزته الكاذبة يقول تعالى: M < = > ? @ A B C D E F

Y X W V U T S R Q P O N M L K J I H G

Z [\ ] ^ _ ` a b c d L [الدخان: ٤٣-٥٠].

انظر إلى طعام هذا الكافر الأثيم، إنه شجرة الزقوم، وهي الشجرة التي تنبت في أصل الجحيم، وكيف هو وصف هذا الطعام؟ إنه كالنحاس المذاب الذي يغلي في البطون، غلياناً شديد الحرارة، وانظر أيضاً إلى طريقة أخذه إلى الجحيم إنها بالعَتل، وهو الجرُّ الشديد من تلابيبه، ثم بعد ذلك كيف سَيُصَبُّ العذابُ فوق رأس هذا الذي كان يمشي مُعْتزاً ومغتراً متطاولا؟؟ إنّه بطريقة (الصَّبُّ الشديد من الحميم)، وهو الماء الشديد الحرارة الذي تناهى حَرُّه![٢].

وانظر أيضاً قوله تعالى: M Y Z [\ ] L وهذا من أشد أنواع الاستهزاء، وهو ردٌّ على استهزائه بأنه أعزُّ من في مكة، فهذا هو مصيرك أيها العزيز الكريم على سبيل الاستهانة والاستهزاء[٣].

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٢٢٣، وانظر الواحدي، أسباب النُّزول، ص٢٠٨.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٦، ص١٤٩.

(٣) الصابوني، صفوة التفاسير، ج٣، ص١٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الاستهزاء من الأتباع الكافرين:

عرض القرآن الكريم العديد من الآيات لمن يُسمَّون أتباعَ الزعماء والقادة، ومحبتهم لهم، وكيف أنَّ أولئك القادة سوف يتخلون عن أتباعهم، وكيف سيجني أولئك التابعون الخسارة والخذلان من جرّاء انقيادهم الأعمى وراء أسيادهم الذين أغووهم وأبعدوهم عن إتباع الحقِّ، وفي نهاية المطاف يتخلى القادة عن الأتباع ويتبرؤون منهم، وينكرون أي سبب يربطهم بهم[1]. يقول تعالى:

c b a ` _] \ [Z Y W V U T S R Q P O N M M

w v u t s r q p o n m l k j i h g f e d

x y z { | } ~ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ

حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم ´ µ ¶ L [البقرة: ١٦٥-١٦٧].

وهكذا نجد استهزاء القرآن يتناول تبعية الأتباع لسادتهم من جوانبها المختلفة لتذكرهم، وتُبصِّرَهُم بكل ما هُمْ فيه من ضلالٍ وغيٍّ في انسياقهم وراء وهْمٍ وباطلٍ لا ينفعهم، ولا يغني عنهم عند الجدّ شيئاً.

- الاستهزاء من الأصنام والآلهة الباطلة:

يؤكد القرآن الكريم أنَّ ما يعبد الكفار من أصنام وآلهة من صنعهم، ما هي إلَّا أسماء سَموها هُمْ وآباؤُهم، وهي لا تَضرُّ، ولا تنفع، صَمَّاء لا تسمع، بَكْماء لا تتكلم، وهو بذلك يؤكد أنها مخلوقات من مخلوقات الله، كما في هذا العرض محاججة لهم، وتسخيف واستهزاء بعقولهم التي عطلوها، حيث عبدوا حجارة لا تستطيع ردَّ الأذى عن نفسها[2]، وقد أورد القرآنُ الكريم العديدَ من الآيات التي تستهزئ بهذه الآلهة المُصْطنعة، قال تعالى: M إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ´ µ ¶

فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ

(١) ابن حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج١، ص٤٦٧.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ص٣٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ L [الأعراف: ١٩٤-١٩٥].

وانظر إلى الاستفهام الذي يتكرر في هذه الآيات (أم لهم...)، وما فيه من استهزاء بتلك الأصنام.

- الاستهزاء من العادات والتقاليد:

يرى عدد من الدارسين والباحثين الاجتماعيين بأنَّ العادة (ما تعوَّد الإنسان على فِعْله) أقوى من أي سلطان في المجتمع، حتى من سلطان القانون نفسه، مهما انطوى على عقوبات أو رادع؛ لأن التشبث بالعادة الموروثة عن الآباء، فضلاً عن قوته وعمقه في نفوس الأفراد، فإن الضغط الاجتماعي، وشعور الفرد بأنَّ المجتمع كله يراقبه، ويلزمه التمسك بهذه العادة، مما يزيده تشبثاً بها[١].

وقد جاء الإسلام ليحارب كثيراً من العادات والتقاليد الجاهلية المتبعة ويؤكد بصراحة أنها عادات فاسدة، وبطريقة استهزائية استخفافية بعقولهم، حيث يشبههم بالماشية التي لا تعي الكلام من راعيها، إلا مجرد الصوت والنعيق، دون أن تفهم ما يقول[٢]، قال تعالى: M ! " # $ % & ') (* + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L [البقرة: ١٧٠-١٧١].

- الاستهزاء من افتراءات الكفار على الملائكة:

قلنا سابقاً بأنَّ الكفَّار استهزأوا بالملائكة، وجعلوهم إناثاً، ونفوا عنهم صفة الذكورية، ولذلك جاء القرآن يستهزئ بتلك المعتقدات والافتراءات الكاذبة، فنراه يعرض عدداً من الآيات التي تستفهم وبطريقة هازئة بأقوال أولئك المفترين، يقول تعالى: M , أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ L [الصافات: ١٤٩]، يقول تعالى في موضع آخر: "أَم اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ" [الزخرف: ١٦]، وهذا الاستفهام خرج عن معناه الحقيقي إلى الاستهزاء والسخرية[٣].

---

(١) د.م ماكيفر، المجتمع، ترجمة: د. علي أحمد عيسى د.ط مكتبة النهضة المصرية، د.ت، ص٥٤.

(٢) (ينعق: يصرخ، صُمٌّ: لا يسمعون، بكم: لا يتكلمون). الصابوني، صفوة التفاسير، م١، ص١٠٢.

(٣) مختصر ابن كثير، ج٣، ص٢٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والآية التي يبدو فيها الاستهزاء شديداً بهذه الافتراءات، قوله تعالى: M وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ © ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ L [الزخرف: ١٩]. والشاهد قوله تعالى: M أَشَهِدُوا۟ © L، وهذا تجهيل وتهكم(١).

- الاستهزاء ببعض عباداتهم:

وكما استهزأ الكفار بالصلاة والنداء وبشرع الله المنزل على أنبيائه، نرى أن الله تعالى قد ردّ هذا باستهزاءٍ أكبر، حيث نراه –عز وجلّ- يسخر ويستهزئ بصلاتهم، التي كانت على شكل تصفير وتصفيق، وهم يدورون حول الكعبة عُراةً، يقول تعالى: M 8 9 : ; < = > ? | A B C D E L [الأنفال: ٣٥]. فالمُكاءُ، هو: الصفيرُ، والتَّصديةُ: التصفيق، وهذه من جملة قبائحهم، حيث كانوا يفعلون ذلك إذا صلى المسلمون ليخلطوا عليهم صلاتهم(٢).

ثانياً: المنافقون.

كان الطرف الثاني في الاستهزاء الرَّباني هم المنافقون، حيث قدّمنا بعضاً من مظاهر استهزائهم وسخريتهم، فجاء القرآن الكريم ليعرض لنا ويفضح الكثير من أعمالهم القبيحة وبصورة أشد استهزاءً وسخرية، حيث استهزأ القرآن بالكثير من صفاتهم المخزية من جُبنٍ، وكذبٍ، وبخلٍ، وما إلى ذلك من صفاتٍ تتنافى مع الأخلاق السويَّة.

---

(١) الصَّابوني، صفوة التفاسير، م٣، ص١٤٢.

(٢) ابن حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٤، ص٤٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من مظاهر الاستهزاء بالمنافقين:

- الاستهزاء من مظهرهم الخارجي ومن جُبْنِهم:

قال تعالى: Mوَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ µ ¶ ¸ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ L [المنافقون: ٤].

والقرآن الكريم يهزأ بهيئات أولئك المنافقين، ومناظرهم، لحُسنها ونضارتها وضخامتهم وهم فصيحو اللسان، وهم في حقيقة الأمر –كما صورهم القرآن- كالأخشاب المسنَّدة إلى الحائط، في كونهم صوراً خالية عن العلم والنظر، فهم أشباحٌ بلا أرواح، وهم بجبنهم وهلعهم يظنون كُلَّ نداءٍ وكل صوتٍ أنهم يُرادُون بذلك، فهم في خوفٍ ووجَلٍ من أن يهتك الله أستارهم، ويكشف أسرارهم[١].

وانظر ما يؤكد حقيقة أن المنافقين جبناء يخافون أن يُفْتَضَحْ أمرهم ويُكشَف استهزاؤهم من خلال قوله تعالى: M @ A B C D E F G H I K L M N L Q P O [التوبة: ٦٤].

- الاستهزاء من سلوكهم النفعي:

إنَّ المتابع لسلوك المنافقين في كلِّ زمان ومكان يجد أن هذا السلوك يهدف إلى غرضٍ واحدٍ، وهو المنفعة الشخصية، وقد قلنا بأنَّ المنافقين لا يحملون أيَّة عقيدة، وهم كذلك لا مبدأ لهم ولا صاحب إلا من يجدون عنده المصلحة، فجاء القرآن ليكشف نواياهم ويعرِّي مبادئهم المنفعية[٢] يقول تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z L [النساء: ١٤١-١٤٢].

---

(١) ابن حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٨، ص٢٧٢، وانظر، الصابوني، صفوة التفاسير، م٣، ص٦٣.
(٢) عبدالحليم الحفني، السخرية في القرآن الكريم، ص٣٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان لكثير من صفات المنافقين أثرٌ في تثبيط المسلمين، حيث حاولوا إعاقتهم عن الجهاد، وإبعاد المسلمين عن الإنفاق، لذلك جاء غضب الله عليهم شديداً بحيث جعل مصيرهم في الدَّرك الأسفل من النار، وبشَّرهم الله بعذاب شديد، حيث يقول تعالى: M ~ **ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** L [النساء: ١٣٨]. وهذه البشارة جاءت على سبيل الاستهزاء والسخرية؛ لأنَّ البشارة في الأصل لا تكون إلَّا في الخير[١].

ثالثاً: اليهود والنصارى.

وكما استهزأ اليهود والنصارى بالأنبياء وبما أُنزل عليهم، ومنهم النبي محمد –عليه الصلاة والسلام- فقد قابلهم القرآن استهزاءً باستهزاء أشد وأكبر من خلال الآيات الكثيرة التي تحدثت عن عِناد الكثير منهم ومظاهر استهزائهم، ومن أمثلة على الردِّ الرباني على أولئك الساخرين قوله تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 L [المائدة: ١٨]. والشاهد، قوله تعالى: M (* + L؟ سؤال استهزائي تهكمي على ما يدعون من ادِّعاءات باطلة، ويؤكد ذلك قوله تعالى: M . / 0 1 2 L[٢].

وقد طرح أحدُ العارفين سؤالاً على بعض الفقهاء: "أينَ تجد في القرآن أنَّ الحبيب لا يعذبُ حبيبهُ؟ فسكتَ، ولم يردَّ عليه، فتلا قوله تعالى: M (* + L، ففي الآية دليل على أن المحبَّ لا يعذِّب حبيبه[٣].

---

(١) الصابوني، صفوة التفاسير، م١، ص٢٨٦.

(٢) الصابوني، صفوة التفاسير، م١، ص٣١٨.

(٣) المصدر السابق، م١، ص٣١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الآيات الهازئة باليهود وبفساد أحوالهم، قوله تعالى: M Z [\ ] ^ _ ` a b c d | f g h i j k l | n o p q r L [الجمعة: ٥].

وقوله تعالى: M t u v w x y z { | } ~ L [البقرة: ٤٤].

وقوله تعالى: M > ? @ A B C D E | G H I J K L M N O P Q R S | U V W X L [البقرة: ٩٦].

رابعاً: الاستهزاء ببعض تصرفات المسلمين.

ومع أنَّ القرآن الكريم ركّز حملته على أعداء الإسلام، إلا أنه لم يترك الجبهة الدَّاخلية للمسلمين، بحيث جعل لها نصيباً بارزاً من الاستهزاء، حماية لها مما قد يشوب صفاءها، أو يُفسد طهرها من مختلف الانحرافات، أو الانسياق وراء الغرائز والنزوات، واتِّباع المطامع والأهواء، وما يجرُّ ذلك كله في المجتمع الإسلامي، من انقسامات، ومن انحرافات، أو ظهور أخلاقٍ لا ترضاها مبادئ الإسلام(١).

والاستهزاء الذي يتناول المسلمين يُعدّ نوعاً من الهدى والتقويم، بحيث ساهم هذا الاستهزاء في صقل الأفراد بنصيب وافر، وهذا واضح من خلال عرض القرآن لموقف المسلمين في يوم أحُد، حيث كانت نتيجة المعركة هزيمة المسلمين وانتصار قريش الكافرة، بحيث جاءت الآيات الكريمة لتؤكد على عدم اغترار المسلمين بانتصارهم الأول في معركة بدر الكبرى، وكذلك جاءت تلوم من عصوا أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم-، فجاء هذا اللوم على شكل استهزاء ساخر، من خلال قوله تعالى: M ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7

8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K | M N L [آل عمران: ١٥٦].

(١) عبدالحليم حفني، السخرية في القرآن الكريم، ص٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

L [آل عمران: P 0 Q R S U V W X Y Z [\ | ^ _ ` L

١٤٢-١٤٤].

ويتبع القرآن هذا الاستهزاء باستهزاء آخر، مصوراً فرار المسلمين في صورة لا تليق بمن يوصف بالإيمان، وحبِّ التضحية في سبيل الله، بحيث يصورهم مسرعين في الهرب، لا يصدُّهم عن ذلك حتى المرتفعات والجبال، فيصعدون فيها، وقد أعرضوا عن كل شيء، وكأنَّ الخوف أذهلهم عن التفكير في أي شيء إلا الهرب[1] يقول تعالى: M } | { ~ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ © تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَابَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ´ µ ¶ L [آل عمران: ١٥٣].

خامساً: الاستهزاء بالدنيا.

استهزأ الله تعالى بالدنيا، كما استخفَّ بكل ما فيها من متاع زائل، حيث شبه هذه الدنيا بالمتاع الذي لا يجوز لأحد أن يتمسك به، وأن مصير الإنسان معروف، ونهايته محتومة، وهي الموتُ، ثم الحساب، فإمَّا إلى جنةٍ عرضها السماوات والأرض وإمَّا إلى جحيم حارقة مهلكة، لذلك نرى القرآن يركز على أنَّه يجب على العاقل ألا يغترَّ بهذه الدنيا الفانية التي لا تعدل عند الله جناح بعوضة، يقول تعالى: M 8 9 : ; < = > ? @ A B C D L [الحديد: ٢٠].

سادساً: الاستهزاء بأصل الإنسان.

وليس المقصود بذلك أنَّ الله –عز وجل- يرمي إلى الاستهزاء من أصل البشر لاحتقارهم ولكن تذكيرهم، وخاصة المتكبرين والعاصين، المتفاخرين بأحسابهم وأنسابهم متناسين، أنهم خلقوا من ماء كريه الرائحة، وأنَّ أصلهم في البداية من طينٍ لازب، فلا يجوز أن يتكبر إنسان على الله

(١) الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٣٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورسله. ولا على بقية البشر، ولا أن يعاند، ويُعجب بنفسه، يقول تعالى: M ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r L [عبس: ١٧-٢٠].

ويؤكد الله تعالى على هذا المعنى في قوله –عز وجل- M ! " # $ % L [المرسلات: ٢٠]. والماء المهين، بمعنى المهيون، الحقير الضعيف(١).

سابعاً: الاستهزاء ببعض الصِّفات الذميمة، ومنها

أ- الاستهزاء بالبخلاء وبخلهم:

حرص الإسلام على تصفية قلوب المسلمين من كل عيب، أو نقيصة، ومنها البخل، وأكَّد أنَّ الإنسان مستخلف في المال وأن فيه حقاً للفقراء والمساكين، حتى يعمّ الخير جميع الناس، فلا يحقد شخص على آخر، ولا يجوع الناس والفقراء ينظرون، حيث توعد الله هؤلاء الأشحَّاء بمصير مليء بالاستهزاء والسخرية، من حيث سيطوقهم بما كانوا به يبخلون، وسوف يُحمى الدَّهَبُ والفضة ويكوى بها جباههم العالية المرتفعة في الدنيا، ويكوى جنوبهم وظهورهم جزاء على ما بخلوا به في الدنيا(٢) يقول تعالى: M... R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r L [التوبة: ٣٤-٣٥].

فانظر الأماكن التي سوف يكوون فيها، وانظر إلى قوله تعالى: "فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" كيف يستهزئ الله -تعالى- بهم، وبمصيرهم.

ب- الاستهزاء بالمتكبِّر:

حيث ينهى الله تعالى عن التَّكَبُّر، ويستهزئ بمن يمشي مَرَحاً في الأرض، مختالاً متعجباً، متكبراً، حيث يصف الله، تعالى، هذا الإنسان المتعالي، المتبختر في مشيته، بأنه ضئيلٌ هزيلٌ، لا

---

(١) الألوسي، روح المعاني، ج٣٠، ص٤٣.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٢٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يليق به التكبُّرُ، فهو لن يَخْرق الأرض، أو يشقَّها، وهو (أي الإنسان) أحقرُ، وأضعفُ من أنْ يفعل ذلك، وهذا تهكم وتقريع بالمتكبرين[١]، قال تعالى: M وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ L [الإسراء: ٣٧].

(١) الصَّابوني، صفوة التفاسير، م٢، ص١٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثَّاني

خصائص الاستهزاء القرآني وأغراضُهُ

المطلب الأول: خصائص الاستهزاء القرآني

يرى عدد من الدارسين بأنَّ القرآن الكريم يمتاز في استهزائه وسخريته عما وصلت إليه الحضارة من استهزاء من ناحيتين؛ إحداهما أنَّ القرآن كان أسبقَ من أيِّ حضارة في التَّرقي بالاستهزاء والسخرية إلى وضع يمكن أن يُنْظَرَ إليه على أنَّهُ فنٌّ مستقلٌّ، والثانية أنَّ القرآن قد نقَّى استهزاءه مما يمكن أنْ يُوجَّه إلى السخريات الأخرى من انتقاص، سواء من الناحية الفنيَّة في صياغتها، أو من ناحية الموضوع الذي يهدف الاستهزاء إلى علاجه[١].

ويمكننا أن نذكر بعضاً من خصائص الاستهزاء القرآني، وذلك من خلال تدبُّرنا لكثير من الآيات القرآنية التي تناولت هذا الأسلوب، وأبرزها:

أولاً: الإيجاز.

ونقصد به: "تقليل الكلام من غير إخلالٍ بالمعنى، ويكون على طريقتين: (حذفٌ وقصرٌ)"[٢]، والمتذوق للأساليب البلاغية القرآنية ليجد أنَّ للفظة المستخدمة في الاستهزاء معاني ودلالة عديدة، فهي تختزل الكلام في كلمة واحدة، سواء كان ذلك من خلال اللفظة أو الجملة المعبِّرة، التي توحي بمعانٍ وأخيلةٍ كثيرة، فنحن إذا نظرنا في قوله تعالى: M : ; > = < L [الواقعة: ٥٦]. وذلك في سياق العذاب الذي يُصبُّ على أعداء الله يوم القيامة؛ فالنُّزُلُ فيما يعرفه العربُ هو التكريم الذي يُعَدُّ للنازل، ولكن القرآن يستهزئ من أعدائه، فيكون العذاب نُزُلاً لإكرام أولئك الكافرين المستهزئين في الدين في الحياة الدنيا، إذن فلفظة (نزلهم)، حملت دلالات كثيرة، وأثارت في النفس معاني عديدة.

---

(١) عبدالحليم حفني، السخرية في القرآن الكريم، ص١٠١.

(٢) الرُّماني، النكت في القرآن الكريم، ص٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول الجاحظ في ذلك: "والعذاب لا يكون نُزُلاً، ولكن قام مقام العذاب لهم في موضع النعيم لغيرهم سُمي باسمه"(١).

ثانياً: التسامي والتَّعالي.

ومعنى ذلك أنَّ الإسلام يسمو عن سفاسف الأمور في العِداء والخصومة بحيث لا ينزل إلى مستوى الحقد والغلِّ الشخصي، فهو لا يرضى إلَّا بالخصومة الكريمة، فهو كلام الله المتعالي عن التفاهات، وسَقْط الكلام، كما أنه –القرآن الكريم- يعالج قضايا حساسة، ودقيقة في الحياة الإنسانية، وهي في الوقت ذاته تشكِّل عاملاً أساسياً في طبيعة الوجود، وقد أكد القرآن العظيم على سمة التسامي والتسامح والتعالي في عدة آيات، منها قوله تعالى: M : ; > = < ? @

V U T R Q P O N M L K J I H G F E D C B A

W X Y L [آل عمران: ٦٤](٢).

وليس معنى التسامي مجرد الرفق والرحمة؛ لأنَّ الخصومة ليست هي جمال الرحمة والرِّفق ومن البديهي أن الاستهزاء بطبعه مظهر عدائي، وليس معنى تسامي الاستهزاء القرآني أنه هادئ، ولا وادع، وإنما معناه أنه يتجنب نبو الألفاظ، وقبح المعاني، وأنه دائماً هادف لتحقيق السلوك والعقيدة الصحيحة(٣).

ثالثاً: الترفُّع والتَّنزهُ عن العبثِ واللهو.

وقد أوردنا فيما مضى العديد من الأمثلة القرآنية على الاستهزاء، فإذا ما أمعنا النظر فيها وتدبَّرناها بشكل متعمِّق، وجدنا أن هذا الاستهزاء الذي يسخر من البشر ومن أفعالهم، ومن صفاتهم، لم يُقصَد منه الضحك، لمجرد الضحك، كما يرمي من وراء ذلك البشر، فهذا يُعدُّ من أنواع العبث

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص١٥٣.

(٢) عبدالحليم حفني، السخرية في القرآن الكريمة، ص١٢١.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٥١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واللهو، الذي لا يتناسب مع الأهداف والغايات التي جاء بها القرآن الكريم، فهناك أغراض كثيرة من وراء هذا الاستهزاء سنوردها لاحقاً.

رابعاً: الدعوة إلى التفكير.

يرى بعض علماء النفس أنه قد: "أثبتت التجارب، والبحوث أنَّ هناكَ ارتباطاً وثيقاً بين الحسِّ الفكاهي والذكاء، فكلما زاد الذكاء كان الإحساس بالفكاهة أقوى" وهذا يعني أنَّ القرآن عندما يستخدم الفكاهة فإنه ينمي في أبنائه حدة الذكاء، ودقة الملاحظة والدعوة إلى التأمل والتفكير السليم القائم على المنطق والحجَّة[١].

والاستهزاء في القرآن يخدم جانب العقل والتفكير من حيث تنمية جانب الذكاء وحدة الملاحظة من ناحية، كما أنَّه من ناحية أخرى ليس مجرد فكاهة، وإنما الاستهزاء ما هو إلا صور عقلية تحمل العقل على التفكير والتدبُّر، وانظر في قوله تعالى عندما يتحدث عن الحوار الذي يدور بين خزنة جهنم، وهذا الفوج الذي سيدخلها من الكفار، يسأل الخزنة، أولئك الكفار مستهزئين بهم: M**أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ** L؟ والملائكة يعلمون أنَّ هناك رُسلاً وأنبياء أنذروا أولئك الكفرة، فيكون جوابهم: M© **قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن ... ´** L ، M**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ** L [الملك: ٦-١١].

فهم قد عطلوا تفكيرهم، وعطلوا حواسهم، ولذلك جاءت هذه الآيات التي تستهزئ بمصيرهم، وتدعو إلى التفكُّر والتدبر فيها وهو خطاب مُوجَّه إلى كل البشر ليتعظوا ويعودوا إلى رشدهم، فلا يكون مصيرهم كمصير أولئك المستهزئين المكذبين[٢].

خامساً: التصوير.

يرتسم استهزاء القرآن الكريم دائماً في صورة، أو يقترن بصورة محددة، بحيث يشعر السامع أو المتلقي كأنه يرى هذه الصورة بكلتا عينيه، ويرى موضع الاستهزاء واضحاً، وبارزاً، وهي صورة مثيرة للانفعال والمشاعر، وهذا هو المقياس الحقيقي الذي يفرِّق بين الأدب، أو الفن الرفيع

---

(١) زكريا إبراهيم، سيكولوجية الفكاهة والضحك، ص٢٠٧.

(٢) عبدالحليم حفني، السخرية في القرآن الكريم، ص١٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وغيره[١]. ولننظر مثلاً في هذه الصورة الموجزة التي ضربها الله تعالى مستهزئاً بالمعرضين عن الدعوة الإسلامية، بحيث يسوق القرآن الحديث عن إعراضهم، لا بالأسلوب العادي، وإنما في صورة سؤالٍ تعجبيٍّ هازئٍ من الإعراض إلى الدعوة إلى الخير والهدى، ثم يصف نفورهم الشديد من هذه الدعوة، ويشبههم بصورة ضاحكةٍ بالحمير في حالة الرُّعب والفزع، وهو بذلك يعرض لنا صورة تستحوذ على النفس، وتدعو إلى التأمل والتفكر، وهي زيادة على ذلك من الواقع المعاش، ومن نفس بيئة المُشبَّه، يقول تعالى: M& ') (* + , - . / 0 1 2 L[المدثر: ٤٩-٥١]. والقسْوَرَة: الأسدُ، أو جماعة الصائدين[٢].

سادساً: التعبير عن البيئة.

إنَّ المتأمل في الآيات التي نزلت بالمستهزئين يجد فيها الكثير من معالم البيئة العربية، ومنها الحيوانات على سبيل المثال، كقوله تعالى: M , - . L ، ومنها السراب، وهو من مظاهر الصحراء العربية، كقوله تعالى: M F G H I J L[النور: ٣٩].

المطلب الثاني: أغْراض الاستهزاء القرآني

قلنا بأنَّ الاستهزاء القرآني ليس مجرد ضحك أو تندر، أو تفكُّه، وإنما له أغراض وغايات عديدة، من حيث إنَّه جاء شريعة للبشر ولهدايتهم، ولإرشادهم لعبادة ربهم، كما أنَّ هذا الاستهزاء هو من كلام المتعالي عن كلِّ قبيح وفاسد. لذلك نرى أنَّ للاستهزاء القرآني أغراضاً عدة، ومنها ما هو متعلق بالدعوة إلى الله، وآخر مرتبط بأغراض بلاغية، وثالث بأغراض نفسية واجتماعية، ويمكننا أن نذكر بعضاً من تلك الأغراض على سبيل المثال لا الحصر.

---

(١) أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن الكريم، ج١، ص١٥٩.

(٢) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (مادة: قَسَرَ)، وانظر: ابن حيَّان الأندلسي، البحر المحيط، ج٨ ص٣٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً: الدفاع عن الدِّين وعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وعن المسلمين، ورد كيد الكائدين.

وهذا واضح في كثير من الآيات القرآنية، حيث أننا ذكرنا بأن القرآن هو المدافع عن المسلمين حَمَلةِ الشريعة، يقول تعالى: M إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ L ، وفي الرد على المستهزئين يقول تعالى: M ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ L [البقرة: ١٥].

ثانياً: تسلية النبي عليه الصلاة والسلام، ومواساة المسلمين، وتثبيت عزائمهم.

وهذا واضح من خلال الصُّور التي يوردها القرآن الكريم مستهزئاً بالكفار ومتوعداً إياهم بمصير شديد العذاب، وكذلك حين يستهزئ بعقائدهم الزائفة يقول تعالى: M + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 L [الأنعام: ١٠]، وكذلك قوله تعالى في وصف الذين يستهزئون بالرسول عليه الصلاة والسلام بأنهم كالأنعام: M أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ L ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 [الفرقان: ٤٣-٤٤][(١)].

ثالثاً: التخفيف من آلام المسلمين ورد ثقتهم بأنفسهم.

وقد كان المستهزئون يحاولون تثبيط المسلمين، وزعزعة إيمانهم، لولا أنَّ الله عزَّ وجل، كان يُنَزِّلُ من الآيات المستهزئة بالكافرين واليهود والمنافقين ما يشعرهم بالتعالي والتفوق على أعدائهم، وخاصة بعدما كانوا يحققون انتصارات كما حدث في بدر، والخندق، وفتح مكة[(٢)].

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٣٢١.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٣٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعاً: الاستخفاف والاستهانة بأعداء الإسلام.

ونضرب مثالاً على ذلك الآية التي نزلت في زعيم قريش وامرأته حمالة الحطب حيث كان إيذاؤها للرسول –صلى الله عليه وسلم- عظيماً، فجاء القرآن ليحطم معنويتهما ويكسر شوكتهما، ويستخف ويستهين بهما ويحقّر من قدرهما، ويجعلهما ذِكْراً ضاحكاً ساخراً على ألسنة البشر إلى يوم الدين، يقول تعالى: M g f e d c b a ` _ ^] \ [Z Y X L [المسد: ١-٥] فقد شبهها الله تعالى بالدابة التي في رقبتها حبلٌ من ليفٍ خشن، وهي في الوقت ذاته حمالة للحطب، وليست من كريمات نساء قريش، بعدما كانت تؤذي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مما أثار حفيظتها وحطم معنوياتها في مكة المكرمة[١].

خامساً: تحطيم الروح المعنوية لأعداء الإسلام.

فقد واجه القرآن ما استهزأ به الكفار وأعوانهم من المنافقين، باستهزاء أشد وقعاً وأنكى قوةً، وخاصة من الزعماء والقادة الذين حاولوا تحطيم معنوية الرسول –عليه السلام- ومنهم الوليد بن المغيرة، كما ذكرنا سابقاً، حيث نزلت به آياتٌ تتوعده بالعذاب الشديد، وبصورة ساخرة شديدة الضحك والاستخفاف، وكذلك ما نزل بشأن أبي جهل –لعنه الله-.

سادساً: تصفية نفوس المسلمين من الأخلاق المعيبة.

وقد ذكرنا بعضاً من هذه الصفات كالبخل والجبن والكِبْر، وأوردنا آيات تحث على الابتعاد عن هذه الخصال السيئة، ومنها قوله تعالى: M**وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا** ....L.

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٦٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سابعاً: إظهار استخفاف الكفار وخداع المنافقين للمسلمين.

فضح الله تعالى ما كان يستهزئ به الكفار بشكل واضح أو بشكل مخفي، حيث كان القرآن الكريم بالمرصاد لكل مؤامرات أولئك المستهزئين، يقول تعالى: M وَإِذَا خَلَوْا ´ µ ¶ ¸ مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ L [البقرة: ١٤].

ومهما يكن من أمر فإننا نؤكد على أنَّ أهم أغراض الاستهزاء القرآني، هو الهداية والتذكير والدعوة إلى الله، وإصلاح المجتمع نحو الخير ومحاربة الرذيلة والتفاهة والدعوة إلى المثل العليا والمبادئ القويمة والسلوك الصحيح، وبذلك يكون القرآن قد سما بالمسلمين من اتخاذ الاستهزاء مجرد سلاح للتحطيم والهدم كما كان مألوفاً في الهجاء إلى أغراض أسمى وأعمق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع
الدراسة الفنية

- **تمهيد.**

- **المبحث الأول: الألفاظ والأسلوب.**
  - المطلب الأول: الألفاظ.
  - المطلب الثاني: الأسلوب.

- **المبحث الثاني: الأمثال.**

- **المبحث الثالث: الصورة الهازئة في القرآن الكريم.**
  - المطلب الأول: التصوير الهازئ وآثاره النفسية.
  - المطلب الثاني: الحوار.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيد

يركز هذا الفصل على الجوانب الفنية لأسلوب الاستهزاء، حيث قمت من خلال تتبعي للآيات القرآنية المتعلقة بهذا الأسلوب برصد الكثير من الملاحظات البلاغية، التي ربما لا يتسع هذا الفصل لذكرها، وذلك بمراجعتي ودراستي لكثير من المصادر والمراجع التي اهتمت بالدراسات القرآنية، سواء أكانت كتباً للتفسير، أم كتباً في البلاغة القرآنية، وقد كان كتاب تفسير الكشاف للزمخشري على رأس تلك التفاسير التي عُنيت عناية كبيرة بالملاحظات البيانية للقرآن بشكل عام، والاستهزاء بشكل خاص، حيث إنني أزعم أن أسلوب الاستهزاء وبطرقه المختلفة يحتلُّ حيّزاً كبيراً في آيات القرآن الكريم.

ومن كتب البلاغة العربية التي تناولت القرآن الكريم، وركزت على ما فيه من إشارات بلاغية مختصة بأسلوب الاستهزاء كتاب (بديع القرآن)، لابن أبي الاصبع المصري، كما أشارت بعض الكتب البلاغية العربية القديمة والحديثة إلى الاستهزاء بطرق مباشرة، وغير مباشرة، لكنني لم أحفل بمصدر بلاغي تخصص بدراسة الاستهزاء بشكل مباشر ومركز. لذلك حاولت جاهداً استقصاء ما ورد من ملاحظات بلاغية وفنية في كتب النقد والأدب والبلاغة، وربطها بموضوع الاستهزاء مستشهداً عليها بالآيات القرآنية الكريمة.

وقد اعتمدت الدراسة على مواضيع مختلفة للبحث من خلالها عن العناصر الفنية المشتركة لهذا الأسلوب.

أما الأول منها، فيتعلق بالألفاظ والأسلوب، وما يميزها من جزالة وإيحاءات ذات دلالات مؤثرة وبليغة، وتنوع في استخدام الأساليب البيانية والإنشائية والخبرية، وكذلك أساليب البديع القرآني.

وأما الثاني، فيتعلق بالأمثال القرآنية ضمن أسلوب الاستهزاء وأهدافها وآثارها على النفس الإنسانية.

ويجيء الموضوع الثالث لدراسة الصّورة الفنية الهازئة، من خلال التصوير والتحليل النفسي للشخصيات، وأسلوب السرد القصصي الممتع المشوِّق، الذي يستخدم عنصر الحوار ليساهم في إغناء الجانب القصصي لهذا الفن الهازئ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول

الألفاظ والأسلوب

المطلب الأول: الألفاظ

يرى عدد من الدارسين أنَّ اختيار الألفاظ من الموازين التي يوزن بها الأدب، ومن أهم المقاييس التي يتفاوت بها أديب عن آخر، ويعلو بها، أو يسْفُلُ الكلام بعضه عن بعض، وذلك أن الأديب الموهوب هو الذي يُحسن اختيار كلماته، بحيث تحمل ما يجول في نفسه من مشاعر، وتنقلها إلى السامع(١). كما أن الألفاظ ليست على درجة واحدة من الإيحاء بالأحاسيس والمشاعر، وإنْ كان بعضها في درجة واحدة من أداء المعنى العادي الذي تتطلبه لغة التخاطب والأخبار، وهذه أيضاً قد تتفاوت تفاوتاً غير يسيرٍ في أداء المعنى الأدبي.

وقد عُرف العرب باهتمامهم الشديد بلغتهم، ونظم كلامهم، فأفرغوا فيه كلَّ طاقاتهم ومواهبهم الأدبية والفنية، حتى صار البيت من الشِّعر، أو الجملة الواحدة من الكلام تُرْسم أحياناً كأنها لوحة مصورة مُجَسَّمة، وكأنها تُنْطَق بأحاسيس ومشاعر كثيرة يدركها السامع، فوق المدلول العادي للكلام(٢).

ومن خلال اطلاعنا على كتب النقد والبلاغة العربية القديمة نجد أنَّ أبرز ما يثير وجدان العرب، ويستحوذ على مشاعرهم هو الكلام المركَّز الذي تَقِلُّ فيه الألفاظ، ويتسع فيه المعنى، ويعمق فيه الإيحاء. ويشير الجاحظ إلى قيمة الألفاظ وفي حسن اختيارها بحيث يؤدي القليل منها الكثير من المعاني، بقوله: "كانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقلهِ، مستشهداً على ذلك بالحديث الشريف: "إنا معشر الأنبياء بكَاء"؛ أي قليلو الكلام"(٣).

وحين نستعرض استهزاء القرآن الكريم نلحظ فيه شيئاً بارزاً، وهو ظهور الألفاظ في دلالتها كمفردات؛ لا من حيث أداء المعنى، وإنما من حيث الإيحاء الخاص. فنحن حين نتدبر ونتأمل ألفاظ القرآن الكريم، ونحاول أن نتذوقها، نجد أنها توحي بمعانٍ ومشاعر، وأجواء فسيحةٍ فوق دلالتها

---

(١) عبد الحليم حفنى، السخرية في القرآن الكريم، ص٤٢٩.

(٢) عبد الكريم الخطيب، إعجاز القرآن، د.ط، دار الفكر العربي، د.ت، ج١، ص٩١، ٩٢.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص١١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأصلية، وكثيراً ما يتركز استهزاء القرآن من حيث المعنى كله في لفظٍ واحدٍ يستطيع بموضعه من الكلام أن يؤدي معنى كاملاً، وأنْ يرسم صورة متكاملة في تعبيرها وإبرازها للمعنى المقصود[١].

والألفاظ التي تحمل إيحاءً وتشكّل صوراً بحدِّ ذاتها كثيرة في القرآن الكريم، وخاصة في موضوع الاستهزاء، ومنها لفظ (الخَزَنَة) في قوله تعالى عن الكافرين الذين يخاطبون خَزَنَة النار: M وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ L (غافر: ٤٩)، فلفظ (الخَزَنَةِ) يستعمل عادة في الحُرّاس الذين يقومون بالمحافظة والحراسة على شيءٍ معين، وهذا الاستعمال حين يُضاف إلى جهنم يرسم في ذهن السامع صورة لجهنم، وقد وُكِّلَ بها حُرَّاسُ ينظمون أمر حفظها، ومراقبة مَنْ بداخلها، وحراسة أبوابها، خشية أن يهرب أحد من داخلها، أو أن يتسلل أحد ليدخلها، وهذه من الصّور التي لا تناسب العقل، فليس فيها شيء يُطمع فيه فيحتاج إلى حراسة، وليس فيها مهرب أو مفرٌّ، وقد لمّح الجاحظ إلى ما يحمله لفظ الخَزَنَة من استهزاءٍ وسخرية بأهل جهنم: "والخَزَنَةُ الحَفَظَةُ، وجهنم لا يضيع منها شيء فيُحفَظ، ولا يختار دخولها إنسان فيمنع منها، ولكن لمّا قامت الملائكة مقام الحافظ الخازن سُميت به"[٢].

ومن الألفاظ الموحية لفظ (تصَعِّر)، في قوله تعالى: M وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ...L (الإسراء: ١٨). والمعنى يركز على النهي عن مشية الخُيلاء والتعالي، التي يظهر فيها المتكبِّر معرضاً عن النّاس بوجهه، وكان من الممكن أن يقول تعالى: (لا تُعرض بوجهك..)، ولكن القرآن اختار لفظة أبلغ وأقوى في الإيحاء وهي (تُصَعِّر)، حيث استعملت عند العرب في عدة دلالات، يذكر منها علماء اللغة: التَّصَعُّرُ: ميلُ الوَجْهِ، أو في أحدِ الشّقين، أو داءٌ في البعير يلوي عنقه. وصَعّر خدَّه: أمَالهُ عن النظر إلى النّاس تهاوناً من كِبْرٍ، وربما يكون من خِلقةٍ، والصيعرية: سِمَةٌ في عنق الناقة[٣].

وإذا تأملنا المعاني التي أوردنا سابقاً نجد أنَّها تدور حول مَرَض، أو نُشوز خَلْقي، ويغلب أن يكون في الإبل، وهذه من إيحاءات (تُصعِّر)، لأنها من استعمالاتها، وهي إذا تدبّرها السامع يربطها بالمتكبِّر، يوحي بذلك بنوع من التشبيه لذلك المتكبر.

---

(١) عبد الحليم حفني، السخرية في القرآن الكريم، ص٤٣٢.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص١٥٣.

(٣) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (مادة: صَعَر).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا ما تتبعنا الألفاظ الموحية في القرآن الكريم والمختصة بمجال الاستهزاء نجدها كثيرة، ومنها استخدام لفظة (صياصيهم)، في قوله تعالى: M] \ [^ _ ` a b c d e f ...L (الأحزاب: ٢٦)، فالصيصية في لغة العرب لها عدة دلالات. منها قرن الثور والظبي، يقال لكل منهما صَيْصَية، ومنها: الشوك الناتئ حول أرجل الدِّيكة، ومنها: شوك النسّاجين، ومنها: الأصل، يقالُ جدَّ الله صيصته، أي أصله[١].

فالقرآن الكريم، لم يَقل (وأنزل الذين ظاهروهم...من حصونهم)، ولم يختر لفظ (صياصيهم) عبثاً، بل كان اختياره له تحقيراً لحصون اليهود في مقابلة قوة الله وجنوده، بحيث يجتث وجودهم من أصله.

ومنها ألفاظ أخرى نذكرها على سبيل المثال لا الشرح، مثل لفظة (نُزُلهم) في قوله تعالى: M : ; > = < L (الواقعة: ٥٦)، والشاهد (نُزُلهم)، وكذلك لفظة (أركسهم)، في قوله تعالى: M 6 7 8 9 : ; < = > ... L(النساء: ٨٨)، وغيرها الكثير من الألفاظ الموحية[٢].

وننبه هنا إلى أمر مهم، وهو أن العربي الأصيل، هو من يتذوق البلاغة القرآنية، ويستشعر إيحاءاتها ومدلولاتها العظيمة، وهو من يتأثر بها أكثر من غيره من الأعاجم، لأنه يعرف مادة هذا اللفظ واشتقاقاته، من خلال الذوق والإحساس، ونخص بالذكر العرب الذين نزل عليهم هذا القرآن العظيم، بحيث كان يشعر ذلك العربي بقوة تلك الألفاظ وأثرها وإيحاءاتها على نفسه.

ومن إعجاز القرآن الكريم أنه ابتكر ألفاظاً لم يستعملها العرب في الاصطلاح الذي وضعها القرآن فيه، رغم معرفتهم لمادة هذه اللفظة، واشتقاقاتها، بحيث يكون لجِدَّة هذه الألفاظ وقع وآثار في نفس المتلقي، ومن هذه الألفاظ المُبتكرة، اصطلاح (النِفاق والمُنافق)، حيث لم يعرف العرب قبل الإسلام هذه الألفاظ بحرفيتها ودلالتها الجديدة، فقد استعمل القرآن الكريم النّفاق، بمعنى: ستر الكفر وإظهار الإسلام، ولكن ذوق أصحاب اللغة من العرب الفصحاء الذين نزل القرآن فيهم ليعجزهم، ويتحداهم بنفس ما يملكون من فصاحة وبيان جعل من مدلولات هذه المادة واشتقاقاتها كلها أثراً

---

(١) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج٣، ص٢٧٠، الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٤٢١.

(٢) انظر لفظة (مِهاد) في الآية "لهم من جهنم مهاد"، ولفظة "خذوه، واعتلوه..." (الآيات ٤٧-٥٠) سورة الدخان، وكذلك لفظة: (ذق)، و(وقراً). (انظر عبد الحليم حفني، السخرية في القرآن الكريم، ص٤٤٢-٤٤٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتداعى في نفوسهم، بحيث إذا رجعنا لاستعمالات مادة النِّفاق عند العرب نجد منها: "نَفَق الشيءُ: نَفِذ، وفَنيَ، وقلَّ، ونَفَق الرَّجلُ، أو الدّابة: خرجت رُوحُهما، والجُرح: تقشَّر، وأنفَقَ: افتقر، أي ذهَبَ ما عنده، أو فني زاده، والمال: صَرَفه وأنفدَهُ، ونفق اليربوع (حيوان يشبه الجرذان)، بمعنى خَرجَ من نافقائه، أي جُحْرِهِ، أو دخل فيهما، وتنفَقَ اليربوعُ، خرج من نافقائه، أو دَخَل فيها، وانتفق الرّجلُ دخلَ في النّفَق، وكذلك اليربوع، والنفقة والنفقاء إحدى جحرة اليربوع يكتمها، ويُظهر غيرَها، والنَّفق جمع أنفاق: سِرْبٌ في الأرض له مخرج إلى مكانٍ معهود"[١].

ونحن إذا أمعنا النظر في المعاني اللغوية للفظ (النِّفاق)، وسمعنا أنَّ أحداً يُوصَفُ بالنفاق تتوارد على نفوسنا الاستعمالات الكثيرة لتلك المادة، والتي محورها ضعف الحال والمراوغة، وخاصة حالة اليربوع الذي ينتفق حفرتين للهرب.

ومن الألفاظ القرآنية المبتكرة لفظة (الفِسْق) التي وصف بها القرآن بعض أعدائه، ومنهم المنافقون في قوله تعالى: M 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; = < ? @ A B L (المنافقون: ٦).

ويذكر صاحب القاموس المحيط بأنّه: "ليس في كلام جاهِليٍّ ولا شعرهم: فاسِقٌ، على أنه عربيّ"، وفَسَق مصدرها (الفِسْقُ)، وهو: الترك لأمر الله تعالى، والعصيان، والخروج عن طريق الحق، والفُوَيْسِقَةُ: الفأرة لخروجها من جُحرها على الناس[٢]، ومنها: انفسق الرُّطب عن قشره، بمعنى: خرج"[٣].

ولفظة الفاسق، والفاسقين توحي بالذم، وخاصة إذا عرفنا أخلاق المنافقين وغيرهم من المخالفين لشرع الله وعصيانهم له.

---

(١) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (مادة: نَفِقَ).

(٢) المصدر السابق، (مادة: فَسَق).

(٣) الضرّاء، معاني القرآن، ج٢، ص١٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: الأسلوب

يعدُّ الأسلوب عنصراً من العناصر الفنية، يؤلف بين العناصر الأخرى، ويرتبها على نحوٍ يخلق الجمال، أو يضاعفه، أو يقوى أثره، ويسمح لكل عنصر فني أن يؤدي دوره في العلم بتناسق وتناغم يوائم فكر الكاتب، وأهدافه، والمواقف البيئية، واللحظة الزمنية، ويهتم بالصياغة الفنية لفظاً وتعبيراً، كما أنه يختار الشكل الفني بما يناسب الموضوع والواقع، ولا بد من توافر الموهبة والخبرة، وإلّا كان في الاختيار تصنُّع وتكلُّفٌ[١].

والأسلوب كما يرى عدد من النقاد هو الذي يبرز الجمال الفنيّ، ويحدد مواقع الأشياء في الصورة، ويبين أجزاءَها، ويهب لها الألوان، ويعرض التناسق، كما أنه يَهبُ الحركة في الصّورة، والنبضة والخفقة، ويبرز النغمة والجَرْسَ، وحلاوة اللفظة ونداوة ظلها، وقوة ترابطها؛ حتى يجتمع جمال المعنى والظّلال، وجمال الصورة والألوان، وجمال النغمة والجَرْس، وجمال الحركة والحياة[٢].

والأسلوب في الأدب الملتزم بالإسلام يجمع الخصائص الإيمانية والخصائص الفنية ليَبْنِيا معاً الجمال الفني المؤثر، الجمال الذي يقدم المتعة الدائمة غير العابرة، المتعة الطاهرة التي تملأ حسَّ الإنسان الطاهر؛ ذلك لأن الجمال الحق الجمالُ الفنيّ المؤثر. إنَّ الجمال الفني الإيماني المؤثر الذي يتولد من التفاعل بين الخصائص الإيمانية والخصائص الفنية هو الذي يعطي المتعة الدائمة لا المتعة العابرة، وهو الذي يهب الأمن في النفس المؤمنة[٣].

لقد تنوعت أساليب الاستهزاء في القرآن من الناحية البلاغية، فمنها ما جاء بيانياً، ومنها ما جاء تحت ما يُسمى بعلم المعاني، وآخر جاء ضمن علم البديع؛ لذلك ارتأيت أن يكون تناولي لبلاغة الاستهزاء متوافقاً مع ما استقر عليه علماء البلاغة في مراحلها الأخيرة، وأبدأ بالأسلوب الذي يعنى بعلم المعاني.

---

(١) عدنان علي رِضا النحوي، الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، ط٣، دار النحوي للنشر والتوزيع، السعودية، ١٩٩٤م، ص١٧٤-١٧٥.

(٢) عدنان علي رضا النحوي، الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام، ط١، دار النّحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٩م، ص٢٨١.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً: الاستهزاء وعلم المعاني

لقد عرَّف علماء البلاغة عِلمَ المعاني بأنه: "العِلْمُ الذي تُعْرَف به أحوال اللفظ العربي التي بها يُطابق اقتضاء الحال، بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له"(١).

ولهذا العمل فوائد عديدة، على رأسها معرفة إعجاز القرآن الكريم، من جهة ما خصّه الله به من جودة السَّبك، وحُسن الوصف، وبراعة التراكيب، ولطف الإيجاز، وكذلك الوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة في كلام العرب منثوره ومنظومه، وواضعه هو الإمام عبد القاهر الجرجاني.

وقد قسّم علماء البلاغة عِلْم المعاني إلى أقسام عديدة؛ منها: تقسيم الكلام إلى خبرٍ وإنشاء، فجعلوا للخبر أغراضاً، وأضْرُباً وخروجاً عن مقتضى الظاهر لأسباب عديدة، كما قسّموا الإنشاء إلى طلبيّ وغير طلبي، فقالوا: بأن الخبر ما يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب، والإنشاء: ما لا يصح أنْ يُقال لقائله إنّه فيه صادقٌ أو كاذب(٢).

كما قسموا الإنشاء إلى طلبي، وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطّلب، ويكون بالأمر، والنّهي، والاستفهام، والتمنّي، والنّداء، وغير طلبي، وهو ما لا يستدعي مطلوباً، وله صِيغُ كثيرة، منها: التعجب، والمدْحُ، والذَّمُ، والقَسَمُ، وأفعالُ الرَّجاء، وكذلك صِيَغُ العقود(٣).

ومما جاء في الاستهزاء ضمن علم المعاني ما يلي:

١- الاستفهام:

ويُعْرَف بأنه: "طلبُ العِلمِ بشيءٍ لم يكن معلوماً مِنْ قبل"، وأدواته كثيرة، منها الحروف (هل، والهمزة)، ومنها الأسماء، مثل: (كيف، متى...)(٤).

وقد يخرج الاستفهام على مقتضى الظاهر إلى معانٍ غير معناه الحقيقي (وهو طلب العلم بشيء...) إلى معانٍ أخرى، منها الاستهزاء، وأمثلته كثيرة جداً في القرآن الكريم؛ منها ما جاء على لسان المستهزئين بالأنبياء وأتباعهم من المؤمنين، ومنها ما جاء استهزاءً ربانياً بأولئك المستهزئين،

---

(١) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط١٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ص ٤٥-ص٤٧.

(٢) علي الجارم، ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة (البيان، والمعاني، والبديع)، ط٥، د. دار نشر، ١٩٦٦، ص١٣٧.

(٣) المصدر السابق، ص١٧٠.

(٤) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونحن في هذا المجال سنشير إلى أمثلة من ذلك؛ لأن هذا الموضوع يحتاج إلى بحث طويل ومفصل، ونضرب عليه أمثلة، منها:

أ- قال تعالى: "أهذا الذي بعث اللهُ رسولا" (الفرقان: ٤١)، والاستفهام في قولهم (أهذا): للإنكار، والاستهزاء. وظاهر الكلام يُشعِر بأن هؤلاء الكفرة يؤمنون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته، وهم حقيقة في غاية التكذيب والإنكار، فالكلام على خلاف مقتضى الحال، ويرى الزمخشري أنّ: "إخراجه في معرض التسليم والإقرار، وهم على غاية الجحود والإنكار، سخرية، واستهزاءً"[١] كما يرى آخرون بـــ "أنَّ إقرارهم بأنه رسول الله ذكروه توطئة؛ لإيقاع السخرية عليه، لا لأنهم يقولون ما يطابق اعتقادهم، فهم يضطرون لِذكرهِ؛ لأنه مَحَطُّ الإنكار، والسخرية عندهم، ولو لم يذكروه لما تحقق ذلك"[٢].

ب- قال تعالى: M وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ L (الرّعد: ٣٢)، والشاهد قوله تعالى: M فَكَيْفَ كَانَ ... L، أي: كيف كان العقابُ الذي حَلَّ بهم؟ وهذا الاستفهام فيه إشارة إلى تفخيم العقاب وتعظيمه، بحيث يملي (يُمْهِل) الله –عز وجل- للمستهزئين في الدنيا، ولكنه إذا أخذهم لا يُفلتهم، وهذا من طرق استهزاء اللهِ بأولئك الكافرين[٣].

ج- قال تعالى: M t u v w x y z { | } ~ نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ © L (هود: ٨٧).

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٩٣، وانظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٦، ص٦٢.

(٢) عبد العظيم المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، د.ط، د. دار نشر، ١٩٩٩، ج٣، ٢٥٨.

(٣) فضل بن حسن الطبرسي (٥٤٨هـــ)، مجمع البيان في تفسير البيان، تحقيق هاشم رسولي وآخرون، ج١، ط١، دار المعرفة، لبنان، ١٩٨٦، ٤٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا الاستفهام (أصلاتك؟)، لم يجيء على حقيقته، وإنما المراد منه الاستهزاء والسخرية والتهكم، حيث استهزؤوا من صلاته، وعبادته، وكذبوه بطريقة غير مباشرة، والدليل على ذلك ختام الآية (إنك لأنت...)[١].

ونشير هنا إلى عدد من الآيات التي جاءت استفهاماً على سبيل الاستهزاء، منها:

- قوله تعالى: M > < = ... L (الإسراء: ٥١).
- وقوله تعالى: M... (* + , ... L (الأنبياء: ٣٦).
- وقوله تعالى: M = < ? @ A L (الشعراء: ٢٣).
- وقوله تعالى: M : ; > = < L (التوبة: ١١٤).

٢- الأمر:

وهو: "طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ويُقصد بالاستعلاء: أن ينظر الآمِرُ على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه، سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع، أم لا"[٢].

وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي؛ للدلالة على معانٍ أخرى يحتملها لفظ الأمر، وتستفاد من السِّياق، وقرائن الأحوال، ومن هذه المعاني الاستهزاء والتحقير[٣].

ومن أمثلته في القرآن الكريم:

أ- قوله تعالى: M وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل à قِطَّنَا â يَوْمِ ٱلْحِسَابِ L (ص: ١٦)، وجاء هذا الاستهزاء بقولهم (عَجِّل)، في معرض طلب الكفار تعجيل العذاب استهزاءً وتكذيباً.

ب- قوله تعالى: M ٱلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ L (الصافات: ١٤٩)، والشاهد: (فاستفتهم)، فعملية الاستفتاء –وهي الاستخبار- تكون ممن يجهل الأمر طلباً للمعرفة،

---

(١) محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج٤، ط٣، دار اليمامة، سوريا، ١٩٩٢، ص٤١٦.

(٢) عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، د.ط، بيروت، ١٩٧٤، ص٨٧.

(٣) المصدر السابق، ص٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا عكسُ ما أراده الله –تعالى- فقد خرج هذا الأمر على مقتضى الظاهر طلباً للاستهزاء والسخرية[١].

ج- قوله تعالى: M S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ L (المرسلات: ٣٠-٣١)، والشاهد: فعل الأمر (انْطلقوا): فعل أمر يفيد الاستهزاء والتهكم، بحيث سُمِّي العذاب ظِلاً، تهكماً، وسخرية من الكفار، ومعنى ذلك: اذهبوا، واستَظلُّوا بدخانٍ كثيف من دخان جهنم، يتفرع منه ثلاث شُعَبٍ لا يُظِلُ من يكون تحته، ولا يقيه حَرَّ الشمس، كما هو حال الظِّلِّ الممدود، ولا هو دافع عنه أيضاً ألسنة النّار المندلعةِ من كلِّ جانب[٢].

د- قوله تعالى: M فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا L (النبأ: ٣٠)، وقد جاء الفعل (ذقْ)، على سبيل الاستهزاء والتحقير[٣].

٣- النداء:

ويُعرَف بأنه: "طلبُ المتكلّم إقبال المخاطب عليه بحرفٍ نائبٍ منابَ (أُنادي)، المنقول من الخبر والإنشاء، وأدواته ثمانية، منها: (الهمزة، ويا، وأي...)، وقد ينزّل القريب بمنزلة البعيد، فيُنادى بغير (الهمزة، وأي)، (وهما للتقريب) إشارة إلى انحطاط منزلته ودرجته[٤].

ومن المعاني التي يخرج إليها النداء عن معناه الحقيقي، التحسُرُ، والذي يجيء في القرآن الكريم على شكل استهزاءٍ بالكفار والمنافقين، من خلال عرض ما سيكون عليه حالهم يوم القيامة، يقول تعالى: M وَاتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٥٥ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ L (الزمر: ٥٥-٥٦).

والشاهد قوله تعالى: M يَٰحَسۡرَتَىٰ L، وهذا النداء ليس المقصود به طلب إقبال المخاطب عليه، وإنما

---

(١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٤، ص٦٧٨.

(٢) الطبري، جامع البيان، ج٢٩، ص١٤٦.

(٣) الصّابوني، صفوة التفاسير، م٣، ص٤٩١.

(٤) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص١٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خرج عن معناه الحقيقي إلى الاستهزاء الرَّباني الذي يصور تحسُّرَ أولئك الساخرين يوم القيامة على ما قاموا به من استهزاء وسخرية.

وهناك مثال آخر، وهو قوله تعالى في الحديث عن الكفار الذين أضلتهم الشياطين، وكيف سيندمون ويتحسرون على إتباعهم لتلك الشياطين المُضلة، يقول عز وجل: M B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T L (الزخرف: ٣٧-٣٨)، والشاهد قوله تعالى: M N O ...L، وهذا من طرق الاستهزاء الرباني عارضاً من خلاله مصير أولئك الضالين[١].

ومنها قوله تعالى: Mوَلَوۡ ç è é ê ë فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا ï î ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ô وَنَكُونَ رَبِّنَا بِـَٔايَٰتِ نُكَذِّبَ L (الأنعام: ٢٧)[٢].

وقوله تعالى: M g h i j k l m n o p q L (الفرقان: ٢٧).

وكلُّ تلك النداءات تعبير رباني عن الاستهزاء والمبالغة فيه، والتشفي من أولئك المستهزئين بالله وبرسله.

٤- التمني:

ويُعرف بأنه: "طلبُ الشيء المحبوب الذي يُرجَى، ولا يُتَوَقَّع حصوله"[٣]، وأدواته أربع، هي: (هَلْ، ولو) للدلالة على عزّة متمناه وندرته، حيث أبرزه في صورة الذي لا يوجَد؛ لأن (لو) تدلُّ بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط، و(لوما، ولولا)، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: M Z] \ [^ L (غافر: ١١).

---

(١) الصَّابوني، صفوة التفاسير، م٣، ص١٤٦.

(٢) المصدر السابق، م٣، ص٦٤.

(٣) الهاشميّ، جواهر البلاغة، ص١٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والآية في معرض استهزاء ربّاني من مشهد الكفار يوم القيامة، عندما يتمنون الخروج من العذاب الشديد، وأنّا لهم ذلك!.

٥- التعجُبُ:

ويكون قياسياً بصيغتين، ما أفْعَله، وأفْعِل به، وسماعاً بغيرهما، نحو لله دَرّهُ عالما؛ و M كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ L [١].

وقد جاء التعجب في صيغة قياسية ليفيد الاستهزاء في معرض حديثه عزَّ وجل من صبر الكفار على نار جهنم، وهذا من مظاهر التهكم الساخر من قبلِ الله عزَّ وجل لشدة صبرهم على العذاب، حيث لا مفرَّ منه أبداً، يقول تعالى: M فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ L (البقرة: ١٧٥)[٢].

أساليب أخرى:

- أسلوب الشرط:

وقد جاء هذا الأسلوب منسجماً مع غاية الاستهزاء والتهكم. والشرط من الأساليب التي تكثر في القرآن الكريم، وله أدواته الجازمة وغير الجازمة، ومن أمثلته قوله تعالى: M A B C D E F G H I J K L (الأنفال: ١٩)، قال أبو السعود: "إنَّ في الآية تهكماً"[٣].

ومنه قوله تعالى: M V W X Y Z [\ L (الكهف: ٢٩)، فالآية تحمل استهزاءً واضحاً، حيث أن فعل الشرط وهو (يستغيثوا) ومعناه طلب الإغاثة والنجاة، وجواب الشرط (يغاثوا)، جاء على عكس ذلك، حيث جاءهم الجواب صاعقاً، مليئاً بالمفاجئة الأليمة، التي تكسر القلوب وتحطّم المعنويات، وتَنْحَدِرُ منها النفسيات، بعد أن أجيبت استغاثتهم بنحاس شديد الحرارة

---

(١) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٧٦.
(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، ج١، ص٢٢٢.
(٣) فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، ط٤، دار الفرقان، الأردن، ١٩٩٧، ص٣٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على عكس ما كانوا يأملون، وهذا فيه من تحطيم المعنوية وكسر الشوكة، ورفع لمعنوية المسلمين الذين ينعمون في ظلٍ ظليلٍ، على عكس أولئك المستهزئين بعذاب الله[١].

ومنه قوله تعالى: M وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ´ µ L (الزخرف: ٢٠)، وقوله تعالى: M... +

, - . / 0 1 2 3 4 5 6 L (الزمر: ٥٧-٥٨).

- أسلوب الدُّعاء:

ومن أمثلته قوله تعالى: M ! " # $ % & ' L (المدثر: ١٨-١٩)، وهذه آية في الوليد بن المغيرة الذي استمع القرآن فشهد بحلاوته وطلاوته، وأنه ليس من كلام البشر ولا الجنِّ، لكنه غيّر رأيه هازئاً ومستكبراً، بقوله: M 9 : ; < = > L ، وقد جاء هذا الدُّعاء باستخدام الفعل الماضي المبني للمجهول (قُتِلَ)، وليس الغاية منه هو الدُّعاء بحد ذاته، وإنما الاستهزاء واستحقار هذا الكافر الأثيم، بمعنى: قاتَلهُ الله وأخزاه على تلك الكلمة الحمقاء التي أجالها في نفسهِ، حيث قال بأنَّ القرآن سِحْر، ومحمد –صلى لاله عليه وسلم- ساحر[٢].

- أسلوب التصدير:

وهو تقديم لفظ وجعله في الصّدارة لغاية، منها التفخيم والتعظيم، ومنه قوله تعالى: M ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ L (البقرة: ١٥)، في معرض رده تعالى على قولهم: M إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ L (البقرة: ١٤)، فقد تقدم لفظ الجلالة (الله) في هذه الجملة الإسمية، وافتتح بها؛ وذلك للتفخيم والتعظيم، حيث صُدِّرت الجملة به، وجُعل الخبر فعلاً مضارعاً يدلُّ عندهم على التجدد والتكرار؛ فهو أبلغُ في السُّنةِ من الاستهزاء المخْبَر به في قولهم، ثم في ذلك التنصيص على الذين يستهزئ الله بهم، إذا عدِّي الفعل إليهم، فقال: يستهزي بهم، وهم لم ينصوا حين نسبوا الاستهزاء إليهم على مَنْ تعَلَّق به الاستهزاء، فلم يقولوا: إنما نحن مستهزئون بهم؛ وذلك لتحرجهم من إبلاغ ذلك للمؤمنين: فينقمون ذلك عليهم،

(١) الصّابوني، صفوة التفاسير، م٢، ص١٧٥.

(٢) الصّابوني، صفوة التفاسير، م٣، ص٤٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأبقوا اللفظ مُحْتَملاً، أن لو حققوا على ذلك لكان لهم في مجالٍ من الذبِّ عنهم أنهم لم يستهزئوا بالمؤمنين[١].

- أسلوب التأكيد:

وأسلوب التأكيد له أدواته، منها استخدام الحروف مثل: (إنَّ، لام التأكيد، نون التوكيد، وقد التحقيق)، وغيرها من الأدوات، والتي تدخل في الجمل الخبرية لتؤكّد للمخاطب المنكِر للخبر، أو لإنزال غير المُنْكِر للخبر منزلة المُنكِر، إذا ظهر عليه شيء من إمارات الإنكار، ومنها تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد إذا تقدّم في الكلام ما يشير إلى حكم الخبر. وكل هذا هو خروج على مقتضى الظاهر[٢].

ومن أمثلته في القرآن الكريم: M وَإِذَا خَلَوْا ´ µ ¶ ¸ مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ L [البقرة: ١٤]، والشاهد قوله تعالى: M ¸ مَعَكُمْ L لتأكيد انضمامهم إلى الشياطين من اليهود الكفرة، ومنه قوله تعالى: M + , - . / L [الأنعام: ١٠]، والشاهد M + L، وجاء التأكيد باللام المؤكدة وبحرف (قد) الذي يفيد التحقيق والتأكيد، وقوله تعالى: M أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا © L [البقرة: ١٣]، حيث جاء الردُّ القرآني على من استهزأ بالمؤمنين واتهمهم بالسَّفاهة رداً بليغاً حكيماً، حيث جاءت الجملة مؤكدة بأربعة مؤكدات، منها: (ألا): تفيد التنبيه، و(إنْ): تفيد التأكيد، وضمير الفَصل (هم)، ثم تعريف الخبر (السُّفهاء)[٣].

---

(١) ابن حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج١، ص١١٥.

(٢) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٦٠- ص٦١.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص١٩٩، وانظر: الشوكاني، فتح القدير، ج١، ص٢٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أسلوب التنكير:

والتنكير عكس التعريف، وقد بحثه علماء البلاغة في الحديث عن أحوال المسند إليه، كيف يُؤتى به نكرة، وذلك لعدم عِلم المتكلّم بجهةٍ من جهات التعريف حقيقة، أو ادِّعاءً، كقولك: جاء هنا رجل يسأل عنك، إذا لم تعرف ما بعينه من عِلمٍ، أو صِلةٍ، أو نحوهما، وقد يكون لأغراض أخرى منها: ١- التكثير، كقوله تعالى: M + , - . / L [الأنعام: ١٠].

حيث جاءت كلمة (رسل) للتكثير والتعظيم(١).

ومنها للاستهزاء والتحقير، كقوله تعالى بحقِّ اليهود: M > ? @ A B L [البقرة: ٩٦]، والشاهد لفظة (حياةٍ)، حيث جاءت نكرة للدلالة على أنَّ هؤلاء اليهود حريصون كلَّ الحرص على أيَّة حياة، مهما كانت ذليلة أو مُهينَة، مع شرط أن تكون طويلة، لأنهم لا يحبون الموت ولا يتمنونه، وهم أيضاً حريصون على كل ما في الحياة من متاع، وقد ذكر عبدالقاهر الجرجاني في باب النظم تعليقاً على هذه الآية عند حديثه عن التنكير "بأن فيه حُسناً وروعة ولطف مَوْقِع، وتجدك تَعْدمُ ذلك في التعريف"(٢).

وتقصد النكرة الدلالة على معانٍ كثيرة منها إرادة النوعية، أي الدلالة على نوع خاص، كما هو الحال في الآية القرآنية السابقة(٣).

ومن التنكير بحق الرسول –صلى الله عليه وسلم- والذي جاء في القرآن الكريم على لسان كفار مكة، قوله تعالى: M ¶ ¸ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ L [سبأ: ٧]. والشاهد قوله تعالى: "رجل" فقد نكّر كفار مكة كلمة (رَجُلٍ)، وعرضوا الدلالة عليه كما يدل على مجهول في أمر مجهول، فبدل أن يذكروا اسمه –عليه السلام- بشكل واضح

(١) الصابوني، صفوة التفاسير، م٣، ص٥٩.

(٢) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص٢٢٣.

(٣) بسيوني عبدالفتاح فيّود، من بلاغة النظم القرآني، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة ٢٠١٠م، ص٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صريح (محمد)، نكَّروه، وهو أظهر من الشمس[١]، وقد قصد الكفار الاستهزاء والسخرية والطَّنَزَ والتهكم من شخصه عليه الصلاة والسلام، وحاشاه[٢].

- أسلوب النَّفي:

ومن أدواته (لا) النافية، و(ما)، وقد وردت عدة آيات في هذا الأسلوب، منها قوله تعالى: L S R Q P O N M L K J I M[غافر: ٢٠]، فمن الثابت عند كل عاقل بأن الجمادات لا تقدر على أن تقضي لا بالحقِّ، ولا بالباطل، ولا تستطيع ردَّ الأذى عن نفسها، فهي جامدة صمَّاء، ولكن الله تعالى أخرجها في صورة ممن يتصور منه، ثم نفاه لإثارة الاستهزاء؛ لأنَّ الجماد لا يُقال في حقّه يقضي ولا يقضي"[٣].

- أسلوب القصر:

ومن معانيه: تخصيص الحكم بالمذكور في الكلام، ونفيه عن سواه بطريقٍ من الطُّرُق، منها (النفي، والاستثناء)، وبـــ(إنَّما)، وبتقديم ما حقه التأخير، وبالعطف بـــــ(لا، وبل، ولكن)، والغاية منه: تمكين الكلام وتقريره في الذهن، وقد يكون مرامي القصر التعريض[٤].

ومنه قوله تعالى: M إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا L [الفرقان: ٨]، فقد استخدم المستهزئون (إنْ) وهي أداة نفي، وإلّا (للاستثناء)، مخصصين أن هذا النبي والذي نكروه بقولهم (رجلاً)، بأنه مسحور، وهذا كله استهزاءٌ به عليه السلام. ومنه قوله تعالى معرضاً ومستهزئاً بالذين عطلوا عقولهم فلم يتفكروا في الآيات: M إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ L [الزمر: ٩]. إذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها، ولكنها تعريض بالمشركين، وأنهم لفرط عنادهم، وغَلَبة الهوى عليهم في حكم من لا عقلَ له، وهذا من مظاهر الاستهزاء[٥] ومن أمثلته في القرآن الكريم:

- قوله تعالى: M إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ L [البقرة: ١٤].

---

(١) الألوسي، روح المعاني، ج٢٢، ص١٠٩.
(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٤، ص٢٣٧-٢٣٨.
(٣) البيضاوي، أنوار التنزيل، ج٥، ص٨٩، أنظر: النجم: ٢٣.
(٤) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص١٨٣.
(٥) علي الجارم، البلاغة الواضحة، ص٢٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- وقوله تعالى: M... f g h i j ... L [المؤمنون: ٣٣].

- وقوله تعالى: M إِنۡ هِيَ إِلَّآ ´ µ ¶ ¸ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ L [النجم: ٢٣].

- أسلوب الإشارة:

ذكر علماء البلاغة الإشارة في أثناء حديثهم عن أحوال المسند إليه، والذي منه المبتدأ الذي له خبر، حيث يُؤتى بالمسند إليه اسم إشارة؛ إذا تعيّن طريقاً لإحضار المتكلم المُشار إليه في ذهن السامع، بأن يكون حاضراً محسوساً، ولا يَعرف المتكلم والسامع اسمه الخاص، ولا معيناً آخر، كقولك: أتبيع هذا، مشيراً إلى شيءٍ لا تعرف له اسماً، ولا وصْفاً[١].

أما إذا لم يتعين طريقاً لذلك، فيكون لأغراضٍ أخرى، منها التحقير والاستهزاء بالقُرْب، نحو: M < = > ? @ L [الأنبياء: ٣]. ومنها التعريض بغباوة المخاطَب، كأنه لا يفهم غير المحسوس، كقوله تعالى: M 9 : ; < = L [الأعراف: ١٧٩][٢].

ومنه قوله تعالى: M ~ رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ © L [الفرقان: ٤١]، والشاهد (هذا)، وقد استخدم الكفار لفظ الإشارة (هذا) للاحتقار، خاصة في هذا السياق[٣].

ومنه قوله تعالى: M إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنۡ هِيَ ´ µ ¶ L [الدخان: ٣٤-٣٥]. هؤلاء: قصد بهم كفار مكة على سبيل التحقير والازدراء، والاستهزاء رداً على إنكارهم، واستهزائهم بالبعث والنشور[٤].

---

(١) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص١٢٩.

(٢) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص١٢٩.

(٣) محمد جمال القاسمي، محاسن التأويل، ج١٢، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨، ص٢٦٣.

(٤) الصابوني، صفوة التفاسير، م٣، ص١٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه قوله تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 L [الأنبياء: ٣٦]، والشاهد قوله: (أهذا)، ومنها قوله تعالى: M 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = ? @ A B C L [التوبة: ١٢٤]، فقد ذكر المنافقون لفظة (هذه) كناية عن السورة القرآنية، دون ذكر اسم السورة صراحة على سبيل الاستهزاء[١].

- أسلوب الوصل والفصل:

وأمَّا الوصل، فهو عطف بعض الجمل على بعضٍ، والفصل تركه، أي تركُ الربط بين الجملتين؛ إمَّا لأنهما متحدتان صورة ومعنى، أو بمنزلة المتحدتين، وإما لأنه لا صلة بينهما في الصورة، أو في المعنى[٢].

وقد تحدث عبدالقاهر الجرجاني عن الوصل والفصل في أثناء حديثه عن قوله تعالى: M وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ L [البقرة: ١٤-١٥]، حيث لم يعطف M ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ L على جملة (...إِنَّا مَعَكُمْ) من مقولة المنافقين، والفَصْل في: M وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ L لم يعطف الله M يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ L على (قالُوا)؛ لئلا يشاركه في الاختصاص، والواقع أنَّ استهزاء الله بالمنافقين غير مقيدة بحالٍ من الأحوال، ولهذا وجب الفصل أيضاً[٣].

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، ج١٨، ص٢٤٨٢.

(٢) القزويني، تلخيص المفتاح، ص١٧٥.

(٣) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن الكريم، ص٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الإيجاز:

من خصائص القرآن الكريم الفنية الإيجاز، فقد جمع الله تعالى من معانيه في القليل من لفظه، وذلك معنى قوله عليه السلام: "أُوتيتُ جوامع الكَلِم"(١) وفي اللسان: "يعني القرآن وما جمع الله عز وجل بلطفه من المعاني الجمَّةِ في الألفاظ القليلة"(٢)، ومنه قوله تعالى: M يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ L [المنافقون: ٤] فدَلَّ على جبنهم، واستشرافهم لكل صائح، ومغبِّر على الإسلام وأهله(٣).

وقد عرَّفه التَّفتازاني بقوله: "أداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف، وعكسه الإطناب"(٤).

وينقسم الإيجاز إلى قسمين: إيجاز قصرٍ، وإيجاز حذف:

أما إيجاز القصر: فهو ما تزيد فيه المعاني على الألفاظ، ولا يُقدَّرُ فيه محذوف، ويُسمى (إيجاز البلاغة)؛ لأن الأقدار تتفاوت فيه، وللقرآن الكريم فيه من المنزلة التي لا تُسامى، والغاية التي لا تُدْرَكُ، وإيجازُ القصر يتضمن المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة، كقوله تعالى: M > ? @ A B L [البقرة: ٩٦]، فإن معناه كثير ولفظة قليل يسير(٥).

أما إيجاز الحذف، فيكون بحذف شيءٍ من العبارة، لا يخلُّ بالفهم عند وجود ما يدل على المحذوف من قرينةٍ لفظية، أو معنوية(٦).

ودواعي الإيجاز كثيرة؛ منها الاختصار، وتسهيل الحفظ. ويُستحسن الإيجاز في الوعد والوعيد، والتوبيخ، والاستهزاء(٧).

---

(١) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن الكريم، ص٤.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، مادة (وَجَزَ).

(٣) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن الكريم، ص٨.

(٤) سعد الدين التفتازاني، المطول في تلخيص مفتاح العلوم، ط١، تحقيق د.عبدالحليم زهران، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠١م، ص٦٤.

(٥) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٢٢٣.

(٦) المصدر السابق، ص٢٢٤.

(٧) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٢٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أمثلة الإيجاز بالحذف وطرقه ما يلي:

١- أن تحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامة، وتجعل الفعل له، ومنه قوله تعالى: M وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ L [البقرة: ٩٣]، أي حُبَّه[١].

٢- أن توقِعَ الفعل على شيئين، وهو لأحدهما، وتضمر للآخر فعله، ومنه قوله تعالى: M 5 6 7 L [يونس: ٧١]؛ أي وادعوا شركاءكم، وكذلك هو في مصحف عبدالله بن مسعود[٢].

٣- حذف الكلمة والكلمتين، ومنه قوله تعالى في المستهزئين يوم القيامة: M ! " # $ % & ') (* + L [السجدة: ١٢]، والمعنى: يقولون: ربنا سمعنا[٣].

وقوله تعالى: M أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ L [إبراهيم: ١٨]، أراد: في يوم عاصف الريح، فحذف؛ لأن ذكر الريح قد تقدَّم، فكان عليه دليل[٤].

ومن الإيجاز للاختصار قوله تعالى: M + , - . / L [الأنعام: ١٠]، وجاء ذلك باستخدام الفعل الماضي المبني للمجهول (استهْزئ) بدل أن يذكر أسماء الرسل المستهزَئ بهم، وقصصهم مع أقوامهم، وما إلى ذلك من تفصيلات[٥].

---

(١) أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق علي البجاوي وآخرون، نشر عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
(٢) المصدر السابق، ص١٣٦.
(٣) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٢١٢.
(٤) المصدر السابق، ص٢١٧.
(٥) التفتازاني، المطوّل، ص٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإطناب:

ويُعْرَف بأنه: "زيادة اللفظ على المعنى لفائدةٍ، أو تأديةٍ لمعنى، بعبارة زائدة عن متعارفِ أوساطِ البُلغاء، لفائدة تقويته وتوكيده، ومن فوائده، توضيح المعنى، ودفع الإبهام، وإثارة الحميَّة، وما إلى ذلك[١].

وهناك ما يُسمى بإطناب التذييل، والمقصود به: "تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها للتأكيد، وهو ضربان: ضَرْبٌ لم يخرج مَخْرجَ المثل، نحو: M J K L M | O P L R Q [سبأ: ١٧][٢].

وآخَرُ يُسمَّى بإطناب الاعتراض: ومنه قوله تعالى: M 8 9 : ; = > L ? [النحل: ٥٧]، ويقصد بالاعتراض: "أن يُؤتى في أثناء كلامٍ، أو بين كلامين متصلين (بـــــ) معنى بجملةٍ، أو أكثر لا محل لها من الإعراب، لنكتةٍ سوى دفع الإبهام، كالتنزيه، كما في قوله (سبحانه)[٣].

ومن أمثلة الإطناب الذي يتعلق بالاستهزاء القرآني قوله تعالى: M ! " # $ % & ') (* + , L [المدثر: ١٨-٢٠].

وقد جاء الإطناب بتكرار الجملة M % & ') (* + , L، وذلك زيادة في التوبيخ والتشنيع، وهذا كقولهم: أيُّ رجل هذا؟[٤].

وقد كرر الله –عز وجل- العبارة تأكيداً لذمَّه وتقبيحاً لحاله، ولغاية التهكم به، كأنه قال: قاتَلَهُ اللهُ، ما أروع تفكيره، وأبدعَ رأيه الحصيف[٥].

---

(١) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٢٢٦.
(٢) التفتازاني، المطول، ص٦٩.
(٣) المصدر السابق، ص٧٠.
(٤) ابن حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٨، ٣٧٤.
(٥) الصابوني، صفوة التفاسير، م٣، ص٤٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال الزمخشري: "ثناء عليه بطريق الاستهزاء والتهكم؛ بمعنى أنَّ ما أتى به في غاية الركاكةِ والسقوط"[١].

ثانياً: الاستهزاء وعلمُ البيان

والبيان: لغةً: الكشفُ، والإيضاحَ، والظهور، أمَّا في الاصطلاح فهو: "اسم لكل شيءٍ كشف لك بيان المعنى، وهتَكَ لكَ الحُجُبَ، وهو عِلْمٌ يُستطاعُ بمعرفته إبراز المعنى الواحد بعبارات وصور متفاوتة، وتراكيب مختلفة في درجة الوضوح، مع مطابقة كل منها مقتضى الحال"[٢].

والمُعْتَبَرُ في علم البيان دقَّةُ المعاني المعتَبَرة فيها من الاستعارات والكنايات مع وضوح الدَّالة عليها، وموضوع هذا العلم: الألفاظ العربية، من حيث: التشبيه، والمجاز، والكناية[٣].

وإذا كان البيان عِلماً من علوم العربية، فهو كذلك معدود من جملة العلوم الإسلامية، وهي العلوم التي نشأت بتأثير هذا الدين الجديد، وكان له دخلٌ واضح في نشأتها وتطورها وتنوع مباحثها، وكان البيان من أهم ما اعتمد عليه في خدمة العقيدة الإسلامية؛ لأنه يعمل على إبراز ما في القرآن الكريم –وهو كتاب العقيدة الإسلامية، وآيتها المعجزة- من وجه الجمال الذي يمتاز به، ويبيِّنُ سرَّ الإعجاز الذي بانَ به كلام الله وامتاز به من كلام البشر، سواء من ناحية مقاصده ومعانيه، أو من ناحية أساليب تأديتها والعبارة منها[٤].

ونبدأ بأول قسم من أقسام علم البيان، وهو:

أ- التشبيه:

وهو لُغَةً التمثيل –يُقال هذا شِبْهُ هذا، وفي الاصطلاح: "عَقدُ مماثلةٍ بين أمرين، أو أكثر، قصِدَ اشتراكهما في صفةٍ، أو أكثر، بأداةٍ لغرض يقصده المتكلم"[٥].

---

(١) الصابوني، صفوة التفاسير، م٣، ص٤٥٣.

(٢) الهاشميّ، جواهر البلاغة، ص٢٤٤.

(٣) المصدر السابق، ص٢٤٥.

(٤) محمد بركات أبو علي، مقدمة في دراسة البيان العربي، ص٦٢.

(٥) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٢٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تناول العديد من علماء البلاغة القدماء والمحدثين التشبيه بالدراسة والبحث، ومن هؤلاء ابن قتيبة، والجرجاني، والسكاكي، والقزويني، وابن أبي الإصبع المصري، والعلوي، والهاشمي، وآخرون من علماء التفسير وعلى رأسهم الزمخشري في كتابه الكشاف.

وقد تطرق ابن أبي الإصبع المصري في كتابه بديع القرآن إلى التشبيه، حيث عقد له باباً أسماه باب التشبيه، وذكر العديد من القضايا التي تبحث فيه، وأعطى أمثلة عديدة، منها ما يختص بأسلوب الاستهزاء، كقوله تعالى: M F G H I J K L M N O P Q L [النور: ٣٩]، وقال: "وهذا من باب جدِّ التشبيه البليغ الصناعي، ويعني به إخراج الأغْمَض إلى الأظْهر بالتشبيه مع حُسنِ التأليف، ووقوع حُسن البيان فيه على وجوه، منها: إخراج ما تقع عليه الحاسَّة، فهذا بيان إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسَّة، وقد أصبحت في بُطلان التَّوهم مع شدَّة الحاجة، ولو قيل: "يحسبه الرائي ماءً" لكان بليغاً، وأبلغُ منه لفظ القرآن (الظمآن)؛ لأنَّ الظمآن أشد حرصاً عليه، وأكثر تَعَلُّق قلبٍ به، وتشبيه أعمال الكفار بالسَّرابِ مِن أحسنِ التشبيه، وأبلغهِ، فكيف وقد تضمن مع ذلك حُسنَ النَّظم، وعذوبة الألفاظ، وصحة الدلالةِ، وصدق التمثيل؟!"[١].

وتحدث الخطيب القزويني عن ما أسماه بـــــ(التشبيه العقلي)، ويقصد به: "حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تَحَمُّلِ التَّعَبِ، واستعجابهِ في قوله تعالى: M Z [\ ] ^ _ ` a L b c d [الجمعة: ٥]."[٢].

كما تناول العلوي في "الطِّراز" التشبيهات البعيدة والقريبة، فذكر بأن تشبيهات القرآن كلها قريبة؛ وذلك إلا لأنها أدْخَلُ في التحقيق، وأقربُ إلى التيقُّن مما لا يكادُ يقعُ فلهذا كانت مختصة بها كقوله تعالى: M a b L و"فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أو تتركه يلهث..."، كما ذكر المبالغة في التشبيه، ومنها تشبيه معنًى بصورة، كقوله تعالى: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ

(١) ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ص٥٨.

(٢) القزويني، تلخيص المفتاح، ص٢٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بِقِيعَةٍ"، ويرى أنَّ أنواع التشبيه خمسة، ومنها ما يختص بالاستهزاء، وذكر النوع في الحيوان: (التشبيه بالحيوان)، كقوله تعالى: M V W L، وقوله تعالى: M كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ... L[(١)].

يذكر العديد من علماء البلاغة أن التشبيه له فروع مختلفة، منها ما هو تمثيلي ووجه الشبه يكون بصورة منتزعة من متعدد، ومنها ما يكون مفرداً، وله أنواع، أبرزها؛ البليغ، والمرسل المجمل، والمقلوب، والضِّمني.

ومن التشبيه التمثيلي:

- قوله تعالى: M & ') (* + , - . / 0 1 2 L [المدثر: ٤٩-٥١]، كأن هؤلاء الكفار حُمُرٌ وحشية نافرةٌ وشاردة هربت، ونفرت من الأسد من شدة الفزع، ووجه الشبه منتزع من متعدد، ويقول صاحب البحر المحيط: "شبههم الله تعالى بالحُمُرِ النافرةِ مَذمة لهم وتهجيناً"[(٢)] وقال ابن عباس: "الحمر الوحشية إذا عاينت الأسدَ هَرَبت، كذلك هؤلاء المشركون، إذا رأوا محمداً –صلى الله عليه وسلم- هربوا كما يهرب الحمار من الأسد، ثمَّ قال: القَسْوَرةُ: الأسدُ"[(٣)].

- وقوله تعالى: M k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ إِلَىٰ ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن © عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ´ µ ¶ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ L [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

والخطاب لليهود عن عالِمٍ علَّمهُ الله علم بعض كتب الله، فانسلخَ منها، كما تنسلخ الحية من جلدها، وكفر بها وأعرض، ولو شاء الله لرفعه، لكنه آثرَ الدنيا وسكنَ إليها، وبشَهواتها، فانحطَّ أسفَلَ سافلين، فشبهه الله بالكلب في الخِسَّةِ والدناءَةِ، كمثل الكلبِ إنْ طَرَدْتَهُ وزجرتَهُ فسعى يلهث، وإن تركته على حاله لهث، وهو تمثيل بادي الروعة، ظاهره البلاغة، والصورة منتزعة من متعدد،

---

(١) العلوي، الطِّراز، ج١، ص٢٨٢-٣٠٥.

(٢) ابن حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٨، ص٣٨٠.

(٣) الرازي، التفسير الكبير، ج٣٠، ص٢١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولهذا يسمى التشبيه التمثيلي، وهذه الآية تحملُ تعريضاً باليهود، فقد أوتوا التوراة، وعرفوا صفة النبي –صلى الله عليه وسلم-، فلما جاءَهم ما عرفوا كفروا به، وانسلخوا من حكم التوراة[١].

ومن التشبيه المرسل المجمل (ما ذُكرت فيه الأداة وحُذف منه وجه الشَّبه): قوله تعالى:

6 5 4 3 2 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " ! M

7 9 : ; < = ? @ A L [الأعراف: ١٧٩].

فقد شبه الله تعالى كلَّ كافرٍ من الجن والإنس عَطَّل قلبه عن التدبر، وعطَّل عينيه عن التبصر في آيات الله وعطَّل سمعه عن ذكره الله، بالأنعام، بل وصفهم بأنهم أشد ضلالاً منها، فهم غافلون، وهذا فيه استهزاء شديد وتقبيح لهم، حيث أنَّ منزلة من يشبههم من البشر هي أحَطُّ مِنَ الأنعام بدرجات[٢].

- أما التشبيه البليغ (الذي حذفت منه الأداة ووجه الشبه): فكقوله تعالى: M 3 4 5 6 7 8 L [البقرة: ١٨]، حيث شبه المستهزئين بالمؤمنين بالصُّمِّ البُكْمِ العُمي في عدم الإفادة من هذه الحواس، فحذفت أداة التشبيه، ووجه الشبه، فأصبحَ بليغاً[٣].
- ومن التشبيه المقلوب، وهو: جَعْل المشبَّه مُشبَّهاً به بادِّعاء أنَّ وجْه الشَّبهِ فيه أقوى وأظهر"[٤]، قوله تعالى: M أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ L [القلم: ٣٥]؛ لأن الأصل: أفنجعل المجرمين كالمسلمين في الأجر والمثوبة؟ فقلب التشبيه ليكون أبلغ وأروع[٥].

وهناك الكثير الكثير من التشبيهات الهازئة الساخرة في كثير من السور القرآنية.

ب- الاستعارة:

---

(١) الصابوني، صفوة التفاسير، م١، ص٤٤٦.
(٢) المصدر السابق، م١، ص٤٦٣.
(٣) المصدر السابق، م١، ص٣٣.
(٤) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص٦٠.
(٥) الصَّابوني، صفوة التفاسير، م٣، ص٤٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهي أحد أبرز أنواع البيان، حيث تتركُ أثراً كبيراً في نفس المتلقّي، خاصة عند متذوقي اللغة والعارفين بمدلولاتها، حيث يظهر أثرها من خلال الإيحاء والتخييل، وهي في تركيبها تدلُّ على تناسي التشبيه، فيتخيل السامع صورة جديدة رائعة تُنْسِيه ما تضمنه الكلام من تشبيه مستور.

ويرى عدد من الدارسين لعلوم البلاغة، بأنَّ الاستعارة اصطلاحاً هي: "استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه، والمعنى المستعمل فيه مع (قرينة)، صارفةٍ عن إرادة المعنى الأصليّ، والاستعارة ليست إلَّا تشبيهاً مختَصَراً، ولكنها أبلغ منه وهي إما تصريحة، وإما مكينة[١].

تناول الاستعارة كثير من علماء البلاغة، وعلى رأسهم الإمام عبدالقاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز، وذكر الاستعارة التهكمية، وضرب عليها مثالاً، قوله تعالى: M µ ¶ ¸ L [التوبة: ٣٤][٢]، كما تحدث عنها السُّبكي في عروس الأفراح، وذكر الاستعارة التمليحية والتهكمية، وضرب عليها مثالاً، قوله تعالى: M µ ¶ ¸ L [٣]، وكذلك صاحب الطِّراز الذي يقول: "اعلم أنَّ في الاستعارة ما يكون معدوداً في التهكم، وحاصل في الذم والإهانةِ تهكماً بالمخاطب، وإنزالاً لقدرهِ، وحطَّاً منه، وهذا كقوله تعالى: M﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ﴾ © L، فكان نقيضها من السَّفيهِ الغويِّ، وقوله: M µ ¶ ¸ L بدل قوله أنْذِرهم؛ لأنَّ البشارة، إنما تستعمل في الأمور المحمودة، والمراد هنا، العذاب والويل، ومنه قوله تعالى: M﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ L، والتهكم في أمره وحطٌّ منزلته وحالِهِ، واشتقاقهِ من: تَهكّمت البئر، إذا سقط طيْنُها، وهو كثير التداول في كتاب الله تعالى. خاصة عند عَرْضِ ذكر الكفار، وأهل الشِّرك والنفاق كقوله تعالى: M x y

(١) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٣٣٣.

(٢) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص٩٤.

(٣) بهاء الدين السُّبكي (ت٧٧٣هـ)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق الدكتور إبراهيم خليل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ص١٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

z } L، وغير ذلك من الآيات الوعيدية، والخطابات الزجرية الدَّالة على مزيد الغضب، وبالغ الانتقام[١].

ومن أبرز الاستعارات التي تناولها العديد من المفسرين والبلاغيين بالشرح والاهتمام قوله تعالى: M فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ L ، حيث جاءت لفظة البشارة في القرآن الكريم في عدَّة آيات، منها ما هو على وجهِ الحقيقة، كقوله تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , L [البقرة: ٢٥]، ومنها ما جاء على سبيل الاستهزاء بما يحمله من سخرية وتهكم، حيث استخدم الله تعالى لفظ (البشارة) في موضع الإنذار، أو الوعيد، وهذا على خلاف المعهود؛ إذ أنَّ البشارة تعني الإخبار بما يَسُرُّ[٢].

وقد جاءت البشرى بالعذاب الأليم في سبع آياتٍ من القرآن الكريم مبشراً بها الكافرين، والمنافقين، والمستهزئين بالقرآن، والرُّهبان من النصارى الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، والكانزين المال، ومن هذه الآيات: قوله تعالى: M بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ L [الانشقاق: ٢٢-٢٤]، وقوله تعالى: M ~ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا L [النساء: ١٣٨]، وقوله تعالى: M... R S T U V W X Y Z [\ ] L [التوبة: ٣٤].

والبشرى: هي الخبر الذي غلب استعماله في الخير، حتى صار حقيقة يُعرَف بها. قال ابن عطية: "وجاءت البشارة بالعذاب من حيث نصَّ عليه، وإذا جاءت البشارة مطلقة فمجملها فيما يُستَحْسَن"[٣].

---

(١) العلوي، الطِّراز، ج١، ٢٤٦.

(٢) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص٤٦.

(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٣، ص٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونحن هنا نتساءَل عن سبب خروج البشرى عن معناها الحقيقي الذي هو الخبر السَّار، إلى المعنى المجازي. ولكي نستطيع الإجابة عن هذا التساؤل نقول: خرجت البشرى عن معناها الحقيقي إلى المعنى المجازي لِحكمٍ متعددةٍ، منها:

أولاً: الاستهزاء والسخرية: فقد سلك القرآن الكريم أساليب مختلفة في تقريع الكفار والرَّدِّ عليهم ووعيدهم بالعذاب، ومن هذه الأساليب أسلوب الاستهزاء، والذي جاء على طريقة البشارة بالعذاب الأليم(١).

قال ابن فارس: "ويُقال بَشّرتُ فلاناً أبشِّرُهُ تبشيراً، وذلك يكون بالخير، وربما حُمِلَ عليه غيره من الشَّرِّ، وربما كان ذلك جنساً من التبكيت، فأمَّا إذا أُطلِق الكلام إطلاقاً فالبشارة بالخير، والنذارة بغيره"(٢).

وعُدَّت البشرى بالعذاب الأليم ضرباً من الاستهزاء؛ ذلك لأنَّ البشرى الخبر السار، فالسامع لها ينتظر خبراً ساراً، أما أن يُؤتى بها عند الإخْبَار بما يسوء، فهذا إطلاق الألفاظ على غير حقيقتها، وهو ما يُسمى بالاستعارة، حيث استُعيرت البشرى للإنذار تهكماً، فالاستعارة تهكمية(٣).

ويرى ابن عاشور بأن: "حقيقة التبشير: الإخبار بما يُظهر سرور المُخْبَر، وهو هنا مستعمل في ضد حقيقته؛ إذْ أريد به الإخبار بحصول العذاب، وهو موجب لحُزْنِ المُخْبَرين، فهذا الاستعمال في الضدِّ معدود عند علماء البيان من الاستعارة، ويسمونها تهكمية؛ لأنَّ تشبيه الضدِّ بغيره لا يروج في عقل أحدٍ إلَّا على معنى التهكم، أو التمليح"(٤).

ثانياً: المبالغة في الوعيد

ويعلق الشعراوي في تفسيره على البشارة بالعذاب، بقوله: "إنَّ النفس تتفتح لاستقبال خبرٍ سار، وعندما تستعد النفس بالسرور، وانبساط الأسارير إلى أن تأتي المفاجأة بالبشرى بخبر غير سار، بل ببشرى بعذابٍ أليم، ماذا يحدث؟ يحدث انقباض مفاجئ أليم، ابتداءٌ مُطْمِع (فبشرهم)، وانتهاءٌ مُيْئِس (بعذاب أليم)، وهنا يكون الإحساس بالمصيبة أشد؛ لأنَّ الحقَّ لو أنذرهم وأوعدهم من

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٥٦٥.

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج١، مادة (بَشَر).

(٣) نزار عطا الله صالح، البشرى في القرآن الكريم، ص١٦٦.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣، ص٢٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أول الأمر دون أن يقول: (فبشرهم)، لكان وقوع الخبر المؤلم هيناً، لكن الحقَّ يريد للخبر أن يقع وقوعاً صاعقاً"[١].

لقد أظهر المنافقون الإيمان وأبطنوا الكفر، وبذلك استحقوا أنْ يجازيهم الله تعالى من جنس عملهم فجاء بلفظ ظاهره رحمة، وباطنه عذاب وهلاكٍ، فاستعار لفظ البشارة، وهي الإخبار بما يَسرُّ للإنذار، وهو الإخبار بما يسيء، منزلة التَّضاد منزلة التناسُب، وشبَّه الإنذار بالتبشير بجامع السرور في كُلٍّ تحقيقاً في التبشير، وتنزيلاً في الإنذار، ثمَّ اشتقَ من التبشير (بَشِّرْ) بمعنى أَنْذِرْ، استعارة تهكمية، وهذا استخفاف بقولهم، وتعريضٌ بقلةِ مصيرهم، وسَفَهِ رأيهم[٢].

وهناك استعارات تهكمية (استهزائية) في القرآن الكريم بشكل واضح، ونذكر منها على سبيل المثال لا الشرح، قوله تعالى: M وَظِلٍّ مِّن ´ L [الواقعة: ٤٣]، وقوله تعالى: M (* L [إبراهيم: ٤٣]، وقوله تعالى: M ! " # $ L [الطُّور: ٣٢]، ومنها قوله تعالى: M C B D E F G H I L [النحل: ١١٢]، وانظر بخصوص ذلك ما كتبه الجاحظ في التعليق على هذه الآية[٣]، وكذلك ابن أبي الإصبع المصري[٤].

- الاستعارة التمثيلية:

ومنها قوله تعالى: M . / 0 1 2 3 4 L [الجاثية: ٣٤]، مَثَّلَ تَرْكَهُم في العذاب بمن حُبس في مكان ثم نَسِيه السَّجان من الطعام والشراب، حتى هلك بطريق الاستعارة التمثيلية، والمراد من الآية نترككم في العذاب ونعاملكم معاملة النَّاسي؛ لأنَّ الله تعالى لا ينسى، ولا يُعرَفُ له النسيان؛ إنَّما هذا من باب الاستهزاء الرَّباني بهم كما كانوا يتناسَون ذكر اللهِ، ويعرضون عنه ويستهزئون به[٥].

---

(١) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج٣، ص١٣٧٧.
(٢) عبدالفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، ط٢، دار المعارف، ١٩٨٥، ص١٧٩-١٨٠.
(٣) أبو عثمان، عمر بن بحر الجاحظ (١٩٣٨)، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ج٥، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ص٣٠.
(٤) ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ص٥٨.
(٥) الصَّابوني، صفوة التفاسير، م٣، ص٤٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الاستعارة الفائقة:

ومنها قوله تعالى: M ! " # L [القلم: ١٦]، فقد استعار الخرطوم للأنف؛ لأنَّ أصل الخرطوم للفيل، واستعارته لأنف الإنسان تجعله غاية الإبداع؛ لأنَّ الغرضَ الاستهانة به والاستخفاف من أنفته وعزته[١].

ج- المجاز

والمجاز: مُشْتَقٌ من جاز الشيء يجوزه –إذا تعدّاه- سَمّوا به اللفظ الذي نُقِلَ من معناه الأصلي، واستُعْمِلَ ليدلَّ على معنى غير، مناسب له[٢].

وشُغِفت العرب باستخدام المجاز لميلها إلى الاتساع في الكلام وإلى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ، ولما فيه من الدِّقة في التعبير، فيحصل للنفس به سرور وأريحية[٣].

وفي الاصطلاح: اللفظ المستعمل في غير ما وُضعَ له في اصطلاح التخاطب لعلاقة مع قرنية مانعةٍ من إرادة المعنى الوصفي؛ فإذا كانت العلاقة مشابهة فالمجاز استعارة، وإلَّا فهو (مجاز مرسل)، والقرينة قد تكون حالية، أو لفظية"[٤].

يقول ابن قتيبة: "وللعرب مجازات في الكلام، ومعناها: طرق القول، ومآخذه، ففيها: الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف والتكرار، والتعريض،...والإفصاح..."[٥].

ومنه قوله تعالى: M وَإِن ´ µ ¶ ¸ نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ L [البقرة: ٢٣]، والمقصود بالشهداء في الآية السابقة، كما ينظر إليه بعض

---

(١) الصَّابوني، صفوة التفاسير، م٣، ص٤٠٧.
(٢) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٢٩٠.
(٣) المصدر السابق، ص٢٩٠.
(٤) علي الجارم، البلاغة الواضحة، ص١١١.
(٥) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المفسرين: إمَّا الآلهة التي يعبدونها من الأصنام، أو أنها كلٌّ من شَهِدَ، وحضَرَ من نصير، أو شهيد[١].

أما في اللغة، فالشهداء: جمع شهيد، وهو مَنْ شَهِدَ وَحَضَر، والشاهِدُ الحاضِرُ، ولا تُسمى الشهادةُ شهادةً إلَّا إذا كانت صادرة عن علم حصل بالمشاهدة بصيرة، أو بَصَراً[٢]. وهذا مصداق قوله تعالى: M o p q r s t L [البقرة: ٢٨٢]، وقد استعمل هذه اللفظ (الشهادة)، فيما يلازمه الحضور مجازاً، أو كناية لا بأصْل وَضْع اللفظِ[٣].

ولا بد من التأكيد على أن استخدام القرآن للفظ (الشهداء) مجازاً، أو كناية للجماد من الأصنام التي يعبدونها، التي لا تسمع ولا تضرُّ ولا تنفع، بحيث يدعوهم القرآن إلى أن يهرعوا لها تساعدهم، وتشهد على كفرهم، فيه من الاستهزاء الساخر بتلك العقيدة الفاسدة، والعقول الخَربةِ التي يحملونها، بحيث أنها لن تشهد معهم على ما يفترون من عبادةٍ لغير المعبود الحقيقي، وهو الله تعالى، كما أنَّ هذا الاستهزاء يحمل تقبيحاً بصورة الإنسان الذي عطَّل عقله، واستخفّ بنفسهِ التي رفعها الله لينزل إلى أسفل سافلين فيعبد جماداً لا يعقل، ولا يفهم، وهذا فيه تسفيه لعقولهم وتسخيف لتلك المعتقدات الزائفة، وهذا من طرق الحرب النفسية لأولئك المتباهين بآلهة لا تضر ولا تنفع.

ثالثاً: الاستهزاء وعلم البديع

وعلم البديع هو القسم الثالث من علوم البلاغة، "وهو عِلمٌ يُعرَف به وجوه تحسين الكلام، وهو يشتمل على مُحسِّات معنوية ومحسِّنات لفظية"[٤].

ونحن إذا رجعنا إلى كتب البلاغة العربية القديمة والحديثة، وكتب التفسير، نجد أن هناك العديد من هذه الكتب التي تناولت بالبحث والدراسة البديع في القرآن الكريم، ومن أهمها كتاب بديع القرآن لابن أبي الإصبع المصري، كما ذكرنا سابقاً، حيث أفرد العديد من الأبواب ضمن هذا العلم، حيث ذكرنا العديد من المصطلحات التي تناولها المصري والتي تتعلق بالاستهزاء، وذلك أثناء حديثنا عن المصطلحات القريبة من الاستهزاء في بداية دراستنا.

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ج١، ص٣٥٠.
(٢) الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، ص٢٦٨.
(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ص٣٣٩.
(٤) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٢٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أبرز المحسنات البديعية، والتي جاءت تحمل الاستهزاء القرآني ما يلي:

أ- المشاكلة:

وتُعرَف بأنها: "ذِكْرُ الشَّيء بلفظِ غيره؛ لوقوعهِ في صحبتهِ"[١].

وقيل هي الموافقة، وذكرها ابن أبي الإصبع المصري بـــ "أن يأتي المتكلِّمُ في كلامه، أو الشاعر في شعرهِ باسمٍ من الأسماءِ المشتركةِ في موضعين فصاعداً من البيت.."[٢].

وقال آخرون بأنَّ المشاكَلة: "هي أنْ تتفق الجملتان في اللفظ، وتختلفان في المعنى"، وهو في القرآن كثير، كقوله تعالى: M | { ~ مِّثْلُهَا L، M + , - L، ومن أمثلتها ما يتعلق بالاستهزاء قوله تعالى: M ¶ ¸ مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ L [البقرة: ١٤-١٥]، أي يجازيهم على استهزائهم بالإمهال، ثم النَّكال[٣].

ومن المشاكلة قوله تعالى: M > ? @ A B C D E F G H L

[سبأ: ١٦].

وقد جاءت المشاكلة للاستهزاء بهؤلاء العصاةِ قوم سبأ؛ حيث يظن السامع لهذه الآية أنَّ الله أعطاهم مكان جنتهم ثماراً طيبة، ونعماً كثيرة متعددة الأصناف والأشكال مما تشتهيه الأنفس وتَلَذُّ به؛ فإذا بهذا البدلِ (الخَمْطِ، والأثل، والسِّدر)، وهذا لا يتفق مع لفظةِ الجنَّةِ، لكن الله عز وجل قصد الاستهزاء بهم وتوبيخهم على ما كفروا وعَصَوا، وعلى عدم شكر النعمةِ، وبذلك أخرج الكلام على ضِدَّه مقتضى الظاهر[٤].

---

(١) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٣٧٥.

(٢) إبراهيم محمود علان، البديع في القرآن الكـــريم وأنواعـــه، ط١، دار الثقافـــة والإعـــلام، الـــشارقة، ٢٠٠٢م، ص١٣١.

(٣) رابح دواب، البلاغة عند المفسرين حتى نهاية الرابع الهجري، ط١، دار الفجر، القاهرة، ١٩٩٧، ص٥.

(٤) البيضاوي، أنوار التنزيل، ج٤، ص٣٩٧، والخمْطُ: كل نبات مُرٍّ، والأثلُ: شجر شبيه بالطرفاء، ولا ثمر له، ابن منظور، لسان العرب، مادة (خَمط)، والسِّدر، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سَدَرَ)، وهو شجر النَّبـــقِ، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نبق)، الرازي، مختار الصحاح، ج١، ص٣، وج١، ص١٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- تجاهل العارف:

وقد ذكرناه سابقاً بأنه: "سؤال المتكلّم عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه ليخرج كلامه مخرج المدح، أو الذم، أو الاستهزاء"(١)، وهو قسمان: أحدهما موجب، والثاني منفي، ضربٌ يكون الاستفهام فيه عن شيئين أحدهما واقعٌ، والآخرُ غير واقع، وللمتكلم أن ينطق بأحدهما، ويسكت عن الآخر بدلالةِ الحالِ عليه، ومن هذا الباب، قوله تعالى: M أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ L [القمر: ٢٤](٢).

وسؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلاً لنكتةٍ كالمبالغة في الدَّم، والتعجب، كقوله تعالى: M ! " # $ % & L [الطور: ١٥].

ومنه قوله تعالى: M أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ ´ µ ¶ ¸ فِى ٱلزُّبُرِ L [القمر: ٤٣]. وقوله تعالى: M قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا ´ µ ¸ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ L [ص: ٧٥]. الله يعلم أنَّ إبليس لم يسجد استكباراً؛ لكنه جاء بهذا الأسلوب تحقيراً له (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ) واستهزاءً من فعلته(٣).

ج- الإتيان بألفاظ المدح في معرض الذَّم:

وهذه من الأساليب القرآنية المؤثرة، وقد عرفها العرب في كلامهم، حيث يورد صاحب اللسان قولاً عن ابن عرفة مفاده أنَّ: "هذا من أشدِّ سُبابِ العربِ أن يقول الرجلُ لصاحبهِ إذا استجهلهُ: يا حليمُ؛ أي أنت عند نفسِكَ حليمٌ وعند الناس سفيه(٤).

ومن أمثلته في القرآن الكريم، قوله تعالى على لسان قوم شعيب: M v w x y z { | } ~ نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ © L [هود: ٨٧]، فقد استهزئوا بشعيب، بأن أتوا بألفاظ المدح (الحليم الرشيد)، وهم يقصدون الذَّم، ومنه قوله تعالى: M Y Z

---

(١) ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ص٥١.
(٢) إبراهيم علان، البديع في القرآن الكريم، ص٥١.
(٣) ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ص٣٨.
(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص١٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

] \ [L [الدخان: ٤٩]، وهذه الآية نزلت في أبي جهل، كما ذكرنا سابقاً، والكلام هنا ليس على الحقيقة، حيث أورد الله لفظتي (العزيز، والكريم)، وذلك في معرض ذمّه له[١].

د- التَّهكم:

وقد عرَّفه ابن أبي الإصبع المصري بقوله: "وهو في الاستعمال عبارة عن الإتيان بلفظ البشارة، والوعد مكان الوعيد، والمدح في معرض الاستهزاء، وضرب الأمثلة على ذلك من القرآن الكريم، كقوله تعالى: M ~ **ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** L [النساء: ١٣٨]، وقد ذكرناه سابقاً في باب الاستعارة[٢].

وقد أشار المصريّ، بأن الزمخشري (٥٣٨هـ) قد سبقه في التعرُّض لهذا المصطلح البديعي، ولكنه –أي المصري- جعله من ابتداعاتهِ، وادّعى بأنَّهُ أول من جَعلَ التهكمَ باباً منفرداً في البلاغة له حَدٌّ، وعليه أمثلة[٣].

ه- التعريض:

وهو كثير في القرآن الكريم، وقد عَرَّفه ابن الأثير بقوله: "أنْ تذكر كلاماً يحتمل مقصودك، وغير مقصودك، إلَّا أنَّ قرائن أحوالك تؤكد حَمْلَهُ على مقصودك"[٤]. والعربُ تستعمله في كلامها كثيراً فتبلغ إرادتها بوجهٍ هو ألطف، وأحسن من الكشف والتصريح، ويعيبون الرَّجل إذا كان يكاشف في كلِّ شيءٍ، ويقولون: لا يُحْسِنُ التعريضَ إلَّا ثَلْباً"[٥].

وقد جاء في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم –عليه السلام- محاججاً، ومستهزئاً بقومه الذين عبدوا الأصنام، ومعرِّضاً بهم:M L K M N O P Q R S L [الأنبياء: ٦٣]، أراد: بل فعله الكبير؛ إن كانوا ينطقون فسلوهم، فجعل النطق

---

(١) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٣٨٢.

(٢) ابن أبي الإصبع المصري، التحرير التحبير، ص٥٦٨.

(٣) المصدر السابق، ص٥٦٩، وانظر الكشاف، ج٢، ص٣٥٢.

(٤) أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٠، ج٢، ص١٩٩-هـ٢٠٠.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٢٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شرطاً للفعل، أي: إنْ كانوا ينطقون فقد فعله، وهو لا يعقل، ولا ينطق، والتعريض بمن يعبدون الأصنام؛ لأنهم يعرفون أن هذه الأصنام لن تستطيع الإجابة، فهي صمَّاء بكماء، وهو –عليه السالم- يُعرِّض بهم وبعبادتهم[١].

ومن أمثلته قوله تعالى: M 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ L [الأنعام: ٢]، وتمترون: تشكُّون من البعث، وتتكرون بعد ظهور كل تلك الآيات الدالةِ، وهذا التعريض مليء بالتعجب والاستهزاء، وقد جاء التعريض بقوله: M 3 4 5 L، يعرِّض بأصلهم[٢].

و- التوهيم:

وعرَّفه ابن أبي الإصبع المصري، بأنه: أن تجيء بكلمة تُوهِمْ أُخرى، يقول: "وهي أن يأتي المتكلم بكلمة يُوْهِمُ ما بَعدها من الكلام أنَّ المتكلم أراد تصحيفها، وهو يريد غير ذلك"[٣]، وأورد شاهداً من القرآن في معرض الاستهزاء، قوله تعالى: M أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا L [الأعراف: ١٩٥]، فظاهر الكلام يشير إلى وجود أعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها استهزاءً بهم، ولكنه في الحقيقة يقصد إثبات هذه الجوارح فيهم، وهو ما ينفي عنهم الألوهية[٤].

ز- التَّندُّرُ والتندير:

وهو من المحسنات المعنوية التي ذكرها ابن أبي الإصبع المصري في كتابيه؛ تحرير التحبير، وبديع القرآن، وسماه بـــ(التندير)، وقد عرفناه في معرض حديثنا عن المصطلحات المتعلقة بالاستهزاء، ويفيد السقوط، وإظهار العيوب، ومنه قوله تعالى: M _ ` a b c d e f g h i j k L [الأحزاب: ١٩]، يقول المصري: "فانظر إلى مبالغته سبحانه وتعالى

(١) ابن قتيبة، تاويل مشكل القرآن، ص٢٦٦، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١١، ص٣٠٠.
(٢) الصابوني، صفوة التفاسير، م٣، ص٤٨.
(٣) ابن أبي الإصبع، بديع القرآن، ص١٣١.
(٤) إبراهيم علان، البديع في القرآن الكريم، ص٣٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في وصف المنافقين بالجُبْنِ والخَوْفِ، حيث أخبر عنهم بالخبر الصادق أنهم عند الخوف تدور أعينهم حالة الملاحظة، كحالةِ المغشيّ عليه من الموت، ولو اقتصر سبحانه –وهو أعلم- على قوله:

L i h g M، لكان كافياً في المقصود، ولكنه لم يقف –سبحانه- عند ذلك، حتى زاد شيئاً بقوله: "من الموت"؛ إذ حالة المغشيِّ عليه من الموت أشد من حالة غيره، ولو جاء –عز وجل- في موضع الموتِ بالخوف لكان الكلام بليغاً، والذي جاء به التنزيل الحكيم أبلغ، وهو مع ذلك خارج مَخرج الحق[١].

ج- السجع الرصين:

وهو السجع الرصين غير المتكلف، الهادئ، المليء بالموسيقى العذبة، والذي يزيد من رونق الكلام وجماله، وهو من المحسنات اللفظية، ونراه في آيةٍ مليئة بالاستهزاء والسخرية في إحدى المشاهد المرعبة من مشاهد عذاب ذلك الأثيم أبي جهل –لعنه الله، حيث أنَّ المشهد مخيف ومؤثر، ولكن الأسلوب البديعي القرآني جاء هادئاً عذباً على عكس ما يشعر به ذلك الفاجر من ألم يوم القيامة، يقول تعالى: M < = > ? @ A B C D E F G H

[Z Y X W V U T S R Q P O N M L K J I

\ [^ _ ` a b c d L [الدخان: ٤٣-٥٠]، والشاهد من السجع الألفاظ التي تنتهي بنفس الحرف، وهو الميم، وهذه الألفاظ هي: (الأثيم، الحميم، الجحيم، الحميم، الكريم)[٢].

---

(١) ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ص٢٨٥، وتحرير التحبير، ص٥٧١.

(٢) الصابوني، صفوة التفاسير، م٣، ص١٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني

الأمثال

كثرت الأمثال في القرآن الكريم بشكل عام، وفي مواطن الاستهزاء هناك العديد من الأمثال التي ضربها الله عز وجل، وذلك لتقريب البعيد، وتوضيح الغامض حتى يصبح كالأمر المُشاهَد المحسوس. وللأمثال تأثير عجيب في النفس، قال تعالى: M x v u t s r q p o n m l k j i h g f e d c b a ` _ ^] \ [Z Y X W V U T S R Q P O N L [العنكبوت: ٤٣].[١].

يقول الزمخشري: "التمثيل إنما يُصار إليه لما فيه من كشف المعنى، ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب، فليس العِظَمُ والحقارة في المضروب به المثلُ إلَّا أمراً تستدعيه حالُ المتمثَّل له، ألا ترى إلى الحقِّ لما كان أبلج واضحاً جلياً، كيف تمثل له بالظُّلْمةِ؟ ولمَّا كان حال الآلهة التي جعلها الكفار أنداداً لله تعالى ليسَ أحقر منها وأقل؛ لذلك ضرب لها المثلَ بيت العنكبوت في الضعفِ والوهن M V W X Y Z [وجُعِلتْ أقلَّ من الذُّبابِ، وأخَسَّ قدْراً: M . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ L ، والعَجَبُ منهم كيف أنكروا ذلك، وما زال النَّاس يضربون الأمثالَ بالبهائم والطيور، والحشرات والهوام، وهذه أمثال العربِ بين أيديهم سائرة في حواضرهم وباديهم"[٢].

وقد عقد ابن أبي الإصبع المصري باباً للتمثيل، وأسماه باب التمثيل وعرَّفه بقوله: "التمثيل: أن يريد المتكلِّمُ معنىً فلا يعبِّر عنه بلفظهِ الخاص، ولا بلفظي الإشارة، ولا الإردافِ، بل بلفظ هو أبعد من لفظ الإرداف قليلاً يصح أن يكون مثلاً للفظ خاص؛ لأنَّ المثلَ لا يُشبهُ المِثلَ من جميع الوجوه، ولو تماثل المثلان من كُلِّ الوجوه لاتَّحدا، وعلى هذا لا يكون قربُ التمثيل من الحقيقةِ كقربِ

---

(١) أبو عبدالله محمد بن الحكم الترمذي (٢٥٥هـ)، الأمثال من الكتاب والسُّنَّة، حققه الدكتور السيد الجميلي، د.ط، دار ابن زيدون، د.ت، ص٩.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإرداف، لما بين لفظي الإرداف والحقيقةِ من القُربِ لمماسةِ الرَّديفِ الرِّدف بخلافِ المَثل من المِثل"[١].

ومن التمثيل أيضاً نوع آخر ذهب إليه من جاء بعد قُدامة بن جعفر (الذي ذكره في كتابه نقد الشِّعر، ص٥٨)، وهو أن يذكر الشيء ليكون مثالاً للمعنى، وإن كان معناه ولفظه غير المعنى المراد بلفظِهِ، كقوله تعالى: M - . / 0 1 2 3 4 5 6 L [البقرة: ٧].

إن ألفاظ هذه الآية ومعناها مثال مجازي، أُتِي به لتتبين حقيقة معنى مرادٍ؛ لأنه لمَّا كان هؤلاء المخْبَر عنهم لا ينتفعون ولا يسمعون من الزَّواجر، ولا يرتدعون بما يشاهدون من الآيات، كان امتناعهم من ذلك بختمٍ وغشاوةٍ حالاً بينهم وبين ما يسمعون، وما يبصرون، وما يعتقدون[٢].

ويجوز أن يكون التمثيل من باب المبالغة في الثباتِ على وصفٍ معينٍ فنُقَدِّرها هنا أداة تشبيه؛ كأنهم لثباتهم على الضلال بمنزلة من خلق اللهُ قلوبهم أغْتاماً (أعجاماً: من الغَمَمَةِ)، والأغْتَم مَنْ لا يُفْصِحُ شيئاً) خالية عن الفِطن كقلوب البهائم، ومثال ذلك قوله تعالى: M (* + , - . / 0 1 L [الفرقان: ٤٤][٣].

والأمثال القرآنية في مجال الاستهزاء الساخر من أعداء الله كثيرة، وهي مأخوذة من البيئة العربية التي عاشها العربُ عندما نزل عليهم القرآن، فقد وردت ألفاظ تدلُّ على الدَّواب، وذلك للاحتقار والازدراء بمن ضُرب بهم المثل، أو للتقليل من شأنهم، أو لعدم الانتفاع مما يحملون، ومن أمثلته:

- قال تعالى: M فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن © عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث L [الأعراف: ١٧٦].
- وقال تعالى: M K J L M N O P Q R S L [الأنفال: ٥٥].
- وقال تعالى: M 9 : ; < = ? @ A L [الأعراف: ١٧٩].

---

(١) ابن أبي الإصبع، بديع القرآن، ص٨٦.

(٢) ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ص٨٦.

(٣) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- وقال تعالى: M V W X Y Z [\ ] ^ _ L [العنكبوت: ٤١].
- وقال تعالى: M a b c d L [الجمعة: ٥].

وكما وردت ألفاظ تدل على حال الإنسان، كقوله تعالى: M _ ` a b c d L [هود: ٢٤]، وأمثال من حياة العرب، حيث كان مشهوراً عند القدماء الغَزْلُ وحياكة الصوف لصنع الملابس، وقد استعار القرآن الكريم، مَثَلاً كان متداولاً عند الجاهليين عن امرأةٍ حمقاء كانت كلما أتمَّت غزلها نكثته، فقال تعالى: M s t u v w x y z { | } ~ بَيْنَكُمْ L [النساء: ٩٢][1].

(١) انظر: نوح أحمد محمد، تجميع آيات الموضوع لآيات القرآن الكريم، ط١، مؤسسة الرسالة ١٩٩٤، ج٥، ص٧٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث

الصُّورة الهازئة في القرآن الكريم

المطلب الأول: التصوير الهازئ وآثاره النفسية

يَعُدُّ علماء النقد والبلاغة المعاني المجردة أضعف وسائل التعبير، لأنها تؤدي معاني مفردة، أو عابرة لا تعلق كثيراً، ولا تثير في الخيال حركة أو انفعالاً، أما الوسائل التي تعلق في الذهن وتثيرها فهي الوسائل التي تحدد المعنى في صورة أو تقرنه بصورة، يقول الرازي في تفسيره: "مِنْ طبع الخيال المحاكاة والتشبيه، فإذا ذكر المعنى وحده أدركه العقل ولكن مع منازعة الخيال، وإذا ذكر معه الشبه أدركه العقل مع معاونة الخيال، ولا شك أن الثاني يكون أكمل، وأيضاً فنحن نرى أن الإنسان يذكر معنى ولا يلوح له كما ينبغي، فإذا ذُكِرَ المثالُ اتضح وصار مبيناً مكشوفاً، وإذا كان التمثيل يفيد زيادة البيان والوضوح وجب ذكره في الكتاب"[١]، والكتاب هو: القرآن الكريم الذي يُراد به البيان.

وعلماء البلاغة يسمون المعاني المجردة الحقيقة، ولا يكادون يعدونه من أساليب البلاغة، ويؤكد الباقلاني الفارق بين المعنى المجرد والمعنى المصوَّر في أثناء حديثه عن إعجاز القرآن، حيث يرى بأن الكلام إنما يفيد الإبانة عن الأغراض القائمة في النفوس، ولذلك كان أولى وأحق أن يكون شريفاً، وقادراً على تصوير المشاعر والانفعالات النفسية[٢].

والقرآن الكريم يعتمد في أسلوبه على التصوير، وخاصة في الاستهزاء، حيث يرتسم هذا الاستهزاء دائماً في صورة، أو يقترن بصورة محددة، وهي صورة مثيرة للانفعال والمشاعر بما توحيه تلك الصورة من شتى الانفعالات والمشاعر، وهذا التصوير الهازئ يركز دائماً على إبراز المعنى الذي يُوجَّه إليه الاستهزاء، حيث يَكونُ هدفه العلاج، وتهذيب النفس، كقوله تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8

(١) الرازي، التفسير الكبير، ج١، ص٢٣٦.

(٢) الباقلاني، إعجاز القرآن، ج١، ص١٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

L K J I H G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 [البقرة: ١٧٠-١٧١].

والقرآن الكريم في هذا التصوير يدفع إلى التأمل من اتباع العادات الباطلة وحيث أنه على العاقل أن يتدبر هذه الصورة المألوفة والتي جاء بها الله –عز وجل- من بيئة أولئك المنقادين لآبائهم، حيث صورهم وهم ينقادون لآبائهم واتباعهم للتقاليد التي ورثوها براع أمامه قطيع من البهائم يرعاه، وهذه البهائم لا تعي ما يقوله ذلك الراعي، وهذا التصوير يبعث في النفس الاستهزاء والازدراء ممن يُعرض عن الهدى والدعوة إلى الله(١).

والصُّور التي تستهزئ من نتيجة الشرك يوم القيامة كثيرة، وهي ترسم المشركين وأعوانهم في أوضاع تثير كثيراً من مشاعر النفس وانفعالاتها، ومنها تلك الصُّور التي ترسم الكافر المعاند للحقِّ، وهو يتلقى جزاء إعراضه وعناده، فتمثله في منظرٍ عجيب، وهو يَصْطلي العذاب الشديد، وهو فيْ صُلب تلك النار الحامية تنتابه أحاسيس الخوف والألم من ذلك العذاب، حيث لا يستطيع هذا الفاجر أن يدفع عن نفسه العذاب؛ لأن يديه مغلولتان، أو لأنه بلغ من العجز والانهيار والذل والاستكانة، بحيث لا يستطيع تحريك عضو من أعضائه للدفاع عن نفسه، فلا يجد إلى وجهه ليذب به عن نفسه، هذا الوجه الذي كان ضاحكاً مستهزئاً في الدنيا مليئاً بالنضارة والحيوية مترفاً بالنعم، يقول تعالى: M [^ _ ` a b c d e f g h i j L [الزمر: ٢٤].

فانظر الصورة الساخرة الهازئة من خطاب الله لهم (ذوقوا)، ومن هذا اللفظ الذي يحمل صورة بحد ذاته، حيث أنَّ الذواق يكون لأمر محمود حسن، لكنه هنا لتذوق العذاب المهين(٢).

ولقد كثرت الصُّورُ الهازئة الساخرة من قادة الكفر وعلى مرِّ الزمان، سواء كانوا على أيام الرُّسل قبل الإسلام، أو بعده، ومن أمثلة هذه الصور قوله تعالى في فرعون وقومه الكافرين: M ! " # $ % & ' ( ) * L [هود: ٩٨]، وقوله تعالى في المجرمين:

---

(١) عبدالحليم حفني، السخرية في القرآن الكريم، ص١٠٣.

(٢) الرازي، التفسير الكبير، ج٢٦، ص٢٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

M n o p q r L [مريم: ٨٦]، فقد شبه الله تعالى في الآية الأولى فرعون وأتباعه بالواردين إلى الماء، وأعقبه بقوله: M (L المورود الذي يردونه النار؛ فقد استعار لفظ (الوِرْد) للنار، وهي بضدِّه، فشبه الوارد إلى النار بالوارد إلى الماء بجامع السرور، وسدِّ الظمأ في كُلٍّ تحقيقاً في الماء، وتنزيلاً في جهنم، تنزيل التضاد، ومنزلة التناسب[١].

أما الآية الثانية؛ فقد صورهم الله تعالى بقطيع من الغنم أو الإبل، يُساق إلى المورد، ولكن: أي مورد سيردونه؟! إنه السعير واللهيبُ والحميم الذي تغلي منه البطون، وهذا استهزاء شديد بهم لكي يندموا ويتحسروا على ما استهزئوا به من آيات، وتكذيب للرسل.

وتبرز روعة التصوير من خلال الآيتين السابقتين، بحيث نستطيع أن نتصور مشاهد أولئك الفجرة الكفرة، ورؤساءهم، ومصيرهم يوم القيامة، حيث نرى فرعون الطاغية الذي أَلَّه نفسه يُورد قومه النَّار بدل أن يوردهم الماء الذي يريحهم ويشفي غليل صدورهم من العطش، فهو كالرَّاعي الذي يورد قطيعه النار، كما أن هناك استهزاءً مبطناً للمتدبرين في كلام الله، والذي يكمن في وصف أولئك الاتباع وتصويرهم بالأنعام الضَّالة، فعطلوا عقولهم وأتبعوا قادتهم دون تفكير، فأوردوهم النار، وهذه من الصور القرآنية المثيرة للضحك، والتي تهدف إلى أخذ العبرة والعظة لمن كان له قلب وعقل سليم[٢].

وتسوق لنا بعضُ الصُّور الهازئة في القرآن الكريم ما تهدف إليه من الدعوة إلى الهدى واتباع الحق في صورة قصةٍ قصيرة يدور فيها حوار عميق صاخب بين من تشملهم الصورة، ونقصد صورة الأتباع والذين اتبعوا سادتهم وكبراءهم من غير وعي ولا إدراكٍ لخطورة ما سوف يؤول إليه مصيرهم في الآخرة، وهذه الصورة يرون فيها أنفسهم ورؤساءَهم، ويسمعون كلمة الحقِّ على ألسنتهم هم، وعلى ألسنة رؤسائهم كذلك، وهذه الصورة تمثلهم أولاً مع رؤسائهم موقوفين أمام الحَكَم العظيم العادل –عز وجل- في يوم القيامة، حيث لا يكلمهم الجليل، ولا يرجع لهم قولاً، ولا يظهر لهم الحقَّ؛ لأنه قد فعل ذلك في الدنيا، فعصوه وكذبوه واستهزئوا برسلهِ وبكتبه وبعذابه، وقبل استهزئوا بالبعث والنشور فيدور حوار عميق لا يخلو من الاستهزاء بينهم وبين سادتهم، ثم تنتهي الصورة إلى حكم يصدره الله -عز وجل- عليهم جميعاً، فيجدون أنفسهم مقيدين في أغلال جهنم بعد

---

(١) الرازي مفاتيح الغيب، ج٦، ص٣٩٤.

(٢) سيِّد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص١٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن تبين لهم صدق ما جاء به الرسل من وجود بعث وعذاب، فيسيطر عليهم الندم، وتأكلهم الحسرة بسبب ذلك الاتباع الضالِّ، يقول تعالى: M وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ ! " # $

7 6 5 4 3 2 1 0 / . , + *) (' & %

K J I H G F E D B A @ ? > = < ; : 9 8

L U T S R Q P N M L [سبأ: ٣١-٣٣][(١)].

ومن أبرز خصائص الصورة القرآنية أنها اتخذت من البيئة العربية مجالاً لاستخدامها في توظيف صور قريبة من ذهن أولئك العرب الذين عاشوا في بيئة صحراوية جافة، مليئة بالسراب، يستخدمون الإبل كوسيلة للتنقل والطعام والحرب، حيث عرفوا كلَّ تفاصيلها، وأمراضها وكيفية التعامل معها، والذي يهمنا هنا كيف كان الاستهزاء القرآني يعرض أطرافاً من تلك المشاهد التي يعرفها العرب حقَّ المعرفة[(٢)].

وتتضح لنا مشاهد تلك البيئة العربية من خلال ما يرسمه الاستهزاء القرآني من رسم (كاريكاتوري) مضحك بمن يمشي متكبراً مختالاً، حيث يصوره الاستهزاء القرآني بأنه يمشي مشية عجيبة غريبة، لا كما يمشي الناس، ولا كما يوجب التفكير والخُلُقُ الصحيح أن تكون المشية متوافقة، فنراه (أي المختال) يمشي ويضرب الأرض بقدميه كأنه يريد أن يخرقها، ويشمخ بأنفه ووجهه إلى السماء كأنه يريد أن يطاول الجبال في ارتفاعها، فيجيء الاستهزاء الرَّباني مصوراً عدم قدرته على ذلك، يقول تعالى: M وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ à L [الإسراء: ٣٧][(٣)].

وكما تحدثنا عن أن الأمثال العربية جاءت تحمل أسماء العديد من الحيوانات والتي استخدمت في أسلوب الاستهزاء لتوضّح الصّور القرآنية، فقد جاءت تلك الصور القرآنية مليئة بالحيوانات التي

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ج١٤، ص٢٨٩.

(٢) طه حسين، في الأدب الجاهلي.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٥٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألفها العرب، ومنها الحمار، والكلب والنحل، والعنكبوت، وغيرها من الدَّواب، وليس المقصود ها هنا استقصاء تلك الحيوانات، ولكننا نريد أن نعرض بعضاً من تلك الصور التي أبرزها القرآن الكريم في مجال الاستهزاء لأسبابٍ عديدة؛ منها الازدراء بالشخص الذي يُنزِّل نفسه منزلة ذلك الحيوان، أو للتهوين من أفعال أشخاص اعتقدوا أنهم يعلمون العلم كله، أو لتوجيه من يتصف ببعض صفات تلك الحيوانات(١).

وقد جئنا أثناء حديثنا عن بلاغة الاستهزاء وأساليبه الفنية بأمثلة عديدة منها صورة ذلك الذي انسلخ من آيات الله، فصوَّره الله بالكلب الذي حاله اللهث بطبيعته، وكذلك اللهث عندما يكلفه الإنسان بالركض وراء الصَّيْد، فقد استهزئ القرآن بمن يلهث وراء الدنيا متناسياً ذكر الله ومعرضاً عن آياته، واصفاً إياه بالكلب في خِسَّته ودنائته، حيث اتخذ استهزاء القرآن الكريم صورة رسمها للكافر الحاقد الذي لا يفرق بين الهدى والضلال، يقول تعالى: M { ~ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن © عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ...L [الأعراف: ١٧٦](٢).

ومن الصُّور الرائعة التي رسمها القرآن الكريم اعتماد المنافقين على مظهرهم الخارجي الجسمي، وعلى تنميق كلامهم حتى يصبح حديثهم رنّاناً يجذب الأسماع حيث أجاد أولئك المنافقون في تكلُّفِهم، فاستطاعوا أن يثيروا إعجاب النبي (صلى الله عليه وسلم) واهتمامه من أفراد معينين بلغوا من المهارة في إجادة التكلف إلى درجة عالية، فجاء القرآن الكريم يستهزئ من هذا التكلف الخادع ومن اعتمادهم على مظهرهم، فيمحو من نفس الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومن نفوس المؤمنين كل إعجاب بهم، أو استماع إليهم، حيث يصورهم بأجسامهم المهيبة، ومظهرهم الأنيق في صورة مضحكةٍ، هي أنهم مجرد ألواحٍ من الخَشَب لا نفع فيها، ولا فائدة سوى أنها مسنَّدة متراصة تشغل حيِّزاً من الفراغ كانَ إخلاؤه من هذه الألواح أجدى وأنفع، ويبيّن للرسول –عليه الصلاة والسلام- وللمسلمين حقيقة ما خُدعوا فيه من كلامهم؛ فهم يتحدثون للرسول –عليه السلام- ولأتباعه من المؤمنين بأنهم نِعم الموالين والمناصرين، وهذا كله كذب ونفاق ومظهرهم وكلامهم يخالف ما في نفوسهم من كرهٍ وحقد وكذب، وهم من أجبن الناس وأخوفهم عند اللقاء، يقول تعالى: M وَإِذَا

(١) عبدالحليم حفني، السخرية في القرآن الكريم، ص١٤٠-ص١٥٧.

(٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٢، ص٢١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ μ ¶ ، لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ L [المنافقون: ٤][1].

والصور القرآنية الهازئة كثيرة ومتعددة الأشكال والأهداف. ولكن المجال لا يتسع لذكرها في هذا البحث.

(١) الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٤٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: الحوار

يُعَدُّ الحوار أفضل الأساليب في السرد القصصي، فهو يكشف عن الطبيعة الشخصية للمستهزئ، والمستهزَئ به، وهو كذلك عنصر مهم في إثراء الجانب القصصي لهذا الفن[١].

ويرى العديد من النقاد والأدباء أن مصدر الحياة يكمن في هذا الفن الرائع وفي الروح الهازئة الساخرة الضاحكة التي يحملها عنصر الحوار للضحك حيناً وللسخرية والنقد حيناً آخر، حيث يصل الأديب المصوِّر لهدفه بالحوار الحي المصوَّر والذي يتابع الأحداث، ويشوق للاستمرار حتى النهاية، ويكشف طبيعة الشخصيات ونفسيتها، ويُقدِّم ألواناً من المفاجآت المدهشة، فيما يمكن أن يُسمى أقصوصة حوارية في كثير من الأحيان[٢].

كما يكشف الحوار عن لغة الحوار، وأدب الحوار، والقدرة على المحاورة، والاحتجاج؛ لإثبات الرأي. ويُقْسَمُ الحوار إلى قسمين: أحدهما داخلي، وآخر خارجي، أمَّا الداخلي، فهو الحوار الذي يدور في نفس الشخص، وأما الحوار الخارجي، فهو الذي يديره الكاتب، أو الأديب[٣].

ونحن إذا ما رجعنا إلى الآيات القرآنية التي تناولت أسلوب الاستهزاء، وخاصة الاستهزاء الرباني بالمستهزئين، نجد أن عنصر الحوار أساس في التصوير الهازئ، وقد كان هذا الحوار بين أطراف مختلفة، منها ما كان بين الكفار والمؤمنين، ومنها ما كان بين الأتْباع والرؤساء، ومنها حوار يسوقه الله –عز وجل- مع المستهزئين في الدنيا، محاوراً به أولئك المعاندين لوجوده –تعالى- ومستهزئين بآياته، وبرسله وبالبعث والنشور.

ومن أمثلة هذا الحوار التصويري، ما أورده الله تعالى في سورة الأعراف من محاورة بين المستهزئين أصحاب النار وبين أصحاب الأعراف من جهة، وبينهم وبين أصحاب الجنة من جهة أخرى، يقول تعالى: M p q r s t u v w x y z { | } ~ ´ ¶ μ

أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ ٱدْخُلُوا۟ ۝ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ

أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ

ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟

---

(١) نزار الضُّمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، ص١٠٥.

(٢) عبدالخالق عبدالله عيسى، السخرية في الشعر العباسي، ص٢٠٤.

(٣) المصدر السابق، ص٢٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بِـَٔايَـٰتِنَا يَجۡحَدُونَ L [الأعراف: ٤٨-٥١]. فهذا حوار بين أصحاب الأعراف (وهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقعدت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة، وتخلفت بهم حسناتهم عن دخول النار، فوقفوا هنالك عن السُّور حتى يقضي الله فيهم) وبين رؤساء الكفر من أهل النار، حيث الحوار يدور حول ما كان يكذِّب ويستهزئ به هؤلاء الظالمون وكانوا يسخرون من أولئك المؤمنين الضعفاء، وكانوا يحلفون أنَّ الله لن يُدخل المستضعفين الجنة –وتبدو الشماتة في هذا الحوار واضحة، حيث يدخل أصحاب الإيمان الجنة، ويدخل المستهزئون النَّار، فيُنادي أصحابُ النار أصحاب الجنة أن يغيثوهم من العطش وشدته من الحر الشديد بأن يفيضوا عليهم شيئاً" من الماء لِتَسْكُن حرارتهم وشيئاً من الطعام فيجيبهم المؤمنون أنَّ هذا محرم عليكم جزاء كفركم واستهزائكم من هذا الوعد الذي عُرض عليكم في الدنيا[١].

فانظر كيف أدى هذا الحوار أثره البالغ في نفوس كلٍّ من المستهزئين والمستهزَئ بهم في الدنيا، حيث صار المستهزئُ مُستَهْزَئاً به، فصار من أصحاب النار تأكل أجسامهم السعير وتلفح وجوههم النار، وصار المستضعَفُون يستهزئون بأولئك الكفرة، حيث يبين الله تعالى شدة عذابهم ونكال كفرهم واستهزائهم بالإسلام.

ومن هذا الحوار أيضاً ما يحمل الشماتة والاستهزاء قوله تعالى: M ! " # $ %

L > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + *) (' &

[الأعراف: ٤٤][٢].

ومن أمثلة الحوار الهازئ بين الرسول صلى الله عليه وسلم -على لسان الحقِّ –عز وجلَّ- وبين الكفار المنكرين للوحدانية والبعث، والذين اتخذوا لله شركاء من الأصنام التي لا تنطق ولا تفهم قوله تعالى: M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a

] L s r q p o n m l k j i h g f e d c b

الرعد: ١٦].

---

(١) ابن حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٤، ص٣٠٣.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص١٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذه الآيات تصوِّرُ لنا حِواراً يدور بين النبي –عليه السلام- وبين المستهزئين الكافرين، حيث يحاججهم الرسول –صلى الله عليه وسلم- بتوجيه عدد من الأسئلة لهم منها: مَنْ خالق السماوات والأرض؟ فيجيبُ إنَّه الله، فيسألهم عن تلك الأصنام والمعبودات التي اتخذوها آلهة، بحيث لا تنفع ولا تضرَّ، ويعرِّض مستهزئاً بعقولهم ومصوراً لهم كأنهم كالأعمى الذي يتخبط فلا يرى النور، كما يصورهم وهم في هذه العبادة الضالة، بمن يمشي في الظلمات، فهذه كلها لا تستوي والحق، كما أنه يستفهم –على طريق الاستهزاء- هل هؤلاء الشركاء والمعبودات التي اتخذوها آلهة، تخلق خلقاً ولها قدرة على الإبداع والصُّنع والإيجاد، بحيث أنْ ما خَلَقَتْهُ جعلته يحارون أين هو الخالق الحقيقي؟! وكلُّ هذا الحوارات التي جاءت على شكل استفهامات هازئة ساخرة، قُصِدَ بها المحاججة، والتَّفكُّر فيما يدَّعون ويعبدون علَّهم عن غيِّهم يرجعون، كما أنَّ فيها تحقيراً لعقولهم وتسفيهاً لعباداتهم الفاسدة، حيث أنهم لم يَعْمِلوا ما ميزهم الله به من نعمة العقل التي ميزهم الله بها عن بقية خلقه فَساوا بين الأعمى والبصير، كما ساووا بين الظلمات والنور، وهذا ما لا يعقله عاقل، ولا يُقرُّه صاحب نَظَر.

ومن أمثلة هذا الحوار بين الله عز جل وسيدنا عيسى –عليه السلام، مُعرِّضاً ومستهزئاً باليهود والنصارى الذين اعتقدوا بألوهية عيسى عليه السلام حيث جاء هذا الاستهزاء في صورة محاورة بين الله سبحانه ونبيه ابن مريم يوم القيامة، والمفروض أنَّ الله تعالى أعلم بذلك من غيره، ولكن الله سبحانه في هذه الصورة الهازئة يبين أنَّ عيسى لم يأمر أحداً، ولم يرضَ لأحدٍ أن يتخذه إلهاً، والمفروض أنَّ الله الذي يسأل، كما يسأل أيُّ إنسانٍ عن أمر يجهله، والمسؤول هو عيسى نفسه الذي اتخذوه إلهاً، ويضيف الاستهزاء جانباً آخر هو إدخال مريم في ادِّعائهم أنها إله، وتكون الإجابة من عيسى نفسه أيضاً بتكذيب الذين اتخذوه إلهاً، فيقول الله تعالى في القرآن الكريم: O N M L M

i h f e d c b a ` _ ^] \ Z Y X W V U T S R Q P

لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ~ } | { z y x v u t s r q p o n l k j

ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي © ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا ´ µ ¶ ¸ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ L

[المائدة: ١١٦-١١٧][1] والاستفهام في الآية الأولى يتضمن استهزاءً واضحاً بمن اتخذ عيسى وأمَّه

(١) ابن حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٤، ص٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلهين من دون الله، وهذا فيه تكذيب لاعتقادات وادِّعاءات الذين أشركوا بالله من النصارى كما أنَّه محاججة لهم بأنَّ الله واحدٌ لا شريكَ له، وأنَّ المسيح بريءٌ مما يدَّعون ويعتقدون، فما هو إلا عبدٌ من عبيد الله ورسول من رُسُلِهِ جاء مبلغاً برسالة ربِّه عَزَّ وجل[١].

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص٣٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخـــاتمـــة

حاولت هذه الدراسة أن تقدم أسلوب الاستهزاء في القرآن الكريم، حيث إن للاستهزاء معـــاني كثيرة، وردت في معاجم اللغة العربية، كما أن له معاني اصطلاحية تناولها كثير مـــن الدارســـين، حيث إن الاستهزاء أسلوب خطابي قرآني عظيم وخطير، وهو أسلوب بلاغي لمحاججـــة الجاحـــدين والمكذبين والساخرين من الإسلام ودعاته، وقد تعددت معانيه في اللغـــة مـــن الـــسخرية والـــتهكم والاستخفاف والقتل السريع، وما إلى ذلك من المعاني.

لقد كان للاستهزاء الساخر حضور بارز في الأدب العربي في نثره وشـــعره، ولـــم يتـــضح كظاهرة إلا في العصر العباسي، حيث ظهر كثير من الأدباء وعلى رأسهم الجاحظ الذي تحفل كتبـــه بهذا الفن. إن الذي نريد أن نشير إليه أن الاستهزاء القرآني أسلوب يختلف عن أساليب البشر برقيـــه وسموه وتعدد أغراضه الاصطلاحية والتهذيبية، بعيدا عن الفحش والأذى، وأنه أداة دفاع لرد الأذى عن المستضعفين.

وقد تنوعت أسباب الاستهزاء القرآني وأغراضه وأساليبه وأطرافه، فكان أعداء الإســـلام فـــي كل زمان يستخدمون الاستهزاء سلاحا لتحطيم الروح المعنوية للمسلمين، لكن الرد الربـــاني كـــان بالمرصاد، وبطرق بلاغية فنية متنوعة.

وقد تناول كثير من علماء البلاغة والمفسرين هذا المصطلح بشكل مباشر وغير مباشـــر فـــي دراستهم وتفاسيرهم، وعلى رأسهم ابن أبي الإصبع المصري، في كتابيه، بـــديع القـــرآن، وتحريـــر التجبير، والزمخشري في تفسيره الكشاف، حيث يرد مصطلح الاستهزاء كثيرا في هذه الكتب. وقـــد ارتبط بهذا الأسلوب مجموعة من المصطلحات والألفاظ وعلى رأسها السخرية والـــتهكم والفكاهـــة والضحك والكناية والتعريض والهجـــاء والغفلـــة والـــشماتة والخـــوض واللعـــب، وغيرهـــا مـــن المصطلحات.

كما تنوعت أطراف الاستهزاء في القرآن الكريم بين طرف معاد وطرف يـــرد علـــى هـــذا الاستهزاء، فهناك من المعادين، الكفار، والمنافقون واليهود والنصارى، في مقابلهم الـــرد الربـــاني، وتعددت أسباب ذلك الاستهزاء ومظاهره، كما هو واضح في الآيات التي أوردناها، حيـــث اســـتهزأ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأعداء بالله عز وجل، ورسله، والمؤمنين ومن فقرهم وضعفهم، قابله استهزاء رباني رفيع المستوى كان غرضه التهذيب والإصلاح ودفع الأذى عن المؤمنين.

كما تنوعت الأساليب الفنية للاستهزاء في القرآن الكريم، وتراوحت أشكاله بين الاستعارة والتشبيه، والاستفهام والأساليب الإنشائية بأنواعها والأساليب الخبرية المعبرة المؤثرة، كما أن هناك حضورا واضحا للصورة والتصوير الهازئ والأمثال التي لعبت دورا كبيرا في إبراز قيمة هذا الأسلوب الفنية وآثاره على المتلقين.

وقد لاحظت من خلال دراستي لهذا الأسلوب أنه من أهم وأخطر الأساليب القرآنية، وأنه يحتل جانبا كبيرا من جوانب الخطاب القرآني لما له من دور كبير في الدعوة إلى الله ومن محاججة الأعداء والذود عن المؤمنين، والتصوير والدعوى إلى التفكير، وأن له أغراضا عديدة؛ كتسلية النبي عليه السلام وأتباعه، والتخفيف من آلام المستضعفين ورد ثقتهم بأنفسهم، وتحطيم معنويات الأعداء.

وإنني وأنا أدرس هذا الأسلوب العظيم لأدعو كل محبي اللغة العربية أن يعطوا هذا الأسلوب اهتماما أكبر وتدبرا أعمق ليتعرفوا على عظمة اللغة العربية ودورها في الدفاع عن النفس وعن القضايا التي تهمهم بأساليب بلاغية رفيعة.

والله ولي التوفيق،،،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إبراهيم، زكريا (١٩٨٢). **سيكولوجية الفكاهة والضحك**، د.ط، مكتبة مصر.
- إبراهيم، وليد عبد المجيد (٢٠٠١). **الشعر الهزلي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، ط١، مؤسسة الوراق، عمان.
- ابن الأثير، ضياء الدين (١٩٨٣). **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق أحمد الحوفي، ط٢، منشورات دار الرافعي، الرياض.
- الأحمد، سالم إبراهيم (٢٠٠١). **المصطلح البلاغي عند ابن أبي الإصبع المصري في كتابيه: تحرير التحبير، وبديع القرآن**، رسالة ماجستير في اللغة العربية، غير منشور، مركز الرسائل الجامعية، الجامعة الأردنية، عمان.
- أدهم، علي (د.ت). **لماذا يشقى الإنسان**، د.ط، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.
- الأصفهاني، الراغب (١٤٢٠هـ). **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، ط١، تحقيق عمر الطباع، دار الأرقم.
- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود (٢٠٠١). **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (١٩٦٣). **إعجاز القرآن الكريم**، دار المعارف، مصر.
- برّي، حوّاس (٢٠٠٢). **المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير**، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس، الأردن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- بطيش، سيمون (١٩٨٣). **الفكاهة والسخرية في أدب مارون عبـــود**، دار الفكر، بيروت.
- البغوي، حسين بن مسعود (١٩٩٣). **معالم التنزيل**، حققه محمد النمر وآخرون، ط٢، دار طيبة، السعودية.
- البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد الله (١٩٩٨). **أنـــوار التنزيـــل وأســـرار التأويل**، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الترمذي، أبو عبد الله محمد بن الحكم (د.ت). **الأمثال في الكتاب والسنة**، حققـــه الدكتور السيد الجميلي، د.ط، دار ابن زيدون.
- التفتازاني، سعد الدين (٢٠٠١). **المطول في تلخيص مفتاح العلوم**، ط١، تحقيق عبد الحميد زهران، دار الكتب العلمية.
- التوتنجي، محمد، وراجي الأسمر (٢٠٠٢). **المعجم المفصل في عالم اللغة**، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الثعالبي، أبو منصور (١٩٨٣). **فقه اللغة وسر العربية**، ط١، دار إحياء التراث.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (١٩٨٦). **البيان والتبيين**، د.ط، دار صعب، بيروت.
- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر (١٩٣٨). **الحيوان**، د.ط، تحقيق عبد الـــسلام هارون، مطبعة البابي الحلبي، مصر.
- الجارم، علي، ومصطفى أمين (١٩٦٦). **البلاغة الواضحة**، ط٥.
- الجرجاني، عبد القاهر (١٩٨١). **دلائل الإعجاز**، د.ط، دار المعرفة، بيروت.
- الجرجاني، عبد القاهر (١٤٢٢هـــ). **أسرار البلاغة**، ط١، تحقيق عبـــد الحميـــد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن جزي، محمد بن أحمد (د.ت). **التسهيل في علوم التنزيل**، تحقيق عبد الله الخالدي، د.ط، دار الأرقم بن أبي الأرقم، لبنان.
- ابن الجوزي، جمال الدين (١٩٩٦)، **أدب الأذكياء وأخبارهم**، ط١، دار النمير ودار الفرائد، دمشق.
- حفني، عبد الحليم (١٩٩٢). **التصوير الساخر**، د.ط، الهيئة المصرية للكتاب.
- حفني، عبد الحليم (١٩٨٧). **أسلوب السخرية في القرآن الكريم**، د.ط، دار الهيئة المصرية للكتاب.
- الحلبي، السمين أحمد بن يوسف (١٩٩٣)، **عمدة الحفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، ط١، تحقيق محمد التوتنجي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الحلبي، كمال راغب (٢٠٠٢). **النكتة صناعة ورسالة**، مجلة المعرفة السورية، دمشق، العدد ٤٦٨.
- الحموي، ياقوت (١٩٩٣). **معجم الأدباء**، ط١، دار الفكر الإسلامي، بيروت.
- الحموي، ابن حجة (د.ت). **خزانة الأدب**، دار صادر، بيروت.
- الحوفي، أحمد محمد (١٩٥٦). **الفكاهة في الأدب - أصولها، وأنواعها**، د.ط، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.
- خريوش، حسين (١٩٨٢). **الفكاهة الأندلسية**، منشورات جامعة اليرموك.
- الخطيب، عبد الكريم (د.ت). **إعجاز القرآن**، د.ط، دار الفكر العربي.
- الخفاجي، شهاب الدين أحمد (١٩٩٧). **حاشية الشهاب، المعروف بـ: عناية القاضي، وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الدرويش، محي الدين (١٩٩٢). **إعراب القرآن وبيانه**، ط٣، دار اليمامة، سوريا.
- دوّاب، رابح (١٩٩٧). **البلاغة عند المفسرين حتى القرن الرابع الهجري**، ط١، دار الفجر، القاهرة.
- **ديوان ابن الرومي**، تحقيق عبد الأمير المهنا، د.ط، دار الهلال، بيروت.
- **ديوان ابن زيدون ورسائله** (١٩٥٧). شرح وتحقيق علي عبد العظيم، د.ط، القاهرة.
- **ديوان حسان بن ثابت** (١٩٦١). د.ط، دار صادر، بيروت.
- الرازي، محمد بن أبي بكر (١٩٩٦). **مختار الصحاح**، ط١، دار عمار، عمان.
- الرازي، محمد بن عمر البكري الطبرستاني (١٩٩٧). **التفسير الكبير**، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الرّضي، الشريف (١٩٥٠). **تلخيص البيان في مجازات القرآن**، تحقيق محمد عبد الغني حسن، طبع عيسى الحلبي، القاهرة.
- الرّماني، علي بن عيسى (١٣٧٨هـ). **النكت في إعجاز القرآن الكريم**، ضمن ثلاث رسائل، ط٢، دار المعارف، مصر.
- الزبيدي، محمد بن محمد (١٩٨٩). **إتحاف السادة المتقين بشرح وإحياء علوم الدين**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الزبيدي، شهاب الدين محمد مرتضى (١٩٩٤). **تاج العروس في جواهر القاموس**، د.ط، دار الفكر، بيروت.
- الزركشي، بدر الدين عبد الله (١٩٥٧). **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل، د.ط، القاهرة، ١٩٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الزمخشري، محمود بن عمر (٢٠٠٩). **أســاس البلاغــة**، ط١، دار صــادر، بيروت.
- الزمخشري، محمود بن عمر (١٩٩٧). **الكشاف عن حقائق التنزيــل وعيــون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط١، تحقيق عبد الرزاق مهدي، دار إحياء التــراث العربي، بيروت.
- زيدان، عبد الكريم (١٩٩٢). **أصول الدعوة إلى الله**، ط١، مكتبة القدس، العراق.
- السُبكي، بهاء الدين (٢٠٠١). **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، تحقيق الدكتور إبراهيم خليل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (٢٠٠٠). **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- السكاكي، يوسف بن أبي بكر (١٤٠٣هــ). **مفتــاح العلــوم**، ط١، دار الكتــب العلمية، بيروت.
- أبو سويلم، أنور عليان (١٩٩٠). **أبو العيناء محمد بن القاسم**، دراسة وتوثيق في حياته ونثره، ط١، دار عمار، عمان.
- ابن سيدة، علي بن إسماعيل (١٩٩٦). **المحكم والمحيط الأعظم**، ط١، دار إحياء التراث، بيروت.
- السيوطي، جلال الدين (١٩٧٣). **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، د.ط، تحقيق علي البجاوي، القاهرة.
- السيوفي، مصطفى (١٩٧٠). **الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصــة**، ط٣، دار المعارف، مصر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- شحادة، سامي وديع. **الآيات القرآنية الواردة في المستهزئين بالإسلام ودعاته**، رسالة ماجستير (تفسير)، غير منشورة، مركز الرسائل الجامعية، الجامعة الأردنية، عمان.
- الشعراوي، محمد متولي (د.ت). **تفسير الشعراوي**، د.ط، نشر أخبار اليوم.
- الشوكاني، محمد بن علي (١٩٨١). **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية والتفسير**، د.ط، دار الفكر، بيروت.
- الصابوني، محمد علي (١٩٨١). **صفوة التفاسير**، ط٤، دار القرآن الكريم، بيروت.
- الصاحب، إسماعيل بن عبّاد (١٩٩٤). **المحيط في اللغة**، ط١، تحقيق محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت.
- صالح، نزار عطا الله، **البشرى في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز الرسائل الجامعية، الجامعة الأردنية، عمان.
- الضمور، نزار، **السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، رسالة دكتوراه غير منشورة، مركز الرسائل الجامعية، الجامعة الأردنية، عمان.
- ضيف، شوقي (١٩٥٩). **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، ط٢، دار المعارف.
- الطبرسي، فضل بن حسن (١٩٨٦). **مجمع البيان في تفسير القرآن**، تحقيق هاشم رسولي وآخرون، ط١، دار المعرفة، لبنان.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (١٩٧٨). **تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)**، د.ط، دار الفكر، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- طه، نعمان محمد أمين (د.ت). **السخرية في الأدب العربي حتى نهايـــة القـــرن الرابع الهجري**، ط١، دار التوفيقية، القاهرة.
- ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٨٠). **التحرير والتنوير**، د.ط، الدار التونـــسية، تونس.
- العبادي، خير الدين قاسم، **السخرية في شعر بشار بن برد**، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز الرسائل الجامعية، الجامعة الأردنية، عمان.
- عباس، فضل حسن (١٩٩٧). **البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)**، ط٢، دار الفرقان، الأردن.
- عبد الباقي، محمد فؤاد (د.ت). **المعجم المفهرس لألفاظ القـــرآن الكـــريم**، د.ط، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت.
- عبد الحميد، شاكر (٢٠٠٣). **الفكاهة والضحك - رؤية جديدة**، د.ط، منشورات دار المعرفة، الكويت.
- ابن عبد السلام، العز (١٩٩٦). **تفسير القرآن**، تحقيق عبد الله الوهيبي، ط١، دار ابن حزم، لبنان.
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (١٩٩٦). **العقد الفريد**، ط١، دار الفكر، بيروت.
- أبو عبيدة، معمر بن المثنى (١٩٦٢). **مجاز القرآن**، مكتبة الخانجي ودار الفكر، القاهرة.
- عتيق، عبد العزيز (١٩٧٤). **علم المعاني**، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (د.ت). **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، د.ط، بيت الأفكار الدولية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- العسكري، أبو هلال الحسن بن سهل (د.ت). **الصناعتين**، تحقيق علي البجـــاوي وآخرون، نشر عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن سهل (١٩٨٣). **الفروق في اللغة**، ط٥، تحقيـــق لجنة التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- عشماوي، أيمن محمد (١٩٩٨). **خمريات أبي نـــواس**، دراســـة تحليليـــة فـــي المضمون والشكل، دار المعرفة الجامعية.
- العطري، عبد الغني (د.ت). **أدبنا الضاحك**، د.ط، دار النهار، بيروت.
- عطية الله، أحمد (د.ت). **سيكولوجية الضحك**، د.ط، القاهرة.
- ابن عطية (١٩٨٧). **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبـــد الله الأنصاري، وعبد العال، ط١، طبع على نفقة أمير قطر.
- العقاد، عباس محمود (د.ت). **الله**، د.ط، دار المعارف، مصر.
- عكاوي، سوزان (١٩٩٤). **السخرية في مسرح أنطوان غندور**، د.ط، طرابلس.
- علان إبراهيم (٢٠٠٢). **البديع في القرآن**، ط١، دار الثقافة، الشارقة.
- أبو علي، محمد بركات (١٩٨٦). **مقدمة في دراسة البيان العربـــي**، د.ط، دار الفكر، عمان.
- العمادي، محمد بن محمد أبو السعود (د.ت). **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- عنانزة، أحمد، **التهكم في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير غير منشورة، مركـــز الرسائل الجامعية، الجامعة الأردنية، عمان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- عودة، عبد الخالق عبد الله، **السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجري**، رسالة دكتوراه غير منشورة، مركز الرسائل الجامعية، الجامعة الأردنية، عمان.
- العوّا، عادل (١٩٩٥). **مواكب التهكم**، د.ط، دار الفاضل، دمشق.
- الغرناطي، محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (١٩٩٢). **البحر المحيط**، د.ط، دار الفكر، بيروت.
- الغزالي، محمد بن محمد (١٩٩٧). **إحياء علوم الدين**، ط١، دار الخير، بيروت.
- ابن فارس، أحمد (١٩٨٤). **مجمل اللغة**، ط١، تحقيق زهير عبد المحسن، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ابن فارس، أحمد (٢٠٠١). **مقاييس اللغة**، ط١، دار إحياء التراث، بيروت.
- الفرّاء، يحيى أبو زكريا (١٩٥٥). **معاني القرآن**، ط١، عالم الكتب، بيروت.
- فريحة، أنيس (١٩٦٢). **الفكاهة عند العرب**، ط١، دار بيروت.
- الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب (١٩٩٧). **القاموس المحيط**، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- فيّود، بسيوني (٢٠١٠). **من بلاغة النظم القرآني**، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة.
- القاسمي، محمد جمال (١٩٧٨). **محاسن التأويل**، ط٢، دار الفكر، بيروت.
- ابن قتيبة (١٩٨١). **تأويل مشكل القرآن**، شرحه السيد أحمد صقر، ط٣، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
- ابن قتيبة (١٩٨٦). **عيون الأخبار**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- القرطبي، أبو عبد الله الأنصاري (٢٠٠٣). **الجامع لأحكام القرآن**، ط١، دار الفكر، بيروت.
- القزويني، الخطيب جلال الدين (١٩٣٢). **التلخيص في علوم البلاغة**، ضبط عبد الرحمن البرقوقي، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت.
- القزويني، الخطيب جلال الدين (د.ت). **الإيضاح في علوم البلاغة**، د.ط، مطبعة المحمدية، مصر.
- قزيحة، رياض (١٩٩٨). **الفكاهة والضحك في التراث المشرقي من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر العباسي**، ط١، المكتبة العصرية، بيروت.
- قطب، سيد (١٩٧١). **في ظلال القرآن الكريم**، ط٧، دار إحياء التراث، بيروت.
- القوصي، عبد العزيز (١٩٨١) **أسس الصحة النفسية**، ط١، مكتبة النهضة، مصر.
- كاوري، صادق إبراهيم (٢٠٠٤). **السخرية في الأدب**، مجلة المعرفة السورية، دمشق، العدد ٤٨٩.
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (١٩٨٨). **مختصر تفسير ابن كثير**، تحقيق محمد على الصابوني، د.ط، دار الصابوني، القاهرة.
- لاشين، عبد الفتاح (١٩٨٥). **البيان في ضوء أساليب القرآن**، ط٢، دار المعارف.
- ماكيفر، د.م، **المجتمع**، ترجمة د. علي أحمد عيسى، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، د.ت.
- ابن مالك، بدر الدين (١٤٢٢هـ). **المصباح المنير في المعاني والبيان والبديع**، ط١، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن محمد، حسين (١٩٩٧). **مفردات ألفاظ القرآن**، ط٢، دار القلم، دمشق.
- محمد، فراس الحاج، **السخرية في الشعر الفلسطيني المقاوم**، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز الرسائل الجامعية، الجامعة الأردنية، عمان.
- محمد، نوح أحمد (١٩٩٤). **تجميع آيات الموضوع لآيات القرآن الكريم**، ط١، مؤسسة الرسالة.
- المصري، ابن أبي الإصبع (١٩٥٧). **بديع القرآن**، ط١، تحقيق حفني محمد شرف، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.
- المصري، ابن أبي الإصبع (١٩٨٣). **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، تحقيق حفني محمد شرف، دار إحياء التراث.
- المطعني، عبد العظيم (١٩٩٠). **التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم**، د.ط، دار نشر.
- مطلوب، أحمد (٢٠٠١). **معجم المصطلحات النقد العربي القديم**، د.ط، مكتبة لبنان.
- معاملي، شوقي (١٩٨٧). **الاتجاه الساخر في أدب الشرياق**، د.ط، مكتبة النهضة.
- مفتاح، محمد (١٩٩٧). **مدخل إلى قراءة النص الشعري (المفاهيم معالم)**، مجلة فصول، المجلد السادس عشر، العدد الأول، صيفا.
- المناوي، عبد الرؤوف (١٤١٠هـ). **التوقيفات على مهمات التعريف**، ط١، تحقيق محمد الدّاية، دار الفكر المعاصر، بيروت.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (د.ت). **لسان العرب**، د.ط، دار صادر، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- موسى، أحمد (١٩٦٩). **الصبغ البديعي في اللغة العربية**، د.ط، دار الكتاب العربي.
- الميداني، أحمد بن محمد (١٩٨٧). **مجمع الأمثال**، ط٢، دار الجيل، بيروت.
- ميوك، د. سي (د.ت). **المفارقة**، موسوعة المصطلح النقدي، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون.
- النحوي، عدنان علي رضا (١٩٩٤). **الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته**، ط٣، دار النحوي للنشر، الرياض.
- النحوي، عدنان علي رضا (١٩٩٩). **الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام**، د.ط، دار النحوي للنشر، الرياض.
- النويري، شهاب الدين أحمد (١٩٤٣). **نهاية الأرب في معرفة فنون العرب**، د.ط، دار الكتب المصرية، القاهرة.
- الهاشمي، أحمد (د.ت). **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ط١٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك (١٩٥٥). **السيرة النبوية**، ط٢، مكتبة البابي الحلبي.
- الهوّال، حامد عبده (١٩٨٢). **السخرية في أدب المازني**، د.ط، الهيئة المصرية للكتاب.
- الواحدي، علي بن أحمد (١٤١٥هـ). **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط١، تحقيق دواودي، دار العلم الشامية، بيروت.
- الواحدي، علي بن أحمد (٢٠٠٠). **أسباب النزول**، طبعه وشرحه محمد شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الوشّاء، أبو الطيب (١٩٩٩). **الظرف والظرفاء (الموشّى)**، ط١، شرحه وقدم له عبد الأمير مهنّا، دار الفكر اللبناني، بيروت.
- وهبة، وجدي، وكامل المهندس (١٩٨٤). **معجم المصطلحات في الأدب واللغــة**، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

RIDICULE METHOD IN THE HOLY QURAN

Prepared By:
Bashar Mohammad Abu Nseer Al-Masarwah

Supervised By:
Dr. Afeef Abed Al-Rahman

Abstract

This study clarifies a method of speech in the Holy Quran, which is the method of ridicule, through many of the Ayas of the Holy Quran by analyzing them, that in such Ayas the way of ridicule becomes an absolute art, and a method of the Holy Quran approaches.

The study is divided into four chapters and a conclusion, that the first chapter discusses the lingual and terminological significance of ridicule, then it discusses the same method as for the Arab critic and reviewers and the types of ridicule, its causes, its purposes and its artistic and literary value and the most important fields for the writers.

The second chapter studies the ridicule from the view point of critical and rhetoricians in the past and the present and the interpreters then it goes across the related terms and idiom of this method.

The third chapter displays and studies the most common parties of ridicule in the Holy Quran. The anti-Islam party and the other party is method of ridicule made by Allah. This it discusses the reasons of the Quranic ridicule, its purposes and characteristics.

The fourth chapter is considered as an artistic study for the method of ridicule following it whatever of the three parts of rhetoric it comes which are (Meanings, manifestation or figure of speech) then it comes across the role of the Quranic sayings in this method getting to the ridiculous image with what it bears of ridiculous picture and a meaningful dialogue which makes the character of the ridiculer clear and the goals of such method.

At the conclusion, it is presented some of the findings which the author reached and the recommendations which cab be a base to build new literature on in the future by the well of Allah. And Praise to Allah, the Lord of All Creations.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit